

عليه » وقدروى من طريق آخر وأعله أحمد وأبو حاتم والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا أبو بكر الهذلى عن شهر عن أم الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تجاوز لأمتى عن ثلاث عن الخطأ والنسيان والاستكراه » قال أبو بكر فذكرت ذلك للحسن فقال أجل أما تقرأ بذلك قرآنا ( ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا )

وقوله ( ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الدين من قبلنا ) أى لا تكلفنا من الأعمال الشاقة وإن أطقناها كما شرعته للامم الماضية قبلنا من الأغلال والآصار التي كانت عليهم التي بعثت نبيك محمداً صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة بوضعه (١) في شرعه الذي أرسلته به من الدين الحنيفي السهل السمح وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « قال الله قد فعلت » وجاء في الحديث من طرق عن رسول الله ﷺ أنه قال « بعثت بالحنيفية السمحة »

وقوله ( ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ) أى من التكليف والمصائب والبلاء لا تتبنا بما لا قبل لنا به وقد قال مكحول في قوله ( ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ) قال العزبة والغلمة رواه ابن أبي حاتم قال الله نعم وفي الحديث الآخر قال الله قد فعلت وقوله ( واعف عنا ) أى فيما بيننا وبينك مما تعلمه من تقصيرنا وزللنا ( واغفر لنا ) أى فيما بيننا وبين عبادك فلا تظهرهم على مساوينا وأعمالنا القبيحة ( وارحمننا ) أى فيما يستقبل فلا توقعنا بتوفيقك في ذنب آخر ولمننا قالوا إن المذنب محتاج إلى ثلاثة أشياء أن يعفو الله عنه فيما بينه وبينه وأن يستره عن عباده فلا يفضحه به بينهم وأن يعصمه فلا يوقعه في نظيره . وقد تقدم في الحديث أن الله قال نعم وفي الحديث الآخر قال الله قد فعلت

وقوله ( أنت مولانا ) أى أنت ولينا وناصرنا وعليك توكلنا وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول لنا ولا قوة إلا بك ( فانصرنا على القوم الكافرين ) أى الذين جحدوا دينك وأنكروا وحدانيتك ورسالة نبيك وعبدوا غيرك وأشركوا معك من عبادك : فانصرنا عليهم ، واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والآخرة قال الله نعم وفي الحديث الذى رواه مسلم عن ابن عباس قال الله قد فعلت . وقال ابن جرير حدثني مثنى بن إبراهيم حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبي إسحق أن معاذ رضى الله عنه كان إذا فرغ من هذه السورة ( وانصرنا على القوم الكافرين ) قال أمين ورواه وكيع عن سفيان عن أبي إسحق عن رجل عن معاذ بن جبل أنه كان إذا ختم البقرة قال أمين

### ( تفسير سورة آل عمران وهى مدنية )

لأن صدرها إلى ثلاث وثمانين آية منها نزل في وفد نجران وكان قدومهم في سنة تسع من الهجرة كما سيأتى بيان ذلك عند تفسير آية الباهلة منها إن شاء الله تعالى وقد ذكرنا ما ورد في فضلها مع سورة البقرة أول البقرة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* أَلَمْ \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ \* نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ \* مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِبَيِّنَاتٍ مِّنَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ .

قد ذكرنا الحديث الوارد في أن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ( الله لا إله إلا هو الحي القيوم ) و ( الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم ) عند تفسير آية الكرسي وقد تقدم الكلام على قوله ( الم ) في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته وتقدم الكلام على قوله ( الله لا إله إلا هو الحي القيوم ) في تفسير آية الكرسي وقوله تعالى ( نزل عليك الكتاب بالحق ) يعنى نزل عليك القرآن يا محمد بالحق أى لا شك فيه ولا ريب بل هو منزل

من عند الله أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً وقوله ( مصدقاً لما بين يديه ) أى من الكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله والأنبياء فهى تصدقه بما أخبرت به وبشرت في قديم الزمان وهو يصدقها لأنه طابق ما أخبرت به وبشرت من الوعد من الله بإرسال محمد ﷺ وإنزال القرآن العظيم عليه. وقوله ( وأنزل التوراة ) أى على موسى بن عمران ( والإنجيل ) أى على عيسى بن مريم عليهما السلام ( من قبل ) أى من قبل هذا القرآن ( هدى للناس ) أى في زمانهما ( وأنزل الفرقان ) وهو الفارق بين الهدى والضلال والحق والباطل والنعى والرشاد بما يذكره الله تعالى من الحجج والبيئات والدلائل الواضحات ، والبراهين القاطعات ، وبينه ويوضحه ويفسره ويقرره ويرشد إليه وينبه عليه من ذلك وقال قتادة والربيع بن أنس الفرقان ههنا القرآن واختار ابن جرير أنه مصدر ههنا لتقدم ذكر القرآن في قوله ( نزل عليك الكتاب بالحق ) وهو القرآن . وأما مارواه ابن أبي حاتم عن أبي صالح أن المراد بالفرقان ههنا التوراة فضعيف أيضاً لتقدم ذكر التوراة والله أعلم .

وقوله تعالى ( إن الذين كفروا بآيات الله ) أى جحدوا بها وأنكروها ووردوها بالباطل ( لهم عذاب شديد ) أى يوم القيامة ( والله عزيز ) أى منيع الجناب عظيم السلطان ( ذواتنقام ) أى ممن كذب بآياته وخالف رسله الكرام وأنبياءه العظام

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ \* هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

يخبر تعالى أنه يعلم غيب السماء والأرض لا يخفى عليه شيء من ذلك ( هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء ) أى يخلقكم فى الأرحام كما يشاء من ذكروا نثى وحسن وقبيح وشقى وسعيد ( لا إله إلا هو العزيز الحكيم ) أى هو الذى خلق وهو المستحق للالهية وحده لا شريك له وله العزة التى لا ترام، والحكمة والأحكام ، وهذه الآية فيها تعريض بل تصريح بأن عيسى بن مريم عبد مخلوق كما خلق الله سائر البشر لأن الله صوره فى الرحم وخلقها كما يشاء فكيف يكون لها كما زعمته النصارى عليهم لعائن الله وقد تقلب فى الأحشاء وتقل من حال إلى حال كما قال تعالى ( يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث )

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ \* رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ \* رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾

يخبر تعالى أن فى القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أى بيئات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد ومنه آيات أخر فيها اشتباه فى الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس ولهذا قال تعالى ( هن أم الكتاب ) أى أصله الذى يرجع إليه عند الاشتباه ( وأخر متشابهات ) أى تحتل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتل شيئاً آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد وقد اختلفوا فى المحكم والمتشابه فروى عن السلف عبارات كثيرة فقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما المحكمات ناسخة وحلاله وحرامه وحدوده وأحكامه وما يؤمر به ويعمل به وعن ابن عباس أيضاً أنه قال المحكمات قوله تعالى ( قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً ) والآيات بعدها وقوله تعالى ( وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ) إلى ثلاث آيات بعدها ورواه ابن

أبي حاتم وحكاه عن سعيد بن جبير به قال حدثنا أبي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن إسحاق بن سويد أن يحيى بن يعمر وأبافاختة تراجعاً في هذه الآية (هن أم الكتاب وأخر متشابهات) فقال أبوفاختة: فوائح السور وقال يحيى بن يعمر: الفرائض والأمر والنهي والحلال والحرام. وقال ابن لبيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير: (هن أم الكتاب) لأنهن مكتوبات في جميع الكتب، وقال مقاتل بن حيان: لأنه ليس من أهل دين إلا يرضى بهن وقيل في المتشابهات: المنسوخة والمقدم والمؤخر والأمثال فيه والأقسام وما يؤمن به ولا يعمل به، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقيل هي الحروف المقطعة في أوائل السور قاله مقاتل بن حيان، وعن مجاهد المتشابهات يصدق بعضها بعضاً وهذا إنما هو في تفسير قوله (كتاباً متشابهاً مثاني) هناك ذكروا أن المتشابه هو الكلام الذي يكون في سياق واحد والثاني هو الكلام في شيئين متقابلين كصفة الجنة وصفة النار وذكر حال الأبرار وحال الفجار ونحو ذلك. وأما هاهنا فالمتشابه هو الذي يقابل الحكم وأحسن ما قيل فيه هو الذي قدمنا وهو الذي نص عليه محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله حيث قال (منه آيات محكمات) فهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم الباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه. قال: والمتشابهات في الصدق ليس لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام ألا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق

ولهذا قال الله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ) أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل (فيتبعون ما تشابه منه) أي إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها لاحتال لفظه لما يصرفونه فأما الحكم فلا نصيب لهم فيه لأنه دافع (١) لهم وحجة عليهم ولهذا قال الله تعالى (ابتغاء الفتنة) أي الاضلال لأتباعهم إيهاماً لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكنته ألقاها إلى مريم وروح منه وتركوا الاحتجاج بقوله (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) وبقوله (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله وعبد ورسول من رسل الله

وقوله تعالى (وابتغاء تأويله) أي تحريفه على ما يريدون وقال مقاتل بن حيان والسدى يتبعون أن يعاموا ما يكون وما عواقب الأشياء من القرآن وقد قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا يعقوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) إلى قوله (أولو الأبواب) فقال «إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فأحذروهم» هكذا وقع هذا الحديث في مسند الإمام أحمد من رواية ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها ليس بينهما أحد وهكذا رواه ابن ماجه من طريق إسماعيل بن علي وعبد الوهاب الثقفي كلاهما عن أيوب به ورواه محمد بن يحيى العبدى في مسنده عن عبد الوهاب الثقفي به وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب وكذا رواه غير واحد عن أيوب وقد رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أيوب به ورواه أبو بكر بن المنذر في تفسيره من طريقين عن أبي النعمان محمد بن الفضل السدوسي ولقبه عارم حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة به وتابع أيوب أبو عامر الخزاز وغيره عن ابن أبي مليكة فرواه الترمذي عن بندار عن أبي داود الطيالسي عن أبي عامر الخزاز فذكره ورواه سعيد بن منصور في سننه عن حماد بن يحيى عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة ورواه ابن جرير من حديث روح بن القاسم ونافع بن عمر الجمحي كلاهما عن ابن أبي مليكة عن عائشة وقال نافع في روايته عن ابن أبي مليكة حدثتني عائشة فذكره وقد روى هذا الحديث البخاري عند تفسير هذه الآية ومسلم في كتاب القدر من صحيحه وأبو داود في السنة من سننه ثلاثهم عن العقابي عن يزيد بن إبراهيم التستري عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) إلى قوله (وما يذكر إلا أولو الأبواب) قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا رأيتم الذين يتبعون

(١) وفي نسخة الأزهر (دامغ) وهي أظهر.

ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» لفظ البخارى ، وكذا رواه الترمذى أيضا عن بندار عن أبى داود الطيالسى عن يزيد بن إبراهيم به وقال حسن صحيح وذكر أن يزيد بن إبراهيم التستري تفرد بذكر القاسم فى هذا الاسناد وقد رواه غير واحد عن ابن أبى مليكة عن عائشة ولم يذكر القاسم كذا قال وقد رواه ابن أبى حاتم فقال حدثنا أبى حدثنا أبو الوليد الطيالسى حدثنا يزيد بن إبراهيم التستري وحماد بن سلمة عن ابن أبى مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى ( فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » وقال ابن جرير حدثنا على بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم عن حماد بن سلمة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد حذركم الله فإذا رأيتموهم فاحذروهم » ورواه ابن مردويه من طريق أخرى عن القاسم عن عائشة به وقال الإمام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد عن أبى غالب قال سمعت أبا أمامة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ( فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ) قال « هم الخوارج » وفى قوله تعالى ( يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ) قال « هم الخوارج » وقد رواه ابن مردويه من غير وجه عن أبى غالب عن أبى أمامة فذكره وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفا من كلام الصحابي ومعناه صحيح فإن أول بدعة وقعت فى الاسلام فتنة الخوارج وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين قسم النبي صلى الله عليه وسلم غنائم حين فكأنهم رأوا فى عقولهم الفاسدة أنه لم يعدك فى القسمة ففاجأوه بهذه المقالة فقال قائلهم وهو ذوالخويصرة بقر الله خاصرته اعدل فانك لم تعدل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل أيا منى (١) على أهل الأرض ولا تأمنونى » فلما قفا الرجل استأذن عمر بن الخطاب وفى رواية خالد بن الوليد فى قتله فقال « دعه فانه يخرج من ضنوء هذا أى من جنسه قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وقراءته مع قراءتهم يعرقون من الدين كما يعرق السهم من الرمية فأينا لقتيموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم أجرا لمن قتلهم » ثم كان ظهورهم أيام على بن أبى طالب رضى الله عنه وقتلهم بالنهر وان ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل وآراء وأهواء ومقالات ونحل كثيرة منتشرة ثم انبعثت القدرية ثم المعتزلة ثم الجهمية وغير ذلك من البدع التى أخبر عنها الصادق المصدوق عليه السلام فى قوله « وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة » قالوا وما هم (٢) يارسول الله ؟ قال « من كان على ما أنا عليه وأصحابى » أخرجه الحاكم فى مستدركه بهذه الزيادة

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو موسى حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا العتمر عن أبيه عن قتادة عن الحسن بن جندب ابن عبد الله أنه بلغه عن حذيفة أو سمعه منه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر « ان فى أمتى قوما يقرءون القرآن ينثرونه ثم الدقل يتأولونه على غير تأويله » لم يخرجوه

وقوله تعالى ( وما يعلم تأويله إلا الله ) اختلف القراء فى الوقف ههنا ف قيل على الجلالة كما تقدم عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : التفسير على أربعة أنحاء ، فتفسير لا يعذر أحد فى فهمه ، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها ، وتفسير يعلمه الراسخون فى العلم ، وتفسير لا يعلمه إلا الله : ويروى هذا القول عن عائشة وعروة وأبى الشعثاء وأبى نهيك وغيرهم وقال الحافظ أبو القاسم فى المعجم الكبير : حدثنا هاشم بن مرثد حدثنا محمد بن إسحاق بن عياش حدثنى أبى حدثنى ضمضم ابن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبى مالك الأشعري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . « لا أخاف على أمتى إلا ثلاث خلال أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتلوا وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذنه المؤمن ينتهى تأويله ( وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ) الآية وأن يزداد علمهم فيضيعوه ولا يسألون عنه » غريب جدا وقال ابن مردويه . حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا أحمد بن عمرو حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن أبى حاتم عن أبيه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن ابن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه (١) فى النسخة الأميرية . أما يأمننى وما هنا فيه تلفيق وهص كما يعلم من روايات الصحيحين وغيرها (٢) وفى نسخة الأزهر ومن هم .

بعضاً فما عرقتهم منه فاعملوا به وما تشابه منه فآمنوا به » وقال عبد الرزاق أننا معا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال: كان ابن عباس يقرأ وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون آمنا به . وكذا رواه ابن جرير عن عمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس أنهم يؤمنون به ولا يعلمون تأويله . وحكى ابن جرير أن قراءة عبد الله بن مسعود . إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وكذا عن أبي بن كعب واختار ابن جرير هذا القول ومنهم من يقف على قوله والراسخون في العلم وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول وقالوا الخطاب بما لا يفهم بعيد وقد روى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال : أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله . وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به . وكذا قال الربيع بن أنس وقال محمد بن إسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير : وما يعلم تأويله الذي أراد ما أراد إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ثم ردوا تأويل المتشابهات على ما عرفوا من تأويل المحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد فاتسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضاً فنذت الحجة وظهر به العذر وزاح به الباطل ودفع به الكفر ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » ومن العلماء من فصل في هذا المقام وقال : التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان أحدهما التأويل بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه ومنه قوله تعالى ( وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل ) وقوله ( هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله ) أى حقيقة ما أخبروا به من أمر العباد فإن أريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل ويكون قوله ( والراسخون في العلم ) مبتدأ و ( يقولون آمنا به ) خبره ، وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والبيان والتعريف عن الشيء كقوله ( نبئنا بتأويله ) أى بتفسيره فإن أريد به هذا المعنى فالوقف على ( والراسخون في العلم ) لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار وإن لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه وعلى هذا فيكون قوله ( يقولون آمنا به ) حالاً منهم وساغ هذا وأن يكون من المعطوف دون المعطوف عليه كقوله ( للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم - إلى قوله - يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا ) الآية ، وقوله تعالى ( وجاء ربك والملك صفاصفا ) أى وجاء الملائكة صفاصفا

وقوله إخباراً عنهم أنهم يقولون آمنا به أى التشابه كل من عند ربنا أى الجميع من الحكم والتشابه حق وصدق وكل واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له لأن الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله بمختلف ولا متضاد كقوله ( أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ) ولهذا قال تعالى ( وما يذكر إلا أولوا الأبواب ) أى إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها وأولو العقول السليمة والفهوم المستقيمة ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا نعم بن حماد حدثنا فياض الرقي حدثنا عبيد الله بن يزيد وكان قد أدرك أصحاب النبي ﷺ أنسا وأبا أمامة وأبا الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين في العلم فقال « من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم » . وقال الإمام أحمد حدثنا معمر عن الزهري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله ﷺ قوما يتدارءون فقال « إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وإنما أنزل كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً فلا تكذبوا بعضه ببعض فاعلمتم منه فقولوا به . وما جهلتم فكلوه إلى عالمه » وتقدم رواية ابن مردويه لهذا الحديث من طريق هشام بن عمار عن أبي حازم عن عمرو بن شعيب به ، وقد قال أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا زهير بن حرب حدثنا أنس بن عياض عن أبي حازم عن أبي سلمة قال : لأعلمه إلا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نزل القرآن على سبعة أحرف والمراء في القرآن كفر - قالها ثلاثاً - ما عرقتهم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه جل جلاله » وهذا إسناد صحيح ولكن فيه علة بسبب قول الراوى لأعلمه إلا عن أبي هريرة . وقال ابن المنذر في تفسيره : حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد قال: يقال الراسخون في العلم المتواضعون لله المتدللون لله في مرضاته لا يتعاضمون

على من فوقهم ولا يحقرون من دونهم . ثم قال تعالى عنهم مخبرا أنهم دعوا ربهم قائلين (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا )  
أى لاتملها عن الهدى بعد إذ أقمنا عليها ولا تجعلنا كالكافرين في قلوبهم زيغ الذين يتبعون ماتشابه من القرآن ولكن  
ثبتنا على صراطك المستقيم ، ودينك القويم ( وهب لنا من لدنك رحمة ) تثبت بها قلوبنا ، وتجمع بها شملنا ، وتزيدنا  
بها إيماننا وإيقاننا ( إنك أنت الوهاب ) قال ابن أبي حاتم . حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي وقال ابن جرير حدثنا أبو  
كريب قال جميعا حدثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقول « يامقلب  
القلوب ثبت قلبي على دينك » ثم قرأ ( ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب )  
ورواه ابن مردويه من طريق محمد بن بكار عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة عن أسماء بنت يزيد  
ابن السكن سمعتها تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من دعائه « اللهم مقبل القلوب ثبت قلبي على  
دينك » قالت : قلت يا رسول الله وإن القلب ليتقلب ؟ قال « نعم ما خلق الله من نبي آدم من بشر إلا أن قلبه بين أصبعين  
من أصابع الله عز وجل فإن شاء أقامه وإن شاء أزاعه » فنسأل الله ربنا أن لا يزيع قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله  
أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب - وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسد بن موسى عن عبد الحميد بن بهرام  
به مثله ورواه أيضا عن المثني عن الحجاج بن منهال عن عبد الحميد بن بهرام به مثله وزاد قلت يا رسول الله ألا تعلمنى  
دعوة أدعو بها لنفسي قال « بلى قولى اللهم رب محمد النبي اغفر لى ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن »  
ثم قال ابن مردويه حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن هرون بن بكار الدمشقي حدثنا العباس بن الوليد الخليل أنا  
يزيد بن يحيى بن عبيد الله أنا سعيد بن بشير عن قتادة عن حسان الأعرج عن عائشة رضى الله عنها قالت . كان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يدعو « يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قلت يا رسول الله ما أكثر ما تدعو بهذا  
الدعاء فقال « ليس من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن إذا شاء أن يقيمه أقامه وإذا شاء أن يزيعه أزاعه  
أما سمعنى قوله ( ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ) » غريب من هذا الوجه  
ولكن أصله ثابت في الصحيحين وغيرها من طرق كثيرة بدون زيادة ذكر هذه الآية الكريمة ، وقد رواه أبو داود  
والنسائي وابن مردويه من حديث أبي عبد الرحمن القبرى زاد النسائي وابن حبان وعبد الله بن وهب كلاهما عن سعيد  
ابن أبي أيوب حدثنى عبد الله بن الوليد التجيبى عن سعيد بن المسيب عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم كان إذا استيقظ من الليل قال « لا إله إلا أنت سبحانك أستغفرك لذنبى وأسألك رحمتك اللهم زدنى علما  
ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتى وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » لفظ ابن مردويه . وقال عبد الرزاق عن  
مالك عن أبي عبيد مولى سليمان بن عبد الملك عن عبادة بن نسي أنه أخبره أنه سمع قيس بن الحارث يقول أخبرنى أبو  
عبد الله الصنابحى أنه صلى وراء أبى بكر الصديق رضى الله عنه المغرب فقرأ أبوبكر فى الركعتين الأوليين بأمر القرآن  
وسورتين من قصار الفصل وقرأ فى الركعة الثالثة قال فدنوت منه حتى إن ثيابى لتسكاد تمس ثيابه فسمعتة يقرأ بأمر القرآن  
وهذه الآية ( ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ) الآية . قال أبو عبيد : وأخبرنى عبادة بن نسي أنه كان عند عمر بن  
عبد العزيز فى خلافته فقال عمر لقيس : كيف أخبرتنى عن أبى عبد الله قال عمر فما تركناها منذ سمعناها منه وإن  
كنت قبل ذلك لعلى غير ذلك ، فقال له رجل على أى شىء كان أمير المؤمنين قبل ذلك قال كنت أقرأ ( قل هو الله  
أحد ) وقد روى هذا الأثر الوليد بن مسلم عن مالك والأوزاعى كلاهما عن أبى عبيد به وروى هذا الأثر الوليد أيضا  
عن ابن جابر عن يحيى بن يحيى النسائى عن محمود بن ليلى عن الصنابحى أنه صلى خلف أبى بكر المغرب فقرأ فى الأوليين بفاتحة  
الكتاب وسورة قصيرة يجهر بالقراءة فلما قام إلى الثالثة ابتدأ القراءة فدنوت منه حتى إن ثيابى لتمس ثيابه فقرأ هذه الآية  
( ربنا لاتزغ قلوبنا ) الآية

وقوله ( ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ) أى يقولون فى دعائهم إنك ياربنا ستجمع بين خلقك يوم معادهم  
وتفصل بينهم وتحكم فيهم فيما اختلفوا فيه وتجزى كلا بعمله وما كان عليه فى الدنيا من خير وشر

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ \* كَذَّابِ  
 آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

يخبر تعالى عن الكفار بأنهم وقود النار (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وليس ما أوتوه في الدنيا من الأموال والأولاد بنافع لهم عند الله ولا بمنجهم من عذابه وأليم عقابه كما قال تعالى (ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليذهبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) وقال تعالى (لا يفرنك تغلب الذين كفروا في البلاد، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وقال ههنا (إن الذين كفروا) أي آيات الله وكذبوا رسله وخالفوا كتابه ولم ينتفعوا بوحيه إلى أنبيائه (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار) أي حطبها الذي تسجر به وتوقد به كقوله (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) الآية. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا ابن لهيعة أخبرني ابن الهاد عن هند بنت الحارث عن أم الفضل أم عبد الله بن عباس قالت بيننا نحن بمكة قام رسول الله ﷺ من الليل فنأدى « هل بلغت اللهم هل بلغت » ثلاثاً فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال نعم ثم أصبح فقال رسول الله ﷺ « ليظهرن الإسلام حتى يرد الكفر إلى موطنه ، وليخوضن رجال البحار بالإسلام ، وليأتين على الناس زمان يتعلمون القرآن ويقرؤونه ثم يقولون قرأنا وعلمنا فمن هذا الذي هو خير منا ، فهل في أولئك من خير؟ » قالوا يا رسول الله فمن أولئك؟ قال « أولئك منكم وهم وقود النار » وقد رواه ابن مردويه من حديث يزيد بن عبد الله ابن الهاد عن هند بنت الحارث امرأة عبد الله بن شداد عن أم الفضل أن رسول الله ﷺ قام ليلة بمكة فقال « هل بلغت » يقولها ثلاثاً فقام عمر بن الخطاب وكان أواها فقال اللهم نعم وحرصت وجهدت ونصحت فاصبر ؛ فقال النبي ﷺ « ليظهرن الإيمان حتى يرد الكفر إلى موطنه وليخوضن رجال البحار بالإسلام وليأتين على الناس زمان يقرؤون القرآن فيقرؤونه ويعلمونه فيقولون قد قرأنا وقد علمنا فمن هذا الذي هو خير منا؟ فما في أولئك من خير؟ » قالوا يا رسول الله فمن أولئك قال « أولئك منكم أولئك هم وقود النار » ثم رواه من طريق موسى بن عبيدة عن محمد بن إبراهيم عن بنت الهاد عن العباس بن عبد المطلب بنحوه

وقوله تعالى (كذاب آل فرعون) قال الضحاك عن ابن عباس : كصنيع آل فرعون وكذا روى عن عكرمة ومجاهد وأبي مالك والضحاك وغير واحد ، ومنهم من يقول : كسنة آل فرعون وكفعل آل فرعون وكشبه آل فرعون والألفاظ متقاربة والدأب بالتسكين والتحريك أيضاً كنهز ونهر هو الصنيع والحال والشأن والأمر والعادة كما يقال لا يزال هذا دأبى ودأبك ، وقال امرؤ القيس :

وقوفها محبى على مطهم \* يقولون لا تأسف (١) أسى وتجمل \* كدأبك من أم الحويرث قبلها \* وجارتها أم الرباب بمأسل والمعنى كعادتك في أم الحويرث حين أهلكت نفسك في حبا وبكيت دارها ورسمها، والمعنى في الآية أن الكافرين لا تغني عنهم الأموال ولا الأولاد بل يهلكون ويعذبون كما جرى لآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين للرسول فيما جاءوا به من آيات الله وحججه ( والله شديد العقاب ) أى شديد الأخذ أليم العذاب لا يمتنع منه أحد ولا يفوته شيء بل هو الفعال لما يريد الذي قد غلب كل شيء لا إله غيره ولا رب سواه

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتَابُونَ وَنَحْشُرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ \* قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ تَمْتَنَّا فِتْنَةً يُتَمَتَّلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْآخَرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

يقول تعالى قل يا محمد للكافرين ستغلبون أى فى الدنيا وتحشرون أى يوم القيامة إلى جهنم وبئس المهاد . وقد ذكر محمد بن إسحق بن يسار عن عاصم بن عمرو بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع وقال « يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشا » فقالوا يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمار لا يعرفون القتال إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس وأنت لم تلق مثلنا فأنزل الله فى ذلك من قولهم ( قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد - إلى قوله - لعبرة لأولى الأبصار ) وقد رواه محمد بن إسحق أيضا عن محمد بن أبى محمد عن سعيد وعكرمة عن ابن عباس فذكروه ، ولهذا قال تعالى ( قد كان لكم آية ) أى قد كان لكم أيها اليهود القائلون ما قتلتم آية أى دلالة على أن الله مع دينه ، وناصر رسوله ، ومظهر كلمته ، ومعل أمره ( فى فئتين ) أى طائفتين ( التقتا ) أى للقتال ( فئته تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة ) وهم مشركو قريش يوم بدر ، وقوله ( يرونهم مثلهم رأى العين ) قال بعض العلماء فيما حكاه ابن جرير يرى المشركون يوم بدر المسلمين مثلهم فى العدد رأى أعينهم أى جعل الله ذلك فى رأوه سبباً لنصرة الإسلام عليهم ، وهذا لا إشكال عليه إلا من جهة واحدة وهى أن المشركين بعثوا عمر بن سعد يومئذ قبل القتال يحجز لهم المسلمين فأخبرهم بأنهم ثلاثمائة يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً ، وهكذا كان الأمر . كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ثم لما وقع القتال أمدمهم الله بألف من خواص الملائكة وساداتهم ( والقول الثانى ) أن المعنى فى قوله تعالى ( يرونهم مثلهم رأى العين ) أى يرى الفئة المسلمة الفئة الكافرة مثلهم أى ضعيفهم فى العدد ومع هذا نصرهم الله عليهم ، وهذا لا إشكال فيه على ما رواه العوفى عن ابن عباس : أن المؤمنين كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً والمشركين كانوا ستائة وستة وعشرين وكان هذا القول مأخوذ من ظاهر هذه الآية ولكنه خلاف المشهور عند أهل التواريخ والسير وأيام الناس ، وخلاف المعروف عند الجمهور أن المشركين كانوا مابين تسعمائة إلى ألف كما رواه محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأل ذلك العبد الأسود لبى الحجاج عن عتبة قريش قال : كثير قال « كم ينحرون كل يوم » قال يومئذ يومئذ ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « القوم مابين تسعمائة إلى ألف » . وروى أبو إسحق السبيعي عن جارية عن علي بن رضى الله عنه قال : كانوا ألفاً ، وكذا قال ابن مسعود والمشهور أنهم كانوا مابين التسعمائة إلى الألف وعلى كل تقدير فقد كانوا ثلاثة أمثال المسلمين ، وعلى هذا فيشكل هذا القول والله أعلم ، لكن وجه ابن جرير هذا وجعله صحيحاً كما تقول عندى ألف وأنا محتاج إلى مثلها وتكون محتاجا إلى ثلاثة آلاف كذا قال ، وعلى هذا فلا إشكال لكن بقى سؤال آخر وهو وارد على القولين ، وهو أن يقال ما الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فى قصة بدر ( وإذ يريدكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلاً ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ) فالجواب أن هذا كان فى جالة والآخر كان فى حالة أخرى كما قال السدى عن الطيب عن ابن مسعود فى قوله تعالى ( قد كان لكم آية فى فئتين التقتا ) الآية قال . هذا يوم بدر . قال عبد الله بن مسعود . وقد نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا إليهم فرأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً وذلك قوله تعالى ( وإذ يريدكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلاً ويقللكم فى أعينهم ) الآية : وقال أبو إسحق عن أبى عبدة عن عبد الله بن مسعود قال لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل إلى جانبي تراهم سبعين قال : أراهم مائة قال : فأسرنا رجلاً منهم فقلنا كم كنتم ؟ قال . ألفاً ، فعند ما عاب كل من الفريقين الآخر رأى المسلمون المشركين مثلهم أى أكثر منهم بالضعف ليتوكلوا ويتوجهوا ويطلبوا الإعانة من ربهم عز وجل ورأى المشركون المؤمنين كذلك ليحصل لهم الرعب والخوف والجزع والهلح ثم لما حصل التصاف والتقى الفريقان قلل الله هؤلاء فى أعين هؤلاء وهؤلاء فى أعين هؤلاء ليقدّم كل منهما على الآخر ( ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ) أى ليفرق بين الحق والباطل فيظهر كلمة الإيمان على الكفر والظفیان ، ويعز المؤمنين ويذل الكافرين ، كما قال تعالى ( ولقد نصركم الله ببدر وأتم أذلة ) وقال ههنا ( والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار ) أى إن فى ذلك لعبرة لمن له بصيرة وفهم ليهتدى به إلى حكم الله وأفعاله وقدره الجارى بنصر عباده

المؤمنين في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْمَنْطَرِ الْمَمْنَطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ قُلْ أَوْ نَبِّئِكُمْ بِخَيْرِ مِمَّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿

يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد كما ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال « ما تركت بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء » فأما إذا كان القصد بهن الاعفاف وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه كما وردت الأحاديث بالترغيب في التزويج والاستكثار منه وأن خير هذه الأمة من كان أكثرها نساء وقوله صلى الله عليه وسلم « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله » وقوله في الحديث الآخر « حبيب إلى النساء والطيب وجعلت قرعة عيني في الصلاة » . وقالت عائشة رضی الله عنها : لم يكن شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء إلا الخيل ، وفي رواية من الخيل إلا النساء : وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة فهو داخل في هذا ، وتارة يكون لتكثير النسل وتكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ممن يعبد الله وحده لا شريك له ، فهذا محمود (١) ممدوح كما ثبت في الحديث « تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثركم بهم الأمم يوم القيامة » وحب المال كذلك تارة يكون للفخر والحياء والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء فهذا مذموم ، وتارة يكون للنفقة في القرابات وصلة الأرحام والقرابات ووجوه البر والطاعات فهذا ممدوح محمود شرعاً . وقد اختلف المفسرون في مقدار القنطار على أقوال وحاصلها أنه المال الجزيل كما قاله الضحاك وغيره ، وقيل : ألف دينار ، وقيل ألف ومائتا دينار ، وقيل اثنا عشر ألفاً ، وقيل أربعون ألفاً ، وقيل ستون ألفاً ، وقيل سبعون ألفاً ، وقيل ثمانون ألفاً وقيل غير ذلك : وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القنطار اثنا عشر ألف أوقية كل أوقية خير مما بين السماء والأرض » وقد رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد بن سلمة به ، وقد رواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدي عن حماد بن سلمة (٢) عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة موقوفاً كرواية وكيع في تفسيره حيث قال : حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن ذكوان أبي صالح عن أبي هريرة قال « القنطار اثنا عشر ألف أوقية الأوقية خير مما بين السماء والأرض » وهذا أصح ، وهكذا رواه ابن جرير عن معاذ بن جبل وابن عمر ، وحكاه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة وأبي الدرداء أنهم قالوا : القنطار ألف ومائتا أوقية ثم قال ابن جرير رحمه الله : حدثنا كريب بن يحيى الضريير حدثنا شعبة حدثنا محمد بن عبد الواحد عن علي بن زيد عن عطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القنطار ألف أوقية ومائتا أوقية » وهذا حديث منكر أيضاً والأقرب أن يكون موقوفاً على أبي بن كعب كغيره من الصحابة . وقد روى ابن مردويه من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن إبراهيم عن موسى عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية إلى ألف أصبح له قطار من الأجر عند الله القنطار منه مثل الجبل العظيم » ورواه وكيع عن موسى بن عبيدة بمعناه . وقال الحاكم في مستدركه . حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عيسى ابن زيد اللخمي حدثنا محمد بن عمرو بن أبي سلمة حدثنا زهير بن محمد حدثنا حميد الطويل ورجل آخر عن أنس بن مالك قال

(١) في نسخة الأزهر مسود عليه (٢) وفيها ابن زيد كما في تفسير ابن جرير .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى ( القناطير المنظرة ) ؟ قال . « القنطار ألفا أوقية » صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وهكذا رواه الحاكم ، وقد رواه ابن أبي حاتم بلفظ آخر فقال ، أنبأنا أحمد بن عبد الرحمن الرقي أنبأنا عمرو بن أبي سلمة أنبأنا زهير يعني ابن محمد أنبأنا حميد الطويل ورجل آخر قد سماه يعني زيد الرقاشي عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « قنطار يعني ألف دينار » وهكذا رواه الطبراني (١) عن عبد الله بن محمد ابن أبي مريم عن عمرو بن أبي سلمة فذكر بإسناد مثله سواء . وروى ابن جرير عن الحسن البصري عنه مرسل أو موقوفا عليه القنطار ألف ومائتا دينار ، وهو رواية العوفي عن ابن عباس . وقال الضحاك . من العرب من يقول القنطار ألف ومائتا دينار ، ومنهم من يقول . اثنا عشر ألفا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عارم عن حماد عن سعيد الحرسي عن أبي نصرته عن أبي سعيد الخدري قال القنطار مائة مسك الثور ذهباً ، قال أبو محمد . ورواه محمد بن موسى الحرسي عن حماد ابن زيد مرفوعاً ، والموقوف أصح

﴿ وحب الخيل على ثلاثة أقسام ﴾ تارة يكون ربطها أصحابها معدة لسبيل الله متى احتاجوا إليها غزوا عليها فهو لاء يثابون وتارة تربط فخرا ونواء لأهل الإسلام فهذه على صاحبها وزر وتارة للتعفف واقتناء نسلها . ولم ينس حق الله في رقابها فهذه لصاحبها ستر كما سيأتي الحديث بذلك إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى ( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ) الآية : وأما المسومة فعن ابن عباس رضى الله عنهما المسومة الراعية والمطهمة الحسان وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعبدالرحمن بن عبد الله بن أبزي والسدي والربيع بن أنس وأبي سنان وغيرهم : وقال مكحول . المسومة الغرة والتحجيل وقيل غير ذلك وقد قال الإمام أحمد . حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الحميد بن جعفر عن يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس عن معاوية بن خديج عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس من فرس عربى إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين يقول : اللهم إنك خولتني من خولتني من بنى آدم فاجعلني من أحب ماله وأهله إليه أو أحب أهله وماله إليه » وقوله تعالى ( والأنعام ) يعني الابل والبقرة والغنم والحارث ) يعني الأرض المتخذة للغراس والزراعة : وقال الإمام أحمد . حدثنا روح بن عباد حدثنا أبو نعيم العدوى عن مسلم ابن بديل عن إياس بن زهير عن سويد بن هيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « خير مال امرئ له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة » المأبورة الكثيرة النسل ، والسكة النخل المصطف والمأبورة الملقحة

ثم قال تعالى ( ذلك متاع الحياة الدنيا ) أى إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة ( والله عنده حسن المآب ) أى حسن المرجع والثواب

وقد قال ابن جرير . حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي بكر بن حفص بن عمر بن سعد قال : قال عمر بن الخطاب لما نزلت ( زين للناس حب الشهوات ) قلت . الآن يارب حين زينتها لنا فنزلت ( قل أو نبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا ) الآية ، ولهذا قال تعالى ( قل أو نبئكم بخير من ذلكم ) أى قل يا محمد للناس أو أخبركم بخير مما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من زهرتها ونعيمها الذى هو زائل لا محالة ثم أخبر عن ذلك فقال ( للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار ) أى تنخرق بين جوانبها وأرجائها الأنهار من أنواع الأشربة من العسل واللبن والحمر والماء وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ( خالدون فيها ) أى ما كثر فيها أبد الآباد لا يبغون عنها حولا ، ( وأزواج مطهرة ) أى من الدنس والخبث والأذى والحبض والنفاس وغير ذلك مما يعترى نساء الدنيا ( ورضوان من الله ) أى يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبداً ، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى التى فى براءة ( ورضوان من الله أكبر ) أى أعظم مما أعطاهم من النعيم المقيم ، ثم قال تعالى ( والله بصير بالعباد ) أى يعطى كلا بحسب ما يستحقه من العطاء

﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ \* الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾

يصف تبارك وتعالى عباده المتقين الذين وعدهم الثواب الجزيل فقال تعالى (الذين يقولون ربنا إنا آتينا) أى بك وبكتابتك وبرسولك (فاغفر لنا ذنوبنا) أى بإيماننا بك وبما شرعته لنا فاغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا من أمرنا (١) بفضلك ورحمتك (وقنا عذاب النار) ثم قال تعالى (الصابرين) أى فى قيامهم بالطاعات وتركهم المحرمات (والصادقين) فيما أخبروا به من إيمانهم بما يلزمونه من الأعمال الشاقة (والقاتنين) والقنوت الطاعة والخضوع (والنذيقين) أى من أمواليهم فى جميع ما أمروا به من الطاعات ، وصلة الأرحام والقربات ، وسد الخلات ، ومواساة ذوى الحاجات (والستغفرين بالأسحار) دل على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار ، وقد قيل : إن يعقوب عليه السلام لما قال لبيه (سوف أستغفر لكم ربى) إنه أخرهم إلى وقت السحر . وثبت فى الصحيحين وغيرهما من المساند والسنن من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل الله تبارك وتعالى فى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من داع فأستجيب له ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ » الحديث وقد أورد الحافظ أبو الحسن الدارقطنى فى ذلك جزءا على حدة فرواه من طرق متعددة . وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : من كل الليل قد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوله وأوسطه وآخره فاتته وتره إلى السحر . وكان عبد الله بن عمر يصلى من الليل ثم يقول : يا نافع هل جاء السحر ؟ فإذا قال : نعم ، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح . رواه ابن أبى حاتم . وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع حدثنا أبى عن حريث بن أبى مطر عن إبراهيم بن حاطب عن أبيه قال : سمعت رجلا فى السحر فى ناحية المسجد وهو يقول : يارب أمرتنى فأطعتك وهذا السحر فاغفر لى . فنظرت فإذا هو ابن مسعود رضى الله عنه . وروى ابن مردويه عن أنس بن مالك قال كنا نؤمر إذا صلينا من الليل أن نستغفر فى آخر السحر سبعين مرة

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \*  
 إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ  
 بِمَا آتَى اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ \* فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
 وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾

شهد تعالى وكفى به شهيدا وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم وأصدق القائلين (أنه لا إله إلا هو) أى المنفرد بالالهية لجميع الخلائق وأن الجميع عبيده وخلقه وفقراء اليه وهو الغنى عما سواه كما قال تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل إليك) الآية ثم قرن شهادة ملائكته وأولى العلم بشهادته فقال (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم) وهذه خصوصية عظيمة للعلماء فى هذا المقام (قائما بالقسط) منصوب على الحال وهو فى جميع الأحوال كذلك (لا إله إلا هو) تأكيد لمسبق (العزیز الحكيم) العزيز الذى لا يرام جنباه عظمة وكبرياء ، الحكيم فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقية بن الوليد حدثني جبير بن عمرو القرشى حدثنا أبو سعيد الأنصارى عن أبى يحيى مولى آل الزبير بن العوام عن الزبير بن العوام قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة يقرأ هذه الآية (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) وأنا على ذلك من الشاهدين يارب وقد رواه ابن أبى حاتم من وجه آخر فقال حدثنا علي بن حسين حدثنا محمد بن المتوكل العسقلانى حدثنا عمر بن حفص بن ثابت أبو سعيد الأنصارى حدثنا عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده عن الزبير قال سمعت رسول الله ﷺ حين قرأ هذه الآية (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة) قال قال « وأنا أشهد أى رب » وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى المعجم الكبير حدثنا عبدان بن أحمد وعطى بن سعيد (١) كذا وإنما يقال قصر فى الأمر وقصر عن فلان أو عن الغاية والنزلة .

الرازي قالاً حدثنا عمار بن عمر المختار حدثني أبي حدثني غالب القطان قال : أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريباً من الأعمش فلما كانت ليلة أردت أن أنحدر قام فتهجد من الليل فمر بهذه الآية (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، إن الدين عند الله الإسلام ) ثم قال الأعمش : وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لى عند الله وديعة ( إن الدين عند الله الإسلام ) قالها مراراً ، قلت : لقد سمع فيها شيئاً فعدوت إليه فودعته ثم قلت يا أبا محمد إني سمعتك تردده هذه الآية ، قال : أو ما بلغك ما فيها قلت : أنا عندك منذ شهر لم تحدثني قال : والله لا أحدثك بها إلى سنة فأقمت سنة فكننت على بابه فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد مضت السنة قال : حدثني أبو وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل عبدى عهد إلىّ وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة » وقوله تعالى ( إن الدين عند الله الإسلام ) إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ الذى سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد صلى الله عليه وسلم فمن لقي الله بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بدين على غير شريعته فليس بمتقبل كما قال تعالى ( ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ) الآية . وقال في هذه الآية مخبراً بانحصار الدين المتقبل منه عنده في الإسلام ( إن الدين عند الله الإسلام ) . وذكر ابن جرير أن ابن عباس قرأ ( شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم أن الدين عند الله الإسلام ) بكسر إنه وفتح أن الدين عند الله الإسلام أى شهد هو والملائكة وأولو العلم من البشر بأن الدين عند الله الإسلام ، والجمهور قرءوها بالكسر على الخبر وكلا المعنيين صحيح ، ولكن هذا على قول الجمهور أظهر والله أعلم ثم أخبر تعالى بأن الذين أوتوا الكتاب الأول إنما اختلفوا بعد ما قامت عليهم الحجة بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم فقال ( وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ) أى بغى بعضهم على بعض فاختلفوا في الحق تنجاسدهم وتباغضهم وتدابيرهم فحمل بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله وإن كانت حقاً ، ثم قال تعالى ( ومن يكفر بآيات الله ) أى من جحد ما أنزل الله في كتابه ( فإن الله سريع الحساب ) أى فان الله سيجازيه على ذلك ويحاسبه على تكذيبه ويعاقبه على مخالفته كتابه

ثم قال تعالى ( فإن حاجوك ) أى جادلوك في التوحيد ( فقل أسألت وجهي لله ومن اتبعن ) أى فقل أخلصت عبادتي لله وحده لأشريك له ولا ندله ولا ولد له ولا صاحبة له ( ومن اتبعن ) أى على ديني يقول كقائلني كما قال تعالى ( قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن ) الآية ثم قال تعالى أمرا لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى طريقته ودينه والدخول في شرعه وما بعثه الله به . الكتابيين من المؤمنين والأميين من المشركين فقال تعالى ( وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أسأمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ) أى والله عليه حسابهم واليه مرجعهم وما بهم وهو الذى يهتدى من يشاء ويضل من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ولهذا قال تعالى ( والله بصير بالعباد ) أى هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة وهو الذى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ) وما ذلك إلا لحكمته ورحمته ، وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق كما هو معلوم من دينه ضرورة ، وكما دل عليه الكتاب والسنة في غير ما آية وحديث فمن ذلك قوله تعالى ( قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ) وقال تعالى ( تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ) . وفي الصحيحين وغيرها مما ثبت تواتره بالوقائع المتعددة أنه ﷺ بعث كتبه يدعو إلى الله ملوك الآفاق وطوائف بني آدم من عربهم وعجمهم كتابيهم وأمهم امتثالاً لأمر الله له بذلك . وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن هام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « والذى نفسى بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أهل النار » رواء مسلم . وقال ﷺ « بعثت إلى الأحمر والأسود » وقال « كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة »

وقال الإمام أحمد : حدثنا مؤمل حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس رضى الله عنه : أن غلاماً يهودياً كان يضع للنبي ﷺ وضوءه ويناوله نعليه فرض فأتاه النبي ﷺ فدخل عليه وأبوه قاعد عند رأسه فقال له النبي ﷺ « يا فلان قل لا إله إلا الله » فنظر إلى أبيه فسكت أبوه فأعاد عليه النبي ﷺ فنظر إلى أبيه فقال أبوه : أطع أبا القاسم . فقال الغلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فخرج النبي ﷺ وهو يقول « الحمد لله الذي أخرجه بي من النار » رواه البخارى فى الصحيح ، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَأْوَاهُمْ مِنَ النَّصْرِينَ ﴾

هذا ذم من الله تعالى لأهل الكتاب بما ارتكبه من المآثم والحارم فى تكذيبهم بآيات الله فديماً وحديثاً التى بلغتهم إياها الرسل استكباراً عليهم وعناداً لهم وتعاضماً على الحق واستنكافاً عن اتباعه ومع هذا قتلوا من قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه بغير سبب ولا جريمة منهم اليهم إلا لكونهم دعوهم إلى الحق ( ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ) وهذا هو غاية الكبر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « الكبر بطل الحق وغمط الناس » . وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو الزبير الحسن بن على بن مسلم النيسابورى نزيل مكة حدثنى أبو حفص عمر بن حفص يعنى ابن ثابت بن زرارة الأنصارى حدثنا محمد بن حمزة حدثنا أبو الحسن مولى لبنى أسد عن مكحول عن أبى قبيصة بن ذئب الخزاعى عن أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله أى الناس أشد عذاباً يوم القيامة ؟ قال « رجل قتل نبياً أو من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر » ثم قرأ رسول الله ﷺ ( إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم ) الآية ثم قال رسول الله ﷺ « يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة وسبعون رجلاً من بنى إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوهم جميعاً من آخر النهار من ذلك اليوم ، فهم الذين ذكر الله عزوجل » وهكذا رواه ابن جرير عن أبى عبيد الوصابى محمد بن حفص عن ابن حمير عن أبى الحسن مولى بنى أسد عن مكحول به ، وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قتلت بنو إسرائيل ثلاثمائة نبى من أول النهار وأقاموا سوق بقلهم من آخره ، رواه ابن أبى حاتم . ولهذا لما أن تكبروا عن الحق واستكبروا على الخلق قابلهم الله على ذلك بالدلة والصغار فى الدنيا والعذاب المهين فى الآخرة فقال تعالى ( فبشرهم بعذاب أليم ) أى موجع مهين ( أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين )

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ \* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّبَهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ \* فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى منكراً على اليهود والنصارى التمسكين فيما يزعمون بكتابهم اللذين بأيديهم وهم التوراة والانجيل وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيها من طاعة الله فيما أمرهم به فيها من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم تولوا وهم معرضون عنها ، وهذا فى غاية ما يكون من ذمهم والتنويه بذكرهم بالخالفه والعناد ثم قال تعالى ( ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات ) أى إنما حملهم وجراهم على مخالفة الحق افتراؤهم على الله فيما ادعوه لأنفسهم أنهم إنما يعذبون فى النار سبعة أيام عن كل ألف سنة فى الدنيا يوماً ، وقد تقدم تفسير ذلك فى سورة البقرة . ثم قال تعالى ( وغرهم فى

دينهم ما كانوا يفترون) أى ثبتهم على دينهم اللاطل ماخدعوا به أنفسهم من زعمهم أن النار لا تمسهم بذنوبهم إلا أياما معدودات وهم الذين افتروا هذا من تلقاء أنفسهم واختلقوه ولم ينزل الله به سلطانا ، قال الله تعالى متهددا لهم ومتوعدا ( فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ) أى كيف يكون حالهم وقد افتروا على الله وكذبوا رسله وقتلوا أنبياءه والعلماء من قومهم الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر والله تعالى سائلهم عن ذلك كله وحاكم عليهم ومجازيهم به ، ولهذا قال تعالى ( فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ) أى لاشك في وقوعه وكونه ( ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون )

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

يقول تبارك وتعالى (قل) يا محمد معظما لربك وشاكرآ له ومفوضاً اليه ومتوكلا عليه (اللهم مالك الملك) أى لك الملك كله (تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء) أى أنت العطي وأنت المانع وأنت الذى ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن . وفي هذه الآية تنبيه وإرشاد إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ وهذه الأمة لأن الله تعالى حول النبوة من بنى إسرائيل إلى النبي العربي القرشى الأسمى المكي خاتم الأنبياء على الاطلاق ، ورسول الله إلى جميع الثقيلين الإنس والجن ، الذى جمع الله فيه محاسن من كان قبله وخصه بخصائص لم يعطها نبياً من الأنبياء ولا رسولا من الرسل فى العلم بالله وشريعته واطلاعه على الغيوب الماضية والآتية وكشفه له عن حقائق الآخرة ونشر أمته فى الآفاق فى مشارق الأرض ومغاربها وإظهار دينه وشرعه على سائر الأديان والشرايع فصوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ما تعاقب الليل والنهار ، ولهذا قال تعالى ( قل اللهم مالك الملك ) الآية أى أنت المتصرف فى خلقك الفعال لما تريد كما رد تعالى على من يحكم<sup>(١)</sup> عليه فى أمره حيث قال ( وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ) قال الله ردأ عليهم ( أهم يقسمون رحمة ربك ) الآية أى نحن نتصرف فيما خلقنا كما نريد بلا ممانع ولا مدافع ولنا الحكمة البالغة والحجة التامة فى ذلك وهكذا يعطى النبوة لمن يريد كما قال تعالى ( الله أعلم حيث يجعل رسالته ) وقال تعالى ( انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ) الآية<sup>(٢)</sup> وقد روى الحافظ بن عساكر فى ترجمة إسحق ابن أحمد من تاريخه عن المأمون الخليفة أنه رأى فى قصر ببلاد الروم مكتوبا بالخييرية فعرّب له فإذا هو باسم الله ما اختلف الليل والنهار ولادارت نجوم السماء فى الفلك إلا ينقل النعيم عن ملك قد زال سلطانه إلى ملك . وملك ذى العرش دائم أبداً ليس بفان ولا بمشترك ، وقوله تعالى ( تولى الليل فى النهار وتولى النهار فى الليل ) أى تأخذ من طول هذا فتزیده فى قصر هذا فيعتدلان ثم تأخذ من هذا فى هذا فيتفاوتان ثم يعتدلان ، وهكذا فى فصول السنة ربعاً وصيفا وخريفاً وشتاء ، وقوله تعالى ( وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى ) أى تخرج الزرع من الحب ، والحب من الزرع والنخلة من النواة والنواة من النخلة ، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ، والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة ، وما جرى هذا المجرى من جميع الأشياء ( وترزق من تشاء بغير حساب ) أى تعطى من شئت من المال ما لا يعده ولا يقدر على إحصائه وتقدر على آخرين لملك فى ذلك من الحكمة والارادة والمشیئة قال الطبرانى : حدثنا محمد بن زكريا العلأى حدثنا جعفر بن حسن بن فرقد حدثنا أبى عن عمر بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب فى هذه الآية من آل عمران ( قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير ) »

(١) وفى نسخة الأزهر يتحكم (٢) قوله وقد روى الحافظ ابن عساكر الى مشترك - سقط من النسخة الأميرية فنقلت من نسخة الأزهر .

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾

نهي تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالموودة من دون المؤمنين ثم توعده على ذلك فقال تعالى (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) أي ومن يرتكب نهي الله في هذا فقد برىء من الله كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة - إلى أن قال - ومن يفعله منكم فقد ضل سواء سبيل) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم) الآية . وقال تعالى بعد ذكر موالاة المؤمنين من المهاجرين والأنصار والأعراب (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) وقوله تعالى (إلا أن تتقوا منهم تقاة) أي إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيتته ، كما قال البخاري عن أبي الدرداء إنه قال : «إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلغسهم» . وقال الثوري : قال ابن عباس : ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان ، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس إنما التقية باللسان ، وكذا قال أبو العالية وأبو الشعثاء والضحاك والربيع بن أنس . ويؤيد ما قالوه قول الله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) الآية . وقال البخاري : قال الحسن التقية إلى يوم القيامة ، ثم قال تعالى (ويحذركم الله نفسه) أي يحذركم نعمته في مخالفته وسطوته وعذابه لمن والى أعداءه وعادى أولياءه . ثم قال تعالى (وإلى الله المصير) أي إليه المرجع والمنقلب ليجازي كل عامل بعمله . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن خالد عن ابن أبي حسين عن عبد الرحمن بن سابط عن ميمون بن مهران قال : قام فينا معاذ فقال : يا بني أود إنى رسول رسول الله إليكم تعلمون أن المعاد إلى الله (١) إلى الجنة أو إلى النار

﴿ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾

يخبر تبارك وتعالى عباده أنه يعلم السرائر والضمائر والظواهر وأنه لا يخفى عليه منهم خافية بل علمه محيط بهم في سائر الأحوال والأزمان والأيام واللحظات وجميع الأوقات وجميع ما في الأرض والسماوات لا يعيب عنه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك في جميع أقطار الأرض والبحار والجبال (والله على كل شيء قدير) أي وقدرته نافذة في جميع ذلك ، وهذا تنبيه منه لعباده على خوفه وخشيته لئلا يرتكبوا ما نهى عنه وما يبغضه منهم فإنه عالم بجميع أمورهم ، وهو قادر على معاجلتهم بالعقوبة وإن أنظر من أنظر منهم فإنه يمهل ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر ولهذا قال بعد هذا (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً) الآية يعني يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خير وشر كما قال تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) فما رأى من أعماله حسناً سره ذلك وأفرحه ، وما رأى من قبيح ساءه وغصه وود لو أنه تبرأ منه وأن يكون بينهما أمد بعيد ، كما يقول لشيطانته الذي كان مقرؤنا (٢) به في الدنيا وهو الذي جراه على فعل السوء (يأليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) ثم قال تعالى مؤكداً ومهدداً ومتوعداً (ويحذركم الله نفسه) أي يخوفكم عقابه ثم قال جل جلاله مرجحاً لعباده لئلا ييأسوا من رحمته ويقنطوا من لطفه (والله رءوف بالعباد) قال الحسن البصري من رأفته

(١) وفي نسخة الأزهر أن المعاد إلى الجنة أو إلى النار (١) وفي نسخة الأزهر مقترناً .

بهم حذرهم نفسه وقال غيره . أى رحيم بخلقه يحب لهم أن يستقيموا على صراطه المستقيم ودينه القويم وأن يتبعوا رسوله الكريم

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾

هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة الحمديّة فانه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع الحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » ولهذا قال ( إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ) أى يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول كما قال بعض العلماء الحكماء . ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب . وقال الحسن البصرى وغيره من السلف : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ) وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا عبد الله ابن موسى بن عبد الأعلى بن أعين عن يحيى بن أبي كثير عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله ؟ قال الله تعالى ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني ) » وقال أبو زرعة عبد الأعلى : هذا منكر الحديث

ثم قال تعالى ( ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم ) أى باتباعكم الرسول صلى الله عليه وسلم يحصل لكم هذا من بركة سفارته ثم قال تعالى آمراً لكل أحد من خاص وعام ( قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا ) أى تخالفوا عن أمره ( فإن الله لا يحب الكافرين ) فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر والله لا يحب من اتصف بذلك وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول النبي الأُمى خاتم الرسل ورسول الله إلى جميع الثقليين الجن والإنس الذى لو كان الأنبياء بل المرسلون بل أولو العزم منهم في زمانه ما وسعهم إلا اتباعه والدخول في طاعته واتباع شريعته كما سيأتى تقريره عند قوله تعالى ( وإذ أخذ الله ميثاق النبيين ) الآية إن شاء الله تعالى

﴿ إِنْ اللَّهُ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ \* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

يخبر تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض ، فاصطفى آدم عليه السلام خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه الجنة ثم أهبطه منها لما له في ذلك من الحكمة واصطفى نوحاً عليه السلام وجعله أول رسول بعثه إلى أهل الأرض لما عبد الناس الأوثان وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وانتقم له لما طال مدته بين ظهري قومه يدعوهم إلى الله ليلا ونهاراً ، سرّاً وجهاراً ، فلم يزداهم ذلك إلا فراراً ، فدعا عليهم فأغرقهم الله عن آخرهم ولم ينج منهم إلا من اتبعه على دينه الذى بعثه الله به واصطفى آل إبراهيم ومنهم سيد البشر خاتم الأنبياء على الإطلاق محمد صلى الله عليه وسلم ، وآل عمران والمراد بعمران هذا هو والد مريم بنت عمران أم عيسى بن مريم عليه السلام . قال محمد بن إسحق بن يسار رحمه الله - هو عمران بن ياشم<sup>(١)</sup> بن ميثا بن حزقيا بن إبراهيم ابن غرايا بن ناوش بن أجز بن بهوا بن نازم بن مقاسط بن إيشا بن اياذ بن رخييم بن سلمان بن داود عليهما السلام ، فعيسى عليه السلام من ذرية إبراهيم كما سيأتى بيانه في سورة الانعام إن شاء الله تعالى وبه الثقة

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾

امرأة عمران هذه هي أم مريم عليها السلام وهي حنة بنت فاقوذ . قال محمد بن إسحق : وكانت امرأة لا تحمل فرأت يوما طائراً يزق فرخه فاشتبهت الولد فدعت الله تعالى أن يهبها ولدا فاستجاب الله دعائها فواعتها زوجها فحملت منه فلما تحققت الحمل نذرت أن يكون محرراً أى خالصاً مفرغاً للعبادة لخدمة بيت المقدس فقالت : يا رب ( إني نذرت لك ما بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ) أى السميع لدعائي العليم بنيتي ، ولم تكن تعلم ما في بطنها أذكر أم أنثى ( فلما وضعها قالت رب إني وضعها أنثى والله أعلم بما وضعت ) قرىء برفع التاء على أنها تاء التثنية وأن ذلك من تمام قولها ، وقرىء بتسكين التاء على أنه من قول الله عز وجل ( وليس الذكر كالأنثى ) أى في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى ( وإني سميتها مريم ) فيه دليل على جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق لأنه شرع من قبلنا وقد حكى مقرراً وبذلك ثبتت السنة عن رسول صلى الله عليه وسلم حيث قال « ولد لي الليلة ولد سميت به باسم أبي إبراهيم » أخرجه ، وكذلك ثبت فيهما أن أنس بن مالك ذهب بأخيه حين ولدته أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكه وسماه عبد الله : وفي صحيح البخاري : أن رجلاً قال : يا رسول الله ولد لي الليلة ولد فما أسميه ؟ قال « سم ابنك عبد الرحمن » وثبت في الصحيح أيضاً . أنه لما جاءه أبو أسيد بانه ليحكه فذهل عنه فأمر به أبوه فرد إلى منزله فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس سماه المنذر . فأما حديث قتادة عن الحسن البصري عن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل غلام مرتين <sup>(١)</sup> بعقيقته يذبح عنه يوم السابع ويسمى ويحلق رأسه » فقد رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي وروى ويدهى وهو أثبت وأحفظ والله أعلم . وكذا ما رواه الزبير بن بكار في كتاب النسب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علق عن ولده إبراهيم وسماه إبراهيم ، فإسناده لا يثبت وهو مخالف لما في الصحيح ولو صح لجل على أنه اشتهر <sup>(٢)</sup> اسمه بذلك يومئذ والله أعلم ، وقوله إخباراً عن أم مريم أنها قالت ( وإني أعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ) أى عوذتها بالله عز وجل من شر الشيطان وعوذت ذريتها وهو ولدها عيسى عليه السلام فاستجاب الله لها ذلك كما قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مسه إياه إلا مريم وابنها » ثم يقول أبو هريرة أقرءوا إن شئتم ( وإني أعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ) أخرجه من حديث عبد الرزاق ورواه ابن جرير عن أحمد بن الفرج عن بقة عن الزبيدي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> بنحوه وروى من حديث قيس عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى بن مريم ومريم » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وإني أعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ) ومن حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة ، ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي يونس عن أبي هريرة ، ورواه ابن وهب أيضاً عن ابن أبي ذئب عن عجلان مولى المشعل عن أبي هريرة ورواه محمد بن إسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بأصل الحديث ، وهكذا رواه الليث بن سعد عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج قال : قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين تلده أمه إلا عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن بالحجاب »

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ لَمْ يَرِزُقْ مِنْ يَشَاءُ بغير حساب ﴾

يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نديرة وأنه أنبتها نباتاً حسناً أى جعلها شكلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً ويسر لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين فلها قال ( وكفلها زكريا ) بتشديد الفاء ونصب زكريا ( ١ ) في النسخة الأميرية « رهين » وفي نسخة الأزهر « رهينة » وهذه رواية ولفظ الترمذي مرتين ( ٢ ) وفي نسخة الأزهر أشهر

على المفغولية أى جعله كافلاً لها . قال ابن إسحق : وما ذلك إلا أنها كانت يتيمة وذكر غيره أن بنى إسرائيل أصابهم سنة جذب فكدل زكريا مريم لذلك ولا منافاة بين القولين والله أعلم . وإنما قدر الله كون زكريا كفلها لسعادتها لتقتبس منه علماً جماً نافعاً وعملاً صالحاً ، ولأنه كان زوج خالتها على ما ذكره ابن إسحق وابن جرير وغيرهما ؛ وقيل زوج أختها كما ورد في الصحيح «فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا الحالة» وقد يطلق على ما ذكره ابن إسحق ذلك أيضاً توسعاً فعلى هذا كانت في حضنة خالتها : وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في عمارة<sup>(١)</sup> بنت حمزة أن تكون في حضنة خالتها امرأة جعفر بن أبي طالب وقال «الحالة بمنزلة الأم» ثم أخبر تعالى عن سيادتها وجلادتها في محل عبادتها فقال (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا) قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو الشعثاء وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والربيع بن أنس وعطية العوفي والسدى يعنى وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف وعن مجاهد (وجد عندها رزقا) أى علماً ، أوقال . صحفانها علم ، رواه ابن أبى حاتم والأول أصح وفيه دلالة على كرامات الأولياء . وفي السنة لهذا نظر كثير ، فاذا رأى زكريا هذا عندها (قال يا مريم أتى لك هذا) أى يقول من أين لك هذا ؟ (قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سهل بن زنجلة حدثنا عبد الله ابن صالح حدثنا عبد الله بن لميعة عن محمد بن النكدر عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئاً فأتى فاطمة فقال «يا بنية هل عندك شيء آكله فأنى جائع ؟» قالت . لا والله . بأبى أنت وأمى . فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم فأخذته منها فوضعت في جفنة لها وقالت . والله لأوثرن بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى ومن عندى ، وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبة طعام فبعثت حسناً أو حسينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إليها فقالت : بأبى أنت وأمى قد أتى الله بشيء فخبأته لك فان «هلمى يا بنية» قالت فأتيته بالجفنة فكشفت عنها فاذا هي مملوءة خبزاً ولحماً فلما نظرت إليها بهت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله وصليت على نبيه وقدمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فلما رآه حمد الله وقال «من أين لك هذا يا بنية ؟» قالت . يا أبت (هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فحمد الله وقال «الحمد لله الذى جعلك يا بنية شبيهة بسيدة نساء بنى إسرائيل فانها كانت إذا رزقها الله شيئاً وسئلت عنه قالت هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب» فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى على ثم أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل على وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته حتى شبعوا جميعاً قالت : وبقيت الجفنة كما هي قالت . فأوسعت ببيتها على جميع الجيران وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً .

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿ قَالَ رَبِّ اِنَّىْ يَكُوْنُ لِىْ غُلْمٌ وَّ قَدْ بَلَغَنِى الْكِبَرُ وَاْمْرَاْتِىْ عَاقِرٌ قَالَ كَذٰلِكَ اَللّٰهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِىْ اٰيَةً قَالَ اِنَّتُكَّ اَلنَّاسِ ثَلٰثَةَ اَيَّامٍ اِلَّا رَمَزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيْرًا وَّسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْاِبْكَارِ ﴿

لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء طمع حينئذ في الولد وإن كان شيخاً كبيراً قد وهن منه العظم واشتعل الرأس شيباً وكانت امرأته مع ذلك كبيرة وعاقراً ، لكنه مع هذا كله سأل ربه وناداه نداء خفياً وقال (رب هب لى من لذك) أى من عندك (ذرية طيبة) أى ولداً صالحاً (إنك سميع الدعاء) . قال الله تعالى (فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب) أى خاطبته الملائكة شفهاها

(١) في النسخة الأميركية عمرة وهي غلط فاعتمدنا نسخة الأزهر وهي إحدى الروايتين في اسمها والرواية الأخرى أمامة .

خطاباً أسمعته وهو قائم يصلي في محراب عبادته ومحل خلوته ومجلس مناجاته وصلاته . ثم أخبر تعالى عما بشرته به الملائكة ( أن الله يبشرك بيحيى ) أى بولد يوجد لك من صلبك اسمه يحيى . قال قتادة وغيره : وإنما سمي يحيى لأن الله أحياه بالإيمان . وقوله ( مصدقاً بكلمة من الله )<sup>(١)</sup> روى العوفى وغيره عن ابن عباس وقال الحسن وقاتدة وعكرمة ومجاهد وأبو الشعثاء والسدى والريبع بن أنس والضحاك وغيره في هذه الآية ( مصدقاً بكلمة من الله ) أى بعيسى بن مريم . وقال الريبع بن أنس : هو أول من صدق بعيسى بن مريم . وقال قتادة : وطى سنته ومنهاجه . وقال ابن جريج : قال ابن عباس في قوله مصدقاً بكلمة من الله قال : كان يحيى وعيسى ابني خالة وكانت أم يحيى تقول لمريم : إني أجد الذى فى بطنى يسجد للذى فى بطنك فذلك تصديقه له فى بطن أمه وهو أول من صدق عيسى وكلمة الله عيسى ، وهو أكبر من عيسى عليه السلام وهكذا قال السدى أيضاً

وقوله ( وسيداً ) قال أبو العالية والريبع بن أنس وقاتدة وسعيد بن جبير وغيرهم : الحليم ، وقال قتادة : سيداً فى العلم والعبادة . وقال ابن عباس والثورى والضحاك السيد الحليم التقي : قال سعيد بن المسيب : هو الفقيه العالم ، وقال عطية : السيد فى خلقه ودينه ، وقال عكرمة : هو الذى لا يغلبه الغضب وقال ابن زيد : هو الشريف ، وقال مجاهد وغيره هو الكريم على الله عز وجل .

وقوله ( وحضوراً ) روى عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبى الشعثاء وعطية العوفى أنهم قالوا : الذى لا يأتى النساء . وعن أبى العالية والريبع بن أنس : هو الذى لا يولد له ولأما له . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا يحيى بن المغيرة أنبأنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس فى الحضور : الذى لا ينزل الماء ، وقد روى ابن أبى حاتم فى هذا حديثاً غريباً جداً فقال : حدثنا أبو جعفر محمد بن غالب البغدادي حدثني سعيد بن سليمان حدثنا عباد يعنى ابن العوام عن يحيى بن سعيد عن المسيب عن ابن العاص - لا يدري عبد الله أو عمرو - عن النبي ﷺ فى قوله ( وسيداً وحضوراً ) قال : ثم تناول شيئاً من الأرض فقال « كان ذكره مثل هذا » . وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن يحيى بن سعيد الأنصارى أنه سمع سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : ليس أحد من خلق الله لا يلقاه بذنوب غير يحيى بن زكريا ثم قرأ سعيد ( وسيداً وحضوراً ) ثم أخذ شيئاً من الأرض فقال : الحضور من كان ذكره مثل هذا ، وأشار يحيى بن سعيد القطان بطرف أصبعه السبابة فهذا موقوف أصح إسناداً من المرفوع ورواه ابن المنذر فى تفسيره : حدثنا أحمد بن داود السمناني حدثنا سويد بن سعيد حدثنا على بن مسهر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يلقى الله إلا ذنب إلا يحيى بن زكريا فإن الله يقول ( وسيداً وحضوراً ) - قال - : وإنما ذكره مثل هدية الثوب » وأشار بأتمته ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عيسى ابن حماد ومحمد بن سلمة المرادى قالوا : حدثنا حجاج بن سلمان المقرئ عن الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن القعقاع عن أبى صالح عن أبى هريرة أن النبي ﷺ قال « كل ابن آدم يلقى الله بذنوب يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا فإنه كان سيداً وحضوراً ونبياً من الصالحين » ثم أهوى النبي ﷺ إلى قنادة من الأرض فأخذها وقال : « وكان ذكره مثل هذه القنادة »

وقد قال القاضى عياض فى كتابه الشفاء : اعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان ( حضوراً ) ليس كما قاله بعضهم إنه كان هيوياً أولاً ذكر له ، بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ، وشاد العلماء وقالوا : هذه تقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب أى لا يأتها كأنه حضور عنها ، وقيل : مانع نفسه من الشهوات ، وقيل ليست له شهوة فى النساء وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص ، وإنما الفضل فى كونها موجودة ثم يمنعها إما بمجاهدة كعيسى أو بكفاية من الله عز وجل كيحيى عليه السلام ثم هى فى حق من قدر عليها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه : درجة عليا وهى درجة نبينا ﷺ الذى لم يشغله كثرتهم عن عبادة ربه ، بل زاده

(١) قوله روى العوفى إلى قوله ( مصدقاً بكلمة من الله ) ساقط من النسخة الأميرية .

ذلك عبادة بتحصينهم وقيامه عليهم وإكسابه لهم وهدايته إياهم بل قد صرح أنها ليست من حظوظ دنياه هو وإن كانت من حظوظ دنيا غيره فقال : « حُبُّ إِلَى مِنْ دُنْيَاكُمْ » هذا لفظه . والمقصود أنه مدح ليحيى بأنه حضور ليس أنه لا يأتي النساء ، بل معناه كما قاله هو وغيره : أنه معصوم من الفواحش والقاذورات ، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن ، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال : ( هب لي من لدنك ذرية طيبة ) كأنه قال ولداً له ذرية ونسل وعقب ، والله سبحانه وتعالى أعلم

قوله ( ونبياً من الصالحين ) هذه بشارة ثانية بنبوة يحيى بعد البشارة بولادته وهي أعلى من الأولى كقوله لأم موسى ( إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ) فلما تحقق زكريا عليه السلام هذه البشارة أخذ يتعجب من وجود الولد منه بعد الكبر ( قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامراتى عاقر قال ) أى الملك ( كذلك الله يفعل ما يشاء ) أى هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شيء ولا يتعاضمه أمر ( قال رب اجعل آية ) أى علامة أستدل بها على وجود الولد منى ( قال آيتك ألا تكلم ثلاثة أيام إلا رمزا ) أى إشارة لا تستطيع النطق مع أنك سوى صحيح كما فى قوله ( ثلاث ليال سويًا ) ثم أمر بكثرة الذكر والتكبير والتسبيح فى هذه الحال فقال تعالى ( واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والابكار ) . وسيأتى طرف آخر فى بسط هذا المقام فى أول سورة مريم إن شاء الله تعالى

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ : يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَزْكِى مَعَ الرَّاكِعِينَ \* ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُبْلَغُونَ أَقْلَمَهُمْ أُيُومَهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾

هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم عليها السلام عن أمر الله لهم بذلك أن الله قد اصطفاها أى اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهارتها من الأكدار والوساوس واصطفاها ثانياً مرة بعد مرة لجلالتها على نساء العالمين . قال عبد الرزاق : أنبأنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب فى قوله تعالى ( إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ) قال كان أبو هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناء على ولد فى صغره ، وأرعاه على زوج فى ذات يده ، ولم تترك مريم بنت عمران بعيراً قط » ولم يخرج من هذا الوجه سوى مسلم فإنه رواه عن محمد بن رافع وعبد بن حميد (١) كلاهما عن عبد الرزاق به وقال هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خير نساء مريم بنت عمران وخير نساء خديجة بنت خويلد » أخرجه فى الصحيحين من حديث هشام به مثله . وقال الترمذى : حدثنا أبو بكر بن زنجويه حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون » تفرد به الترمذى وصححه . وقال عبد الله بن أبي جعفر الرازى عن أبيه قال : كان ثابت البنانى يحدث عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خير نساء العالمين أربع ، مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت رسول الله » رواه ابن مردويه أيضاً ، ومن طريق شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث ، مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » . وقال ابن جرير : حدثنى الثنى حدثنا آدم العسقلانى حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة سمعت مرة الهمدانى يحدث عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون » وقد أخرج الجماعة إلا أبا داود من طرق عن شعبة به ، ولفظ البخارى « ويكمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية (١) فى نسخة الأزهر وابن عبد الحميد .

امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة عن النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وقد استقصيت طرق هذا الحديث وألفاظه في قصة عيسى بن مريم عليه السلام في كتابنا البداية والنهاية والله الحمد والمنة ، ثم أخبر تعالى عن الملائكة أنهم أمروها بكثرة العبادة والخشوع والركوع والسجود والدأب في العمل لما يريد الله بها من الأمر الذي قدره الله وقضاه بما فيه محنة لها ورفعة في الدارين بما أظهر الله فيها من قدرته العظيمة حيث خلق منها ولداً من غير أب فقال تعالى ( يا مريم اتقي لربك وأسجدي وركعي مع الراكعين ) أما القنوت فهو الطاعة في خشوع كما قال تعالى ( وله من في السموات والأرض كل له قانتون ) وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال « كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة » ورواه ابن جرير من طريق ابن لهيعة عن دراج به وفيه نكارة . وقال مجاهد كانت مريم عليها السلام تقوم حتى تتورم كعباها ، والقنوت هو طول الركوع في الصلاة يعني امتثالاً لقول الله تعالى ( يا مريم اتقي لربك ) قال الحسن . يعني اعبدى لربك ( واسجدي واركعي مع الراكعين ) أي كوني منهم وقال الأوزاعي . ركبت في محرابها رابعة وساجدة وقائمة حتى نزل ماء الأصفر في قدمها رضي الله عنها وأرضاها . وقد ذكر الحافظ ابن عساكر (١) في ترجمتها من طريق محمد بن يونس الكديمي وفيه مقال : ثنا علي بن بحر بن بري ثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير في قوله ( يا مريم اتقي لربك واسجدي ) قال سجدت حتى نزل الماء الأصفر في عينها . وذكر ابن أبي الدنيا ثنا الحسن بن عبد العزيز ثنا ضمرة عن أبي شاذب قال كانت مريم عليها السلام تغتسل في كل ليلة . ثم قال لرسوله بعد ما أطلعه على جلية الأمر ( ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ) أي نقصه عليك ( وما كنت لديهم ) أي ما كنت عندهم يا محمد فتخبرهم عن معاينة عما جرى بل أطلعك الله على ذلك كأنك حاضر وشاهد لما كان من أمرهم حين اقترعوا في شأن مريم أيهم يكافئها وذلك لرغبتهم في الأجر . قال ابن جرير : حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبي بزة أنه أخبره عن عكرمة ، وأبي بكر عن عكرمة قال ثم خرجت بها يعني (٢) مريم في خرجها إلى بني الكاهن بن هرون أخي موسى عليهما السلام قال : وهم يومئذ يولون من بيت المقدس ما يلي الحجة من الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فأنى حررتها وهي أنثى ولا يدخل الكنيسة حائض وأنا لا أردّها إلى بيتي فقالوا : هذه ابنة إمامنا وكان عمران يؤمهم في الصلاة ، وصاحب قرباننا فقال زكريا . ادفعوها لي فإن خالتها تحق فقالوا : لا تطيب أنفسنا هي ابنة إمامنا فذلك حين اقترعوا عليها بأقلامهم التي يكتبون بها التوراة فقرعهم زكريا فكفأها وقد ذكر عكرمة أيضاً والسدي وقناة والربيع بن أنس وغير واحد دخل حديث بعضهم في بعض . أنهم ذهبوا إلى نهر الأردن واقترعوا هنالك على أن يلقوا أقلامهم فأبهم ثبتت في جرية الماء فهو كافأها فألقوا أقلامهم فاحتلمها الماء إلا قلم زكريا فإنه ثبت ، ويقال : إنه ذهب صاعدا يشق جرية الماء ، وكان مع ذلك كبيرهم وسيدهم وعالمهم وإمامهم ونبهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* وَبُكِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ \* قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْتَلِقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

هذه بشارة من الملائكة لمريم عليها السلام بأن سيوجد منها ولد عظيم له شأن كبير قال الله تعالى ( إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه ) أي بولد يكون وجوده بكلمة من الله أي يقول له كن فيكون ، وهذا تفسير قوله ( مصدقا بكلمة من الله ) كما ذكره الجمهور على ما سبق بيانه ( اسمه المسيح عيسى ابن مريم ) أي يكون هذا مشهوراً في الدنيا يعرفه المؤمنون بذلك وسمى المسيح قال بعض السلف : لكثرة سياحته . وقيل لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لها (١) قوله وقد ذكر الحافظ الخ سقط من الأميرية فنقلناه من نسخة الأزهر (٢) وفي نسخة الأزهر أم مريم بمجرم تحملها .

وقيل لأنه كان إذا مسح أحدا من ذوى العاهات برىء بإذن الله تعالى وقوله تعالى : (عيسى ابن مريم) نسبة إلى أمه حيث لا أب له (وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين) أى له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا بما يوحى الله إليه من الشريعة وينزل عليه من الكتاب وغير ذلك مما منحه الله به ، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه فيقبل منه أسوة بإخوانه من أولى العزم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وقوله (ويكلم الناس في المهد وكهلا) أى يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له في حال صغره ، معجزة وآية ، وفي حال كهولته حين يوحى الله إليه (ومن الصالحين) أى في قوله وعمله له علم صحيح وعمل صالح . قال محمد بن إسحق : عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن محمد بن شرحبيل عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماتكم أحد<sup>(١)</sup> في صغره إلا عيسى وصاحب جريج » وقال ابن أبي حاتم . حدثنا أبو الصقر يحيى بن محمد بن قزعة حدثنا الحسين بن الروزى حدثنا جرير بن عبد الله بن حازم عن محمد بن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لم يتكلم في المهد إلا ثلاث ، عيسى وصبي كان في زمن جريج وصبي آخر » فلما سمعت بشارة الملائكة لها بذلك عن الله عز وجل قالت في مناجاتها : (رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر؟) تقول كيف يوجد هذا الولد منى وأنا لست بذات زوج ولا من عزمى أن أتزوج ولست بغيا حاشا لله فقال لها الملك عن الله عز وجل في جواب ذلك السؤال (كذلك الله يخلق من يشاء) أى هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شيء ، وصرح هنا بقوله (يخلق ما يشاء) ولم يقل يفعل كما في قصة زكريا ، بل نص ههنا على أنه يخلق ثلاثا يبق لمبطل شبهة ، وأكد ذلك بقوله (إذا قضى أمرا فأنما يقول له كن فيكون) أى فلا يتأخر شيئا بل يوجد عقيب الأمر بلا مهلة كقوله (وما أمرنا إلا واحدة كلعج بالبصر) أى إنما تأمر مرة واحدة لا مثنوية فيها فيكون ذلك الشيء سريرا كلعج البصر

﴿ وَيُؤْتِيهِمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ \* وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَصَدَقْنَا لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَنْتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا \* إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن تمام بشارة الملائكة لمريم بانها عيسى عليه السلام . إن الله يعلمه الكتاب والحكمة ، الظاهر أن المراد بالكتاب ههنا الكتابة ، والحكمة تقدم تفسيرها في سورة البقرة ، والتوراة والإنجيل فالتوراة هو الكتاب الذى أنزل على موسى بن عمران ، والإنجيل الذى أنزل على عيسى بن مريم عليهما السلام . وقد كان عيسى عليه السلام يحفظ هذا وهذا وقوله (ورسولا إلى بنى إسرائيل) قائلا لهم (أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهية الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله) وكذلك كان يفعل يصور من الطين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير عيانا بإذن الله عز وجل الذى جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله (وأبرىء الأكمه) قيل إنه الذى يبصر نهارا ولا يبصر ليلا ، وقيل بالعكس ، وقيل الأعشى ، وقيل الأعمش ، وقيل هو الذى يولد أعمى وهو أشبه لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدى (والأبرص) معروف (وأحيى الموتى بإذن الله) قال كثير من العلماء بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب<sup>(٢)</sup> أهل زمانه ، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة ، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحاره ، فلما استقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار . وأما عيسى

(١) في نسخة الأزهر مولود . (٢) وفيها بمعجزة تناسب .

عليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة ، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجمد ، أو على مداواة الأكمة والأبرص ، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد . وكذلك محمد ﷺ بعث في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء فأثامهم بكتاب من الله عز وجل فلو اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبداً ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، وماذا لك إلا أن كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبداً ، وقوله ( وأنبئكم بما تآكلون وما تدخرون في بيوتكم ) أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن وما هو مدخر له في بيته لغد ( إن في ذلك ) أي في ذلك كله ( لآية لكم ) أي على صدقي فيما جئتكم به ( إن كنتم مؤمنين ) ومصداقاً لما بين يدي من التوراة ( أي مقرأ لها ومثبتا ) ( ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ) فيه دلالة على أن عيسى عليه السلام نسخ بعض شريعة التوراة وهو الصحيح من القولين ، ومن العلماء من قال لم ينسخ منها شيئاً ، وإنما أحل لهم بعض ما كانوا يتنازعون فيه خطأ وانكشف لهم عن الغطاء (١) في ذلك كما قال في الآية الأخرى ( ولأبين لكم بعض الذي تخلفون فيه ) والله أعلم . ثم قال ( وجئتكم بآية من ربكم ) أي بحجة ودلالة على صدقي فيما أقوله لكم ( فاتقوا الله وأطيعون ، إن الله ربي وربكم فاعبدوه ) أي أنا وأتم سواء في العبودية له والخضوع والاستكانة إليه ( هذا صراط مستقيم )

﴿ فَلَمَّا أَحْسَسَ عَيْسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ \* رَبَّنَا ءَأَمْنَا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ \* وَمَكْرُؤًا لِمَكَرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيينَ ﴾

يقول تعالى ( فلما أحسن عيسى ) أي استشعر منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال قال ( من أنصاري إلى الله ؟ ) قال مجاهد : أي من يتبعني إلى الله ، وقال سفيان الثوري وغيره : أي من أنصاري مع الله ، وقول مجاهد أقرب . والظاهر أنه أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله كما كان النبي ﷺ يقول في مواسم الحج قبل أن يهاجر « من رجل يؤويني حتى أبلغ كلام ربي فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي » حتى وجد الأنصار فأووه ونصروه وهاجر إليهم فواسوه ومنعوه من الأسود والأحمر رضی الله عنهم وأرضاهم . وهكذا عيسى بن مريم عليه السلام انتدبه له طائفة من بني إسرائيل فآمنوا به ووازره ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، ولهذا قال الله تعالى مخبر عنهم ( قال الخواريون : نحن أنصار الله ، آمنا بالله ، وأشهد بأننا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ) الخواريون قيل : كانوا قصارين ، وقيل سموا بذلك لبياض ثيابهم ، وقيل صيادين . والصحيح أن الخواري الناصر كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما ندب الناس يوم الأحزاب فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير رضی الله عنه فقال النبي ﷺ « لكل نبي خواري وخواري الزبير » وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضی الله عنهما في قوله ( فاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ) قال . مع أمة محمد ﷺ ، وهذا إسناد جيد . ثم قال تعالى مخبرا عن ملائكة بني إسرائيل فيما هموا به من الفتك بعيسى عليه السلام وإرادته بالسوء والصلب حين تمالؤا عليه ووشوا به إلى ملك ذلك الزمان وكان كافراً أن هنا رجلا يضل الناس ويصد عن طاعة الملك ويفسد الرعايا ، ويفرق بين الأب وابنه إلى غير ذلك مما تقلدوه في رقابهم ورموه به من الكذب وأنه ولد زنية حتى استثاروا غضب الملك فبعث في طلبه من يأخذنه ويصلبه وينكل به فلما أحاطوا بمنزله وظنوا أنهم قد ظفروا به نجاه الله تعالى من بينهم ورفع من روزنة ذلك البيت إلى السماء وألقى الله شبهه على رجل ممن كان عنده في المنزل فلما دخل أولئك اعتقدوه في ظلمة الليل عيسى فأخذوه وأهانوه وصلبوه ووضعوا على رأسه الشوك ، وكان هذا من مكر الله بهم فإنه نجى نبيه ورفع من بين أظهرهم . (١) في نسخة الأزهر فأخطأوا فكشف لهم عن المنطى .



العربي خاتم الرسل وسيد ولد آدم على الاطلاق الذي دعاهم إلى التصديق بجميع الحق فكانوا أولى بكل نبي من أمته الذين يزعمون أنهم على ملته وطريقته مما قد حرفوا وبدلوا ثم لو لم يكن شيء من ذلك لكان قد نسخ الله شريعة جميع الرسل بما بعث الله به محمداً ﷺ من الدين الحق الذي لا يغير ولا يبدل إلى قيام الساعة ولا يزال قائماً منصوراً ظاهراً على كل دين فلهذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها واحتازوا جميع الممالك ودانت لهم جميع الدول وكسروا كسرى وقصروا قيصر وسلبوها كنوزهما وأنفقت في سبيل الله كما أخبرهم بذلك نبيهم عن ربهم عز وجل في قوله ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ) الآية فلهذا لما كانوا هم المؤمنون بالمسيح حقاً سلبوا النصارى بلاد الشام وألجؤهم إلى الروم فلجؤوا إلى مدينتهم القسطنطينية ولا يزال الاسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة وقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أمته بأن آخرهم سيفتحون القسطنطينية ويستفيئون مافيها من الأموال ، ويقتلون الروم مقتلة عظيمة جداً لم ير الناس مثلها ولا يرون بعدها نظيرها ، وقد جمعت في هذا جزءاً مفرداً ، ولهذا قال تعالى ( وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعهم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون \* فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ) وكذلك فعل بمن كفر بالمسيح من اليهود أو غلا فيه أو أطراه من النصارى عذبهم في الدنيا بالقتل والسبي وأخذ الأموال وإزالة الأيدي عن الممالك وفي الدار الآخرة عذابهم أشد وأشق ( وما لهم من الله من واق ) ( وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفهم أجورهم ) أي في الدنيا والآخرة ، في الدنيا بالنصر والظفر ، وفي الآخرة بالجنات العاليات ( والله لا يحب الظالمين )

ثم قال تعالى ( ذلك تتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ) أي هذا الذي قصصنا عليك يا محمد في أمر عيسى ومبدأ ميلاده وكيفية أمره هو مما قاله تعالى وأوحاه إليك ونزله عليك من اللوح المحفوظ فلا مرية فيه ولا شك كما قال تعالى في سورة مريم ( ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون \* ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ) وههنا قال تعالى

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ \* أَلْحَقٌ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ \* فَمَنْ حَاجَبَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ \* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمِمَّا مِنْ إِلَهِ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾

يقول جل وعلا ( إن مثل عيسى عند الله في قدرة الله حيث خلقه (١) من غير أب (كمثل آدم) حيث خلقه من غير أب ولا أم بل (خلقته من تراب ثم قال له كن فيكون ) فالذي خلق آدم من غير أب قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأخرى ، وإن جاز ادعاء البنية في عيسى لكونه مخلوقاً من غير أب فجواز ذلك في آدم بالطريق الأولى ، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل فدعواه في عيسى أشد بطلاناً وأظهر فساداً ، ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلقته حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى ، ولهذا قال تعالى في سورة مريم ( ولنجعله آية للناس ) وقال ههنا ( الحق من ربك فلا تكن من الممترين ) أي هذا هو القول الحق في عيسى الذي لا يحيد عنه ولا صحيح سواء ، وماذا بعد الحق إلا الضلال . ثم قال تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم أن يباهل من عاند الحق في أمر عيسى بعد ظهور البيان ( فمن حاجك فيه

(١) في نسخة الأزهر فإن الله تعالى .

من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءكم وأبناءكم ونساءكم ونساءكم وأنفسكم وأنفسكم ( أي نخضرمهم في حال المباهلة ) ثم نبتهل ( أي نلتعن ) فنجعل لعنة الله على الكاذبين ) أي منا ومنكم .

وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا في وفد نجران : أن النصارى لما قدموا فجعوا يحاجون في عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من البنوة والالهية فأنزل الله صدر هذه السورة رداً عليهم كما ذكره الإمام محمد بن إسحق بن يسار وغيره : قال ابن إسحق في سيرته المشهورة وغيره وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ستون راکباً ، فهم أربعة عشر رجلاً من أشرفهم يؤول أمرهم اليهم وهم : العاقب واسمه عبد المسيح والسيد وهو الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل ، وأويس بن الحارث ، وزيد ، وقيس ، ويزيد وابناه وخويلد ، وعمرو ، وخالد ، وعبد الله ، ومحسن ، وأمر هؤلاء يؤول إلى ثلاثة منهم وهم العاقب وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم ، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه ، والسيد وكان عالمهم وصاحب رحلتهم ومجتمعهم وأبو حارثة بن علقمة وكان أسقفهم وصاحب مدارستهم ، وكان رجلاً من العرب من بني بكر بن وائل ولكنه تنصر فعظمته الروم وملوكها وشرفوه وبنوا له الكنائس وأخدموه لما يعلمونه من صلاحته في دينهم ، وقد كان يعرف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته وشأنه مما علمه من الكتب المتقدمة ، ولكن حملة ذلك (١) على الاستمرار في النصرانية لما يرى من تعظيمه فيها وجاهه عند أهلها . قال ابن إسحق . وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير قال . قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جيب وأردية في جمال رجال بني الحارث ابن كعب قال : يقول من رأيهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم ، وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « دعوهم » فصاروا إلى الشرق قال : فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة ، والعاقب عبد المسيح ، والسيد الأيهم وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون هو الله ويقولون هو ولد الله ، ويقولون هو ثالث ثلاثة ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً . وكذلك النصرانية فهم يحتجون في قولهم هو الله بأنه كان يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص والأسقام ويغير بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً ، وذلك كله بأمر الله . وليجعله الله آية للناس ، ويحتجون في قولهم بأنه ابن الله يقولون : لم يكن له أب يعلم ، وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه أحد من بني آدم قبله ، ويحتجون على قولهم بأنه ثالث ثلاثة بقول الله تعالى فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا فيقولون لو كان واحداً ما قال إلا فعلت وأمرت وقضيت وخلقته ولكنه هو وعيسى ومريم - تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً - وفي كل ذلك من قولهم : قد نزل القرآن ، فلما كلفه الجبران قال لهما رسول صلى الله عليه وسلم « أسلنا » قالوا قد أسلنا قال « إنكما لم تسلنا فأسلنا » قالوا : بلى قد أسلنا قبلك قال : « كذبتما بمنعكما من الإسلام ادعائاً كما لله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير » قالوا . فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت رسول الله ﷺ عنهما فلم يجبهما فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ثم تكلم ابن إسحق على تفسيرها إلى أن قال : فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمر بما أمر به من ملاحظتهم إن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك فقالوا يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه ثم انصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب ، وكان ذا رأيهم فقالوا . يا عبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال . والله يا معشر النصارى لقد عرقتم ان محمداً نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم . ولقد علمتم أنه ملاحظ قوم نبياً قظ فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، وانه للاستئصال منكم إن فعلتم ، فان كنتم أيتيم إلا إلف دينكم والاقامة على ما أتمم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم ، فأتوا النبي ﷺ فقالوا يا أبا القاسم قدرنا ان لا نلاعنك وترتك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا فانكم عندنا راضاً ، قال محمد بن جعفر : فقال رسول الله ﷺ « اثنوني العشيّة

أبعث معكم القوى الأمين» فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : ما أحببت الامارة قط حبي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها فرحت إلى الظهر مهجرا فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر سلم ثم نظر عن يمينه وشماله فجعلت أنظاروله ليرانى فلم يزل يلتبس بصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال « اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه » قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة رضى الله عنه . وقد روى ابن مردويه من طريق محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن ثبيد عن رافع بن خديج : أن وفد أهل نجران قدموا على رسول الله ﷺ فذكر نحوه إلا أنه قال في الأشراف كانوا اثني عشر ، وذكر بقيته بأطول من هذا السياق وزيادات أخر :

وقال البخارى : حدثنا عباس بن الحسين حدثنا يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة رضى الله عنه قال : جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعناه لانفخ نحن ولا عقينا من بعدنا قالا : إنا نعطيك ماسألتنا وابعث معنا رجلا أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً فقال « لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين » فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قم يا أبا عبيدة بن الجراح » فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا أمين هذه الأمة » رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة بنحوه وقد رواه أحمد والنسائى وابن ماجه من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن صلة بن زفر عن ابن مسعود بنحوه . وقال البخارى : حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن خالد بن أنس عن أبي قلابة عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » . وقال الإمام أحمد . حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقى أبو يزيد حدثنا قرة عن عبد الكريم بن مالك الجزرى عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو جهل قبجه الله إن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأتينه حتى أطأ على رقبته (١) قال : فقال « لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا » وقد رواه البخارى والترمذى والنسائى من حديث عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم به ، وقال الترمذى : حسن صحيح

وقد روى البيهقى فى دلائل النبوة قصة وفد نجران مطولة جداً ، ولنذكره فان فيه فوائد كثيرة وفيه غرابة وفيه مناسبة لهذا المقام قال البيهقى : حدثنا أبو عبد الله الحافظ أبو سعيد ومحمد بن موسى بن الفضل قالا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن سلمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جده قال يونس - وكان نصرانياً فأسلم - إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سلمان « باسم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب . من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران أسلم (٢) فاني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب . أما بعد فاني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أيتيم فالجزية ، فإن أيتيم فقد آذنتكم بحرب والسلام » . فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه فظع به وذعره ذعراً شديداً وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة ، وكان من همدان ، ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت معضلة قبله لا الأيهم ولا السيد ولا العاقب فدفع الأسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شرحبيل فقرأه فقال الأسقف : يا أبا مريم ما رأيك فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله إبراهيم فى ذرية إسماعيل من النبوة فما يؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل ليس لى فى أمر النبوة رأى ولو كان فى أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأى واجتهدت لك فقال الأسقف : تنح فاجلس فتحنى شرحبيل فجلس ناحية فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل وهو من ذى أصبح من حمير فأقرأه الكتاب وسأله عن رأى فيه فقال له مثل قول شرحبيل فقال له الأسقف . تنح فاجلس فتحنى عبد الله فجلس ناحية فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له جبار بن فيض من بنى الحارث بن كعب أحد بنى الحامس فأقرأه

(١) فى نسخة الأزهر عنقه وهو لفظ البخارى (٢) فيها زيادة (أتم) وليس فيها بيان كالأمرية .

الكتاب وسأله عن الرأي فيه ؟ فقال له مثل قول شرحبيل وعبدالله فأمره الأسقف فتنحى فجلس ناحية فلما اجتمع  
الرأى منهم على تلك المقالة جميعا أمر الأسقف بالنافوس فضرب به ورفعت النيران والمسوح في الصوامع ، وكذلك  
كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار ، وإذا كان فزعهم ليلا ضربوا بالنافوس ورفعت النيران في الصوامع فاجتمعوا حين  
ضرب بالنافوس ورفعت المسوح أهل الوادى أعلاه وأسفله . وطول الوادى مسيرة يوم للراكب السريع ،  
وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألهم  
عن الرأى فيه فاجتمع رأى أهل الرأى منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي  
وجبار بن فيض الحارثي فيأتونهم بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب  
السفر عنهم ولبسوا حلالهم يجرؤونها من حبرة وخواتيم الذهب ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلموا عليه  
فلم يرد عليهم وتصدوا لكلامه نهارا طويلا فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل وخواتيم الذهب فانطلقوا يتبعون عثمان  
ابن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم فوجدوها في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس فقالوا يا عثمان  
ويا عبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا كتابا فأقبلنا مجيئين له فأتينا فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا وتصدينا لكلامه نهارا  
طويلا فأعيانا أن يكلمنا فما الرأى منكأ أترون أن نرجع ؟ فقالا لعلى بن أبي طالب وهو في القوم : ماترى يا أبا الحسن  
في هؤلاء القوم ؟ فقال على لعثمان وعبد الرحمن : أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم  
يعودون اليه ففعلوا فسلموا عليه فرد سلامهم ثم قال « والذى بعثني بالحق لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس لمعهم »  
ثم سألهم وسألوه فلم تزل به وبهم المسئلة حتى قالوا له : ماتقول في عيسى فإننا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى يسرنا إن كنت نبيا  
أن نسبح ماتقول فيه ؟ فقال رسول الله ﷺ « ما عندي فيه شيء يوحى هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقول لى ربي في  
عيسى » فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآية ( إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم - إلى قوله - الكاذبين ) فأبوا أن  
يقروا بذلك فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعد ما أخبرهم الخبر أقبل مشتتلا على الحسن والحسين في خميله وفاطمة  
تمشى عند ظهره للملاعبة وله يومئذ عدة نسوة فقال شرحبيل لصاحبيه : لقد علمتا أن الوادى إذا اجتمع أعلاه وأسفله  
لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأى وإنى والله أرى أمرائشلا والله لئن كان هذا الرجل مبعوثا فكنا أول العرب طعنا في عينيه  
وردا عليه أمره لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبنا بجأحة وإنا لأدنى العرب منهم جوارا ، ولئن  
كان هذا الرجل نبيا مرسلنا فلا عناه لا يبق منا على وجه الأرض شعر ولا ظفر إلا هلك ، فقال له صاحبا . فما الرأى يا أبا مريم ؟  
فقال : أرى أن أحكمه فإنى أرى رجلا لا يحكم شططا أبدا فقالا له : أنت وذاك قال : فتلقى شرحبيل رسول الله ﷺ فقال  
له : إنى قد رأيت خيرا من ملاعتك فقال « وما هو ؟ » فقال : حكمتك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح فهما حكمت  
فينا فهو جاز قال رسول الله ﷺ « لعل وراءك أحاديث رب عليك » ؟ فقال شرحبيل . سل صاحبي فسألها فقالا : ما يرد  
الوادى ولا يصدر إلا عن رأى شرحبيل . فرجع رسول الله ﷺ فلم يلبسهم حتى إذا كان من الغد أتوه فكتب لهم هذا  
الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب النبي محمد <sup>(١)</sup> رسول الله لنجران - إن كان عليهم حكمه - في كل ثمرة وكل  
صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فاضل عليهم وترك ذلك كله لهم على ألقى حلة ، في كل رجب ألف حلة وفي كل صفر ألف حلة »  
وذكر تمام الشروط وبقية السياق

والعرض أن وفودهم كان في سنة تسع لأن الزهرى قال : كان أهل نجران أول من أدى الجزية إلى رسول الله  
ﷺ وآية الجزية إنما أنزلت بعد الفتح وهى قوله تعالى ( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ) الآية  
وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن داود السكي حدثنا بشر بن مهران حدثنا محمد بن  
دينار عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن جابر قال : قدم على النبي ﷺ العاقب والطيب فدعاهما إلى الملاعبة  
فواعدها على أن يلاعنه الغداة قال : فعدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بيد على وفاطمة والحسن والحسين  
ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيبا وأقرأ له بالخراج قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى بعثني بالحق لو قالوا :

(١) في نسخة الأزهر تقديم محمد على النبي .

لا لمطر عليهم الوادى ناراً» قال جابر : وفيهم نزلت ( ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ) قال جابر ( أنفسنا وأنفسكم ) رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبي طالب ( وأبنائنا ) الحسن والحسين ( ونساءنا ) فاطمة وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن علي بن عيسى عن أحمد بن محمد الأزهرى عن علي بن حجر عن علي بن مسهر عن داود بن أبي هند به بمعناه ، ثم قال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه هكذا . قال : وقد رواه أبو داود الطيالسى عن شعبة عن الغيرة عن الشعبي مرسلًا ، وهذا أصح وقد روى عن ابن عباس والبراء نحو ذلك ثم قال الله تعالى ( إن هذا هو القصص الحق ) أى هذا الذى قصصناه عليك يا محمد فى شأن عيسى هو الحق الذى لا معدل عنه ولا محيد ( وما من إله إلا الله ، وإن الله هو العزيز الحكيم \* فان تولوا ) أى عن هذا إلى غيره ( فإن الله عليم بالفسدين ) أى من عدل عن الحق إلى الباطل فهو المفسد والله عليم به وسيجزيه على ذلك شر الجزاء وهو القادر الذى لا يفوته شيء سبحانه وبحمده ونعوذ به من حلول نعمته

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم ( قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة ) والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ههنا ثم وصفها بقوله ( سواء بيننا وبينكم ) أى عدل ونصف نستوى نحن وأتم فيها ثم فسرها بقوله ( أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ) لا وثنا ولا صليبا ولا صنما ولا طاغوتا ولا ناراً ولا شيئاً بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له وهذه دعوة جميع الرسل قال الله تعالى ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ) وقال تعالى ( ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا إن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) ثم قال تعالى ( ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ) وقال ابن جرير : يعنى يطبع بعضنا بعضا فى معصية الله وقال عكرمة يسجد بعضنا لبعض ( فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ) أى فان تولوا عن هذا النصف وهذه الدعوة فاشهدوا أتم على استمراركم على الإسلام الذى شرعه الله لكم . وقد ذكرنا فى شرح البخارى عند روايته من طريق الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن أبي سفيان فى قصته حين دخل على قيصر فسأله عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صفته ونمته وما يدعو إليه فأخبره بجميع ذلك على الجلية ، مع أن أبا سفيان إذ ذلك كان مشركا لم يسلم إلا بعد ، وكان ذلك بعد صلح الحديبية وقبل الفتح كما هو مصرح به فى الحديث ، ولأنه لما سأله هل يغير ؟ قال : فقلت لا ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو صانع فيها قال ولم يمكثنى كلمة أزيد فيها شيئا سوى هذه والغرض أنه قال ثم جرى بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فإذا فيه .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فأسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فأعما عليك إثم الأريسيين و ( يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ) » وقد ذكر محمد بن إسحق وغير واحد أن صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها نزلت فى وفد نجران وقال الزهرى : هم أول من بذل الجزية ولا خلاف أن آية الجزية نزلت بعد الفتح فما الجمع بين كتابة هذه الآية قبل الفتح إلى هرقل فى جملة الكتاب وبين ما ذكره محمد بن إسحق والزهرى ؟ والجواب من وجوه ( أحدها ) يحتمل أن هذه الآية نزلت مرتين مرة قبل الحديبية ومرة بعد الفتح ( الثانى ) يحتمل أن صدر سورة آل عمران نزل فى وفد نجران إلى هذه الآية وتكون هذه الآية نزلت قبل ذلك ويكون قول ابن إسحق إلى بضع وثمانين آية ليس بمحفوظ لدلالة حديث أبي سفيان ( الثالث ) يحتمل أن قدوم وفد نجران كان قبل الحديبية وأن الذى بذلوه مصالحة عنى اللباهة لا على وجه الجزية بل يكون من باب للمهادنة والمصالحة ووافق نزول آية الجزية بعد ذلك على وفق ذلك كما جاء فرض

الحس والأربعة أخماس وفق ما فعله عبد الله بن جحش في تلك السرية قبل بدر ثم نزلت فريضة القسم على وفق ذلك (الرابع) يحتمل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر بكتب هذا في كتابه إلى هرقل لم يكن أنزل بعد ثم أنزل القرآن موافقة له صلى الله عليه وسلم كما نزل بموافقة عمر بن الخطاب في الحجاب وفي الأسارى ، وفي عدم الصلاة على المنافقين ، وفي قوله ( واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ) وفي قوله ( عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن ) الآية

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ \*  
هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \*  
مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* إِنْ أَوْلَى النَّاسِ  
بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿

ينكر تبارك وتعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم الخليل عليه السلام ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم كما قال محمد بن إسحق بن يسار حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال : اجتمعت نصارى نجران وأجبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده فقالت الأجبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديا ، وقالت النصارى ما كان إبراهيم إلا نصرانيا فأنزل الله تعالى ( يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم ) الآية أى كيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهوديا وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى ، وكيف تدعون أيها النصارى أنه كان نصرانيا وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر ، ولهذا قال تعالى ( أفلا تعقلون ) ثم قال تعالى ( ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ) الآية . هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به فان اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لكان أولى بهم وإنما تكلموا فيما لا يعلمون ، فأنكر الله عليهم ذلك وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة الذى يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها ، ولهذا قال تعالى ( والله يعلم وأتم لا تعلمون ) ثم قال تعالى ( ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ) أى متحنفا عن الشرك قاصدا إلى الإيمان ( وما كان من المشركين ) وهذه الآية كالتى تقدمت في سورة البقرة ( وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا ) الآية . ثم قال تعالى ( إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ) يقول تعالى . أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل الذين اتبعوه على دينه وهذا النبي يعنى محمدا ﷺ والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بعدهم . قال سعيد بن منصور حدثنا أبو الأحوص عن سعيد بن مسروق عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لكل نبى ولاية من النبيين ، وإن وليي منهم أبى و خليل ربي عز وجل » ثم قرأ ( إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه ) الآية ، وقد رواه الترمذى والبراز من حديث أبى أحمد الزبيرى عن سفيان الثورى عن أبيه به ، ثم قال البراز : ورواه غير أبى أحمد عن سفيان عن أبيه عن أبى الضحى عن عبد الله ولم يذكر مسروقا وكذا رواه الترمذى من طريق وكيع عن سفيان ثم قال : وهذا أصح ، لكن رواه وكيع في تفسيره فقال : حدثنا سفيان عن أبيه عن أبى إسحاق عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لكل نبى ولاية من النبيين وإن وليي منهم أبى و خليل ربي عز وجل إبراهيم عليه السلام » ثم قرأ ( إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا ) الآية ، وقوله ( والله ولي المؤمنين ) أى ولي جميع المؤمنين برسله

﴿ وَدَّت طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ \* يَا أَهْلَ الْكِتَابِ  
لِمَ تَكْفُرُونَ بِبَيِّنَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ \* يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ \* وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارَ وَكُفِرُوا ءَاخِرَهُ  
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ أَلْهَىٰ اللَّهُ فِتْنَةً مَّن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ \* يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ  
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿

يخبر تعالى عن حسد اليهود للمؤمنين وبعيهم إياهم الاضلال وأخبر أن وبال ذلك إنما يعود على أنفسهم وهم لا يشعرون  
أنهم مكشور بهم ، ثم قال تعالى منكرا عليهم ( يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ) أى تعلمون صدقها  
وتتحققون حقها ( يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ) أى تكتمون ما فى كتبكم  
من صفة محمد ﷺ وأنتم تعرفون ذلك وتحققونه ( وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا  
وجه النهار واكفروا آخره ) الآية هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم وهو أنهم  
اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى  
دينهم ليقول الجهلة من الناس إعمارهم إلى دينهم اطلعهم على تقيصة وعيب فى دين المسلمين ولهذا قالوا ( لعلمهم  
يرجعون ) وقال ابن نجیح . عن مجاهد فى قوله تعالى إخباراً عن اليهود بهذه الآية يعنى يهودا صلت مع النبي ﷺ  
صلاة الصبح وكفروا آخر النهار مكرا منهم ليروا الناس أن قد بدت لهم الضلالة منه بعد أن كانوا اتبعوه .  
وقال العوفى عن ابن عباس : قالت طائفة من أهل الكتاب إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار فآمنوا وإذا كان آخره  
فصلوا صلاتكم لعلمهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا ، وهكذا روى عن قتادة والسدى والريبع وأبى مالك  
وقوله تعالى ( ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ) أى لا تطمئنوا أو تظهروا سرکم وما عندکم إلا لمن تبع دينکم ولا تظهروا  
ما بأيديکم إلى المسلمين فيؤمنوا به ويحتجوا به عليكم . قال الله تعالى ( قل إن الهدى هدى الله ) أى هو الذى يهدى قلوب  
المؤمنين إلى أتم الإيمان بما ينزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات والدلائل القاطعات والحجج  
الواضحات وإن كنتم أيها اليهود ما بأيديكم من صفة محمد النبي الأمى فى كتبكم التى نقلتموها عن الأنبياء الأقدمين  
وقوله ( أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم ) يقولون لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين فيتعلموه منكم  
ويساوونكم فيه ويمتازون به عليكم لشدة الإيمان به أو يحاجوكم به عند ربكم أى يتخذوه حجة عليكم بما فى أيديكم  
فتقوم به عليكم الدلالة وترتكب الحجة فى الدنيا والآخرة قال الله تعالى ( قل إن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء ) أى  
الأمر كلها تحت تصرفه وهو المعطى المانع بمن على من يشاء بالإيمان والعلم والتصرف التام ، ويضل من يشاء فيعمى  
بصره وبصيرته ويختم على قلبه وسمعه ويجعل على بصره عشاوة وله الحجة التامة والحكمة البالغة ( والله واسع عليم \*  
يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ) أى اختصكم أيها المؤمنون من الفضل بما لا يحد ولا يوصف بما شرف  
به نبيكم محمد ﷺ على سائر الأنبياء وهذا كم به إلى أكمل الشرائع

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ  
عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ \* بَلَىٰ مَنْ

أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَأَتَىٰ فَاِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾

يخبر تعالى عن اليهود بأن منهم الخونة ويحذر المؤمنين من الاغترار بهم فان منهم (من إن تأمنه بقنطار) أى من المال (يؤده إليك) أى وما دونه بطريق الأولى أن يؤده<sup>(١)</sup> إليك) ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائماً) أى بالمطالبة والملازمة والالحاق فى استخلاص حقاك وإذا كان هذا صنيعه فى الدينار فما فوقه أولى أن لا يؤديه إليك . وقد تقدم الكلام على القنطار فى أول السورة ، وأما الدينار فمعروف . وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا سعيد بن عمرو السكوتى حدثنا بقية عن زياد بن الهيثم حدثنى مالك بن دينار قال : إنما سمى الدينار لأنه دين و نار . وقيل معناه من أخذه بحقه فهو دينه ومن أخذه بغير حقه فله النار . ومناسب أن يذكر ههنا الحديث الذى علقه البخارى فى غير موضع من صحيحه ، ومن أحسنها سياقه فى كتاب الكفالة حيث قال : وقال الليث حدثنى جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجلا من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال : ائتنى بالشهداء أشهدهم فقال كفى بالله شهيداً قال : ائتنى بالكفيل قال : كفى بالله كفيلاً قال : صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج فى البحر فقضى حاجته ثم التمس مركباً يركبها ليقيم عليه فى الأجل الذى أجله فلم يجد مركباً فأخذ خشبة فقهرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال اللهم إنك تعلم أنى استسلفت فلانا ألف دينار فسألنى شهيداً فقلت كفى بالله شهيداً وسألنى كفيلاً فقلت كفى بالله كفيلاً فرضى بك وإنى جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذى له فلم أقدر وإنى استودعتكها ، فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه ، ثم انصرف وهو فى ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده ، فخرج الرجل الذى كان أسلفه لينظر لعل مركباً يجيئه بماله فإذا بالخشبة التى فيها المال فأخذها لأهله حطباً فلما كسرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الرجل الذى كان تسلف منه فأتاه بألف دينار وقال : والله ما زلت جاهداً فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذى أئيت فيه قال : هل كنت بعثت إلى بشيء ؟ قال : ألم أخبرك أنى لم أجد مركباً قبل هذا قال : فإن الله قد أدى عنك الذى بعثت فى الخشبة فانصرف بألف دينار راشداً ، هكذا رواه البخارى فى موضع معلقاً بصيغة الجزم ، وأسنده فى بعض المواضع من الصحيح عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه . ورواه الإمام أحمد فى مسنده هكذا مطولاً عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث به ، ورواه البزار فى مسنده عن الحسن بن مدرك عن يحيى بن حماد عن أبى عوانة عن عمر بن أبى سلمة عن أبيه عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ، ثم قال : لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد ، كذا قال وهو خطأ لما تقدم . وقوله ( ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأيمن سبيل ) أى إنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون : ليس علينا فى ديننا حرج فى كل أموال الأيمن وهم العرب فإن الله قد أحلها لنا قال الله تعالى ( ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ) أى وقد اختلفوا هذه المقالة ، واثتفكوها بهذه الضلالة ، فإن الله حرم عليهم أكل الأموال إلا بحقها وإنما هم قوم بهت . قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أبى إسحق الحممدانى عن أبى صعصعة بن يزيد أن رجلاً سأل ابن عباس فقال : إنا نصيب فى الغزو من أموال أهل النمة الدجاجة والشاة قال ابن عباس : فتقولون ماذا ؟ قال : تقول ليس علينا بذلك بأس قال هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا فى الأيمن سبيل ، إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطلب أنفسهم ، وكذا رواه الثورى عن أبى إسحق بنحوه وقال ابن أبى حاتم : حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو الربيع الزهرانى حدثنا يعقوب حدثنا جعفر عن سعيد بن جبيرة قال لما قال أهل الكتاب ليس علينا فى الأيمن سبيل قال نبي الله صلى الله عليه وسلم « كذب أعداء الله ما من شيء كان فى الجاهلية إلا وهو تحت قدمى هاتين إلا الأمانة فانها مؤداة إلى البر والفاجر » ثم قال تعالى ( بلى من أوفى بعهد واتقى ) أى لكن من أوفى بعهد واتقى منكم يا أهل الكتاب الذى عاهدكم الله عليه من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا بعث كما أخذ العهد والميثاق على الأنبياء وأممهم بذلك واتقى معارم الله واتبع طاعته وشريعته التى بعث بها خاتم رسله وسيدهم ( فإن الله يحب المتقين )

(١) كذا فى النسخين والوجه أن يؤديه .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى ان الذين يتناضون عما عاهدوا الله عليه من اتباع محمد ﷺ وذكر صفته للناس وبيان أمره وعن أيمانهم الكاذبة الفاجرة الآتمة بالأثمان القليلة الزهيدة وهي عروض هذه الحياة الدنيا الفانية الزائلة ( أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ) أى لانصيب لهم فيها ولا حظ لهم منها ( ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ) أى برحمة منه لهم يعنى لا يكلمهم الله كلام لطف بهم ولا ينظر إليهم بعين الرحمة ( ولا يزكهم ) أى من الذنوب والأدناس بل يأمر بهم إلى النار ( ولهم عذاب أليم ) . وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية الكريمة فلندكر منها ما تيسر .

( الحديث الأول ) قال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا شعبة قال قال علي بن مدرك أخبرني قال : سمعت أبا زرعة عن خرشة بن الحر عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم » قلت يا رسول الله . من هم ؟ خسروا وخابوا قال . وأعاد رسول الله ﷺ ثلاث مرات قال « المسبل ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ، والنان » ورواه مسلم وأهل السنن من حديث شعبة به ( طريق أخرى ) قال أحمد : حدثنا إسماعيل عن الجريري عن أبي العلاء بن الشخير عن أبي الأحسن قال : لقيت أباذر فقلت له بلغني عنك أنك تحدث حديثا عن رسول الله ﷺ قال أما إنه لا يخالي أن أكذب على رسول الله ﷺ بعدما سمعته منه فما الذى بلغك عنى ؟ قلت بلغني أنك تقول : ثلاثة يحبهم الله ، وثلاثة يشنؤهم الله ، قال : قلته وسمعتك قلت فمن هؤلاء الذين يحبهم الله ؟ قال « الرجل يلقي العدو في فلاة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه ، والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يحبوا أن يمسوا الأرض فينزلون فيتنحى أحدهم فيصلى حتى يوقظهم لرحيلهم ، والرجل يكون له الجار يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن » قلت : ومن هؤلاء الذين يشنؤهم الله ؟ قال « التاجر الخلاف - أو قال البائع الخلاف - والتقير المحتال والبخيل النان » غريب من هذا الوجه

( الحديث الثانى ) قال الإمام أحمد . حدثنا يحيى بن سعيد عن جرير بن حازم حدثنا عدى بن عدى أخبرني رجاء ابن حيوة والعرس بن عميرة عن أبيه عدى هو ابن عميرة الكندى قال خاصم رجل من كندة يقال له امرؤ القيس ابن عامر رجلا من حضرموت إلى رسول الله ﷺ فى أرض فقضى على الحضرمى بالبينة فلم يكن له بينة فقضى على امرئ القيس بالبين فقال الحضرمى : أمكنته من البين يا رسول الله ؟ ذهبت ورب الكعبة أرضى ، فقال النبي ﷺ « من حلف على عين كاذبة ليقطع بها مال أحد لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان » قال رجاء وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ( إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ) فقال امرؤ القيس : ماذا لمن تركها يا رسول الله ؟ فقال « الجنة » قال : فاشهد أنى قد تركتها له كلها ، ورواه النسائى من حديث عدى بن عدى به

( الحديث الثالث ) قال أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « من حلف على عين فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان » فقال الأشعث : فى والله كان ذلك ، كان بينى وبين رجل من اليهود أرض فجددنى أرضى فقدمته إلى رسول الله ﷺ فقال لى رسول الله ﷺ « ألك بينة » ؟ قلت : لا فقال اليهودى احلف . فقلت يا رسول الله إذا يحلف فيذهب مالى فأنزل الله عز وجل ( إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ) الآية ، أخرجاه من حديث الأعمش ( طريق أخرى ) قال أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبى النجود عن شقيق بن سلمة حدثنا عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان » قال فجع الأشعث ابن قيس فقال : ما يحدثكم أبو عبد الرحمن ؟ فحدثناه فقال : كان فى هذا الحديث خاصمت ابن عملى إلى رسول الله ﷺ فى بئر كانت لى فى يده فجددنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينتك أنها بئرك وإلا فيمينه » قال :

قلت يارسول الله مالي بينة ، وإن تجعلها يمينه تذهب بى إن خصمى امرؤ فاجر فقال رسول الله ﷺ « من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان » قال : وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ( إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ) الآية

( الحديث الرابع ) قال أحمد : حدثنا يحيى بن غيلان قال حدثنا رشيد بن زياد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « إن لله تعالى عبادا لا يكلمهم يوم القيامة ولا يذكهم ولا ينظر إليهم » قيل ومن أولئك يارسول الله ؟ قال « متبرئ من والديه راغب عنهما ومتبرئ من ولده ، ورجل أنعم عليه قوم فكفر نعمتهم وتبرأ منهم »

( الحديث الخامس ) قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا هشيم أنبأنا العوام يعنى ابن حوشب عن إبراهيم بن عبد الرحمن يعنى السكسكى عن عبد الله بن أبي أوفى ان رجلا أقام سلعة له في السوق فحلف بالله لقد أعطى بها مالم يعطه ليقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت هذه الآية ( إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ) الآية ورواه البخارى من غير وجه عن العوام

( الحديث السادس ) قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم ، رجل منع ابن السبيل فضل ماء عنده ، ورجل حلف على سلعة بعد العصر يعنى كاذبا ، ورجل بايع إماما فإن أعطاه وفى له وإن لم يعطه لم يفله » ورواه أبو داود والترمذى من حديث وكيع وقال الترمذى : حديث حسن صحيح

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

يخبر تعالى عن اليهود وعليهم لعائن الله أن منهم فريقا يحرفون الكلم عن مواضعه ويبدلون كلام الله ويزيلونه عن المراد به ليوهمو الجهلة أنه في كتاب الله كذلك وينسبونه إلى الله وهو كذب على الله وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله ، ولهذا قال الله تعالى ( ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ) وقال مجاهد والشعبي والحسن وقتادة والربيع بن أنس : ( يلوون ألسنتهم بالكتاب ) يحرفونه ، وهكذا روى البخارى عن ابن عباس أنهم يحرفون ويزيلون وليس أحد من خلق الله يزيل لفظ كتاب من كتب الله لكنهم يحرفونه يتأولونه على غير تأويله وقال وهب بن منبه : إن التوراة والإنجيل كما أنزلهما الله تعالى لم يغير منهما حرف ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم ( ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ) فأما كتب الله فإنها محفوظة لا تحول رواه ابن أبي حاتم ، فان عني وهب ما بأيديهم من ذلك فلا شك أنه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص . وأما تعريب ذلك للشاهد بالعربية ففيه خطأ كبير وزيادات كثيرة ونقصان ووهم فاحش ، وهو من باب تفسير العرب العبر (١) وقهم كثير منهم بل أكثرهم بل جميعهم فاسد وأما إن عني كتب الله التي هي كتبه من عنده فذلك كما قال محفوظة لم يدخلها شيء

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

(١) وفيها العبر العرب .

قال محمد بن إسحق حدثنا محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأخبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس : أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعوننا ؟ أو كما قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله (١) ما بذلك بعثي ولا بذلك أمرني » أو كما قال صلى الله عليه وسلم فأنزل الله في ذلك من قولها ( ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة - إلى قوله - بعد إذ أتم مسلمون ) فقوله ( ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ) أي ما ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكمة والنبوة أن يقول للناس اعبدوني من دون الله أي مع الله ، فإذا كان هذا لا يصلح لنبي ولا مرسل ، فلأن لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأخرى ، ولهذا قال الحسن البصري : لا ينبغي هذا للمؤمن أن يأمر الناس بعبادته قال وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضاً يعني أهل الكتاب كانوا يعبدون أبحارهم ورهبانهم كما قال الله تعالى ( اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ) الآية . وفي المسند والترمذي كما سيأتي أن عدى بن حاتم قال : يا رسول الله ما عبدوهم قال « بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم » فالجمله من الأخبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا النم والتوبيخ بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين فانما يأمرهم بما يأمر الله به وبلغتهم إياه رسله الكرام . وإنما يهونهم عما نهاهم الله عنه وبلغتهم إياه رسله الكرام . فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم السفراء بين الله وبين خلقه في أداء ما حمّله من الرسالة وإبلاغ الأمانة فقاموا بذلك أتم القيام ونصحوا الخلق ، وبلغوهم الحق ، وقوله ( ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ) أي ولكن يقول الرسول للناس كونوا ربانيين قال ابن عباس وأبو رزين وغير واحد أي حكاء علماء حلماء ، وقال الحسن وغير واحد فقهاء ، وكذا روى عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقناة وعطاء الخراساني وعطية العوفي والربيع بن أنس . وعن الحسن أيضاً يعني أهل عبادة وأهل تقوى . وقال الضحاك في قوله ( بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ) حق على من تعلم القرآن أن يكون فيها تعلمون أي تفهمون معناه وقرئ تعلمون بالتشديد من التعليم ( وبما كنتم تدرسون ) نحفظون ألفاظه ثم قال الله تعالى ( ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ) أي ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ( أيأمركم بالكفر بعد إذ أتم مسلمون ) أي لا يفعل ذلك إلا من دعا إلى عبادة غير الله ، ومن دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر ، والأنبياء إنما يأمرهم بالإيمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ) وقال تعالى ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) الآية ، وقال ( وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الله آلهة يعبدون ) وقال إخباراً عن الملائكة ( ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين )

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ \* فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعث من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة وبلغ أي مبلغ ثم جاء رسول من بعده ليؤمن به ولينصره ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته ولهذا قال تعالى وهدس ( وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ) أي لمهما

(١) في نسخة الأزهر غيره

أعطيتكم من كتاب وحكمة ( ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ) وقال ابن عباس ومجاهد والريبع بن أنس وقتادة والسدي : يعني عهدي . وقال محمد بن إسحق (إصري) أي نقل ما حملتم من عهدي أي ميثاق الشديد المؤكد ( قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك ) أي عن هذا العهد والميثاق ( فأولئك هم الفاسقون ) . قال علي بن أبي طالب وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به ولنصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولنصرنه . وقال طاوس والحسن البصري وقتادة : أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا ، وهذا لا يضاد ما قاله علي وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه . ولهذا روى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه مثل قول علي وابن عباس . وقد قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن جابر عن الشعبي عن عبد الله بن ثابت قال جاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني أمرت بأخلى يهودي (١) من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك ؟ قال فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله ابن ثابت قلت له ألا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عمر : رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا قال : فسرى عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال « والذي نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتموني لضلتم ، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين »

(حديث آخر) قال الحافظ أبو يعلى (٢) حدثنا إسحاق حدثنا حماد عن مجاهد عن الشعبي عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وإنكم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن تكذبوا بحق وإنه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني » وفي بعض الأحاديث « لو كان موسى وعيسى حين لما وسعهما إلا اتباعي » فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين هو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم ، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا بيت المقدس وكذلك هو الشفيح في المحشر في إتيان الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له والذي يعبد عنه أولو العزم من الأنبياء والرسل حتى تنتهي النوبة إليه فيكون هو المخصوص به صلوات الله وسلامه عليه

﴿ أَفَنُفِرَ دِينَ اللَّهِ يَتَّبِعُونَ وَ لَهُ أُسْلِمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ \* قُلْ ءَأَمِنًا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا يَفْرَقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ \* وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿

يقول تعالى منكر أظلم من أراد ديناً سوى دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسوله وهو عبادة الله وحده لا شريك له الذي له أسلم من في السموات والأرض أي استسلم له من فيما طوعا وكرها كما قال تعالى ( والله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها ) الآية وقال تعالى ( أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يفتخرون ظلالة عن اليمين والشمال يسجدوا لله وهم داخرون \* والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون \* يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ) فالؤمن مستسلم بقلبه وقاله لله ، والكافر مستسلم لله كرها ، فانه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم الذي لا يخالف ولا يمانع . وقد ورد حديث في تفسير هذه الآية على معنى آخر فيه غرابة فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن النضر العسكري حدثنا سعيد بن حفص النفيلي حدثنا محمد بن محسن العكاشي حدثنا الأوزاعي عن عطاء بن أبي رباح عن النبي صلى الله عليه وسلم « وله أسلم من في السموات والأرض طوعا

(١) وفي نسخة الأزهر مررت بأخلى من قريظة (٢) وفيها أبو بكر يعني البزار فيراجعان .

وكرها) «أما من في السموات فالملائكة ، وأما من في الأرض فمن ولد على الإسلام . وأما كرهاً فمن آتى به من سببا الأمم في السلاسل والأغلال ، يقادون إلى الجنة وهم كارهون » وقد ورد في الصحيح «عجبر بك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل » وسيأتى له شاهد من وجه آخر ، ولكن المعنى الأول للآية أقوى . وقد قال وكيع في تفسيره حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد (وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرهاً) قال : هو كقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) وقال أيضاً : حدثنا سفيان عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس (وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرهاً) قال حين أخذ الميثاق ( وإليه يرجعون ) أى يوم المعاد فيجازى كلا بعمله . ثم قال تعالى ( قل آمنوا بالله وما أنزل علينا ) يعنى القرآن ( وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ) أى من الصحف والوحى ( والأسباط ) وهم بطون بنى إسرائيل المتشعبة من أولاد إسرائيل - وهو يعقوب - الاثنى عشر ( وما أوتى موسى وعيسى ) يعنى بذلك التوراة والإنجيل ( والنبيون من ربهم ) وهذا يعنى جميع الأنبياء جملة ( لا نفرق بين أحد منهم ) يعنى بل تؤمن بجمعهم ( ونحن له مسلمون ) فالمؤمنون من هذه الأمة يؤمنون بكل نبي أرسل ، وبكل كتاب أنزل لا يكفرون بشيء من ذلك بل هم يصدقون بما أنزل من عند الله ، وبكل نبي بعثه الله

ثم قال تعالى ( ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ) الآية أى من سلك طريقاً سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه ( وهو في الآخرة من الخاسرين ) كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عباد بن راشد حدثنا الحسن حدثنا أبو هريرة إذذاك ونحن بالمدينة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تجيء الأعمال يوم القيامة فتجيء الصلاة فتقول يارب أنا الصلاة فيقول إنك على خير ، وتجيء الصدقة فتقول يارب أنا الصدقة فيقول إنك على خير ، ثم يجيء الصيام فيقول يارب أنا الصيام فيقول إنك على خير ، ثم تجيء الأعمال ، كل ذلك يقول الله تعالى إنك على خير ، ثم يجيء الإسلام فيقول يارب أنت السلام وأنا الإسلام فيقول الله تعالى إنك على خير بك اليوم آخذوك أعطى . قال الله في كتابه ( ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ) » تفرد به أحمد قال أبو عبد الرحمن عبد الله ابن الإمام أحمد : عباد بن راشد ثقة ولكن الحسن لم يسمع من أبي هريرة

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ \* خَلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ \* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع البصرى حدثنا يزيد بن زريع حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم فأرسل إلى قومه أن سلوا لى رسول الله هل لى من توبة ؟ فنزلت ( كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم - إلى قوله - فإن الله غفور رحيم ) فأرسل إليه قومه فأسلم ، وهكذا رواه النسائى والحاكم وابن حبان من طريق داود بن أبي هند به . وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال عبد الرزاق أنبأنا جعفر بن سليمان حدثنا حميد الأعرج عن مجاهد قال : جاء الحارث ابن سويد فأسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه فأنزل الله فيه (١) ( كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم - إلى قوله - غفور رحيم ) قال . فحملها إليه رجل من قومه فقرأ عليه فقال الحارث . إنك - والله ما علمت - لصدوق وإن رسول الله لأصدق منك ، وإن الله لأصدق الثلاثة قال : فرجع الحارث فأسلم فحس إسلامه فقوله تعالى ( كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات ) أى قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسول ، ووضع لهم الأمر ثم ارتدوا إلى

ظلمة الشرك ، فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعد ما تلبسوا به من العماية ولهذا قال تعالى ( والله لا يهدي القوم الظالمين ) ثم قال تعالى ( أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ) أى يلعنهم الله ويلعنهم خلقه ( خالد بن فيها ) أى فى اللعنة ( لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ) أى لا يفتقر عنهم العذاب ولا يخفف عنهم ساعة واحدة ثم قال تعالى ( إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ) وهذا من لطفه وبره ورأفته ورحمته وعائذته على خلقه أن من تاب إليه تاب عليه

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ \* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِثْلُ مَا أُعْتَدِيَ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾

يقول تعالى متوعداً ومهدداً لمن كفر بعد إيمانه ثم ازداد كفراً أى استمر عليه إلى المات ومخبراً بأنهم لن تقبل لهم توبة عند المات كما قال تعالى ( وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت ) الآية ولهذا قال ههنا ( لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون ) أى الخارجون عن المنهج الحق إلى طريق النقي قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الله بن زريع حدثنا يزيد بن زريع حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أن قوما أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية ( إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم ) هكذا رواه وإسناده جيد ، ثم قال تعالى ( إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به ) أى من مات على الكفر فلن يقبل منه خير أبداً ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهباً فيما يراه قرابة كما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن جدعان وكان يقرى الضيف ويفك العاني ويطعم الطعام : هل ينفعه ذلك ؟ فقال « لا إنه لم يقل يوماً من الدهر رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » وكذلك لو افتدى بملء الأرض أيضاً ذهباً ما قبل منه كما قال تعالى ( ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ) وقال ( لا يبيع فيه ولا خلال ) وقال ( إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم ) ولهذا قال تعالى ههنا ( إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به ) فعطف ولو افتدى به على الأول فدل على أنه غيره ، وما ذكرناه أحسن من أن يقال إن الواو زائدة والله أعلم ويقضى ذلك أن لا يتقذه من عذاب الله شيء ولو كان قد أنفق مثل الأرض ذهباً ولو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهباً بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها . وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثني شعبة عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفقدياً به قال : فيقول نعم ، فيقول الله قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر أريك آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك » وهكذا أخرجه البخارى ومسلم ( طريق أخرى ) وقال الإمام أحمد . حدثنا روح حدثنا حماد عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول له يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول أى رب خير منزل ، فيقول : سل وعمن ، فيقول . ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فى سبيلك عشر مرار ، لما يرى من فضل الشهادة . ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول : يا رب شر منزل فيقول له أنفتدى منى بطلاع الأرض ذهباً فيقول أى رب نعم فيقول : كذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيرد إلى النار » ولهذا قال ( أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين ) أى وما لهم من أحد يتقدهم من عذاب الله ولا يحيرهم من أليم عقابه

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

روى وكيع في تفسيره عن شريك عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون (لن تنالوا البر) قال: الجنة. وقال الإمام أحمد: حدثنا روح حدثنا مالك عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة سمع أنس بن مالك يقول: كان أبوظلحة أكثر الأنصار (١) بالمدينة مالا، وكان أحب أمواله إليه يرحاء، وكانت مستقبلة المسجد وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس: فلما نزلت (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قال أبوظلحة: يا رسول الله إن الله يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وإن أحب أموالي إلى يرحاء وإنها صدقة لله أرجو بها برها وذخرها عند الله تعالى فضها يا رسول الله حيث أراك الله فقال النبي ﷺ « نبح نبح ذلك مال راجح ذلك مال راجح، وقد سمعت وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين » فقال أبوظلحة: أفعل يا رسول الله قسمها أبوظلحة في أقاربه وبنى عمه، أخرجاه (٢) وفي الصحيحين أن عمر قال: يا رسول الله لم أصب مالا قط هو أنفس عندي من سهمي الذي هو خير فما تأمرني به؟ قال « حبس الأصل وسبل الثمرة » وقال الحافظ أبو بكر البرزاري: حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى الحساني حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمرو عن أبي عمرو بن حماس عن حمزة بن عبد الله بن عمر قال: قال عبد الله حضرتي هذه الآية (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فذكرت ما أعطاني الله فلم أجدها أحب إلى من جارية لي رومية فقلت: هي حرة لوجه الله فلواتي أعود في شيء جعلته لله لسكحتها يعني تزوجتها

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ قَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتَلَوْهَا إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ \* فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \* قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر قال: قال ابن عباس حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ فقالوا: حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي: قال « سلوني عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئا ففرتموه لتتابعني على الإسلام » قالوا فذلك لك قالوا: أخبرنا عن أربع خلال، أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل؟ وكيف يكون الذكر منه والأثني وأخبرنا بهذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة؟ فأخذ عليهم العهد لئن أخبرهم ليتابعنه فقال « أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر الله نذرا لئن شفاه الله من سقمه ليحرم من أحب الطعام والشراب إليه وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها » فقالوا: اللهم نعم فقال « اللهم اشهد عليهم » وقال « أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله إن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكرا بإذن الله، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثى بإذن الله » قالوا: نعم قال « اللهم اشهد عليهم » قال « وأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تمام عيناه ولا ينم قلبه » قالوا: اللهم نعم قال « اللهم اشهد » قال « وإن ولي جبريل ولم يعث الله نياقظ إلا وهو وليه » قالوا: فعند ذلك تفارقك ولو كان وليك غيره لتابعناك، فعند ذلك قال الله تعالى (قل من كان عدوا لجبريل) الآية ورواه أحمد أيضا عن حسين بن محمد عن عبد الحميد به (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا عبد الله بن الوليد العجلي عن بكير بن شهاب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قال (والله على ما نقول وكيل) قال

(١) في نسخة الأزهر أنصاري (٢) أي في الصحيحين.

« هاتوا » قالوا أخبرنا عن علامة النبي ؟ « قال تمام عيناؤه ولا ينام قلبه » قالوا أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر . قال « يلتقي الماءان فإذا علاماء الرجل ماء المرأة أذكرت ، وإذا علاماء المرأة أنثت » قالوا أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه ؟ قال « كان يشتكى عرق النساء فلم يجد شيئا يلائمه إلا ألبان كذا وكذا - قال أحمد قال بعضهم يعني الإبل - فحرم لحومها » قالوا صدقت قالوا أخبرنا ما هذا الرعد ؟ قال « ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيده - أو في يديه - مخراق من نار يزرجه بالسحاب يسوقه حيث أمره الله عز وجل » قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع ؟ قال « صوته » قالوا صدقت إنما بقيت واحدة وهي التي تتابعك إن أخبرتنا بها إنه . ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبير فأخبرنا من صاحبك قال « جبريل عليه السلام » قالوا جبريل ذلك ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان ، فأنزل الله تعالى ( قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ) والآية بعدها وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث عبدالله بن الوليد العجلي به نحوه ، وقال الترمذى حسن غريب : وقال ابن جريج والعوفى عن ابن عباس . كان إسرائيل عليه السلام - وهو يعقوب - يعتريه عرق النساء بالليل ، وكان يقلقه ويزعجه عن النوم ويقع الوجع عنه بالنهار فنذر الله لئن عافاه الله لا يأكل عرقا ولا يأكل ولد ماله عرق ، وهكذا قال الضحاك والسدى كذا ورواه حكاة ابن جرير في تفسيره قال . فاتبعه بنوه في تحريم ذلك استئناسا به واقتداء بطريقه قال : وقوله ( من قبل أن تنزل التوراة ) أى حرم ذلك على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قلت : ولهذا السياق بعد ما تقدم مناسبتان ( إحداهما ) أن إسرائيل عليه السلام حرم أحب الأشياء إليه وتركها لله وكان هذا سائعا في شريعتهم فله مناسبة بعد قوله ( لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ) فهذا هو المشروع عندنا وهو الانفاق في طاعة الله بما يحبه العبد ويشتهي كما قال تعالى ( وآتى المال على حبه ) وقال تعالى ( ويطعمون الطعام على حبه ) الآية ( المناسبة الثانية ) لما تقدم بيان (١) الرد على النصارى واعتقادهم الباطل في المسيح وتبيين زيف ما ذهبوا إليه ، وظهور الحق واليقين في عيسى وأمه كيف خلقه الله بقدرته ومشيتته وبعثه إلى نبي إسرائيل يدعو إلى عبادة ربه تبارك وتعالى ، شرع في الرد على اليهود قبائحهم الله تعالى ، وبيان أن النسخ الذي أنكروا وقوعه وجوازهم قد وقع ، فإن الله تعالى قد نص في كتابهم التوراة أن نوحا عليه السلام لما خرج من السفينة أباح الله له جميع دواب الأرض يأكل منها ، ثم بعد هذا حرم إسرائيل على نفسه لحوم (٢) الإبل وألبانها فاتبعه بنوه في ذلك ، وجاءت التوراة بتحريم ذلك ، وأشياء أخرى زيادة على ذلك ، وكان الله عز وجل قد أذن لآدم في تزويج بناته من بنيه ، وقد حرم ذلك بعد ذلك ، وكان التسرى على الزوجة مباحا في شريعة إبراهيم عليه السلام ، وقد فعله إبراهيم في هاجر لما تسرى بها على سارة ، وقد حرم مثل هذا في التوراة عليهم ، وكذلك كان الجمع بين الأختين سائعا ، وقد فعله يعقوب عليه السلام جمع بين الأختين ، ثم حرم عليهم ذلك في التوراة ، وهذا كله منصوص عليه في التوراة عندهم ، وهذا هو النسخ بعينه فكذلك فليكن ما شرعه الله للمسيح عليه السلام في إحلاله بعض ما حرم في التوراة فما بالهم لم يتبعوه بل كذبوه وخالفوه ؟ وكذلك ما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من الدين القويم ، والصراط المستقيم ، وملة أبيه إبراهيم ، فما بالهم لا يؤمنون ؟ ولهذا قال تعالى ( كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ) أى كان حلالا لهم جميع الأطعمة قبل نزول التوراة إلا ما حرمه إسرائيل ثم قال تعالى ( قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ) فإنها ناطقة بما قلناه ( فمن افتري على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون ) أى فمن كذب على الله وادعى أنه شرع لهم السبت والتمسك بالتوراة دائما ، وأنه لم يبعث نبيا آخر يدعو إلى الله تعالى بالبراهين والحجج بعد هذا الذي بيناه من وقوع النسخ وظهور ما ذكرنا ( فأولئك هم الظالمون ) ثم قال تعالى ( قل صدق الله ) أى قل يا محمد صدق الله فيما أخبر به وفيما شرعه في القرآن ( فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ) أى اتبعوا ملة إبراهيم التي شرعها الله في القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فإنه الحق الذي لا شك فيه ولا مرية وهي الطريقة التي لم يأت نبي بأكل منها ولا أبين ولا أوضح ولا أتم كما قال تعالى ( قل إننى هدى ربي إلى صراط

(١) في نسخة الأزهر السياق في . (٢) وفيها لحان .

مستقيم \* دينا قبا ملة إبراهيم خيفا وما كان من المشركين ) وقال تعالى ( ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم خيفا وما كان من المشركين )

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا بُرَّاهِمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ أُسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾

خبر تعالى أن أول بيت وضع للناس أي لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم يطوفون به ويصلون إليه ويعتكفون عنده ( للذي ببكة ) يعني الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام الذي يزعم كل من طائفتي النصراني واليهودي أنهم على دينه ومنهجه ولا يحجون إلى البيت الذي بناه عن أمر الله في ذلك ونادي الناس إلى حجه ولهذا قال تعالى ( مباركا ) أي وضع مباركا ( وهدى للعالمين ) وقد قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول ؟ قال « المسجد الحرام » قلت . ثم أي ؟ قال « المسجد الأقصى » قلت كم بينهما ؟ قال « أربعون سنة » قلت . ثم أي قال « ثم حيث أدركتك الصلاة فصل فكلها مسجد » وأخرجه البخاري ومسلم من حديث الأعمش به . وقال ابن أبي حاتم . حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا سعيد بن سليمان عن شريك عن مجاهد<sup>(١)</sup> عن الشعبي عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى ( إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا ) قال كانت البيوت قبله ولكنه أول بيت وضع لعبادة الله . وحدثنا أبي حدثنا الحسن ابن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن سماك عن خالد بن عرعة قال : قام رجل إلى علي رضي الله عنه فقال : ألا تحدثني عن البيت أهو أول بيت وضع في الأرض ؟ قال : لا ولكنه<sup>(٢)</sup> أول بيت وضع فيه البركة مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ، وذكر تمام الخبر في كيفية بناء إبراهيم البيت ، وقد ذكرنا ذلك مستقصى في أول سورة البقرة فأغنى عن إعادته هنا . وزعم السدي أنه أول بيت وضع على وجه الأرض مطلقا ، والصحيح قول علي رضي الله عنه . فأما الحديث الذي رواه البيهقي في بناء الكعبة في كتابه دلائل النبوة من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عبد الله ابن عمرو بن العاص مرفوعا « بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فأمرهما ببناء الكعبة فبناه آدم ثم أمر بالطواف به وقيل له . أنت أول الناس وهذا أول بيت وضع للناس » فإنه كما ترى من مفردات ابن لهيعة وهو ضعيف . والأشبه والله أعلم أن يكون هذا موقوفا على عبد الله بن عمرو ، ويكون من الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب

وقوله تعالى ( للذي ببكة ) بكة من أسماء مكة على المشهور قيل سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجبارة بمعنى أنهم يذلون بها ويخضعون عندها وقيل : لأن الناس يتباكون فيها أي يزدحمون . قال قتادة . إن الله بك به الناس جميعا فيصلى النساء أمام الرجال ولا يفعل ذلك ببلد غيرها وكنداروى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب ومقاتل بن حيان . وذكر حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال . مكة من الفج إلى التنعيم ، وبكة من البيت إلى البطحاء وقال شعبة عن المغيرة عن إبراهيم : بكة البيت والمسجد وكذا قال الزهري . وقال عكرمة في رواية وميمون بن مهران : البيت وما حوله بكة ، وما وراء ذلك مكة . وقال أبو مالك وأبو صالح وإبراهيم النخعي وعطية العوفي ومقاتل بن حيان بكة موضع البيت وما سوى ذلك مكة وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة ، مكة ، وبكة ، والبيت العتيق والبيت الحرام ، والبلد الأمين ، والمأمون ، وأم رحم<sup>(٣)</sup> ، وأم القرى ، وصلاح ، والعرش على وزن بدر ، والقادس لأنها تطهر من الذنوب ، والقدسة ، والناس بالنون وبالباء أيضا والياسة والحاطمة ، والرأس ، وكوثاء والبلدة ، والبنية ، والكعبة

وقوله تعالى ( فيه آيات بينات ) أي دلالات ظاهرة أنه من بناء إبراهيم ، وأن الله عظمه وشرفه ثم قال تعالى

(مقام إبراهيم) يعنى الذى لما ارتفع البناء استعان به على رفع القواعد منه والجدران حيث كان يقف عليه ويتاوله ولده إسماعيل ، وقد كان ملتصقا بجدار البيت حتى أخره عمر بن الخطاب رضى الله عنه في إمارته إلى ناحية الشرق بحيث يتمكن الطواف منه ولا يشوشون على المصلين عنده بعد الطواف . لأن الله تعالى قد أمرنا بالصلاة عنده حيث قال (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقد قدمنا الأحاديث في ذلك فأغنى عن إعادته ههنا والله الحمد والمنة وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (فيه آيات بينات مقام إبراهيم) أى فمنهم مقام إبراهيم والمشاعر . وقال مجاهد أثر قدميه في المقام آية بينة ، وكذا روى عن عمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة والسدى ومقاتل بن حيان وغيرهم . وقال أبو طالب في قصيدته اللامية المشهورة وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد وعمرو الأودى قالا : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى (مقام إبراهيم) قال : الحرم كله مقام إبراهيم ، ولفظ عمرو : الحجر كله مقام إبراهيم ، وروى عن سعيد بن جبير أنه قال : الحج مقام إبراهيم . هكذا رأيت في النسخة ولعله الحجر كله مقام إبراهيم . وقد صرح بذلك مجاهد وقوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) يعنى حرم مكة إذا دخله الخائف يأمن من كل سوء ، وكذلك كان الأمر في حال الجاهلية كما قال الحسن البصرى وغيره : كان الرجل يقتل فيضع في عنقه صوفة ويدخل الحرم فيلقاه ابن المقتول فلا يهتجه حتى يخرج . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى التميمي عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) قال : من عاذ بالبيت أعاده البيت ، ولكن لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى فإذا خرج أخذ بذنبه : وقال الله تعالى (أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) الآية . وقال تعالى (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) وحتى إنه من جملة محرميها حرمة اصطياص صيدها وتنفيذه عن أوكاره ، وحرمة قطع شجرها وقلع حشيشها ، كما ثبتت الأحاديث والآثار في ذلك عن جماعة من الصحابة مرفوعا وموقوفا . ففي الصحيحين واللفظ لمسلم عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة « لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا » وقال يوم فتح مكة « إن هذا البلد حرمة الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ، ولم يحل لى إلا في ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكة ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ، ولا يخفى خلاها » فقال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم وليوتهم فقال « إلا الإذخر » ولها عن أبي هريرة مثله أو نحوه ولها واللفظ لمسلم أيضاً عن أبي شريح العدوى أنه قال : لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة ائذن لى أيها الأمير أن أحدثك قولاً قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته أذناى ووعاه قلبى وأبصرته عيناي حين تكلم به إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً . أو يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له إن الله أذن لنبيه ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لى فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب » فقيل لأبي شريح ما قال لك عمرو ؟ قال : أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعيد عاصيا ولا فاراً بدم ولا فاراً بحربة وعن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة » رواه مسلم . وعن عبد الله بن عدى بن الحمراء الزهرى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بالحزورة<sup>(١)</sup> بسوق مكة يقول « والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت » رواه الإمام أحمد وهذا لفظه والترمذى والنسائى وابن ماجه ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، وكذا صحح من حديث ابن عباس نحوه . وروى أحمد عن أبي هريرة نحوه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حنيفة بن آدم بن بنت أزهر السمان حدثنا بشر بن عاصم عن زريق بن مسلم الأعمى مولى بنى مغزوم حدثني زياد بن أبي عياش عن يحيى بن جعدة بن هيرة في قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا)

قال : آمننا من النار . وفي معنى هذا القول الحديث الذي رواه البيهقي . أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان حدثنا أحمد بن عبيد حدثنا محمد بن سليمان بن الواسطي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا ابن المؤمل عن ابن محيصن عن عطاء عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من دخل البيت دخل في حسنة وخرج من سيئة وخرج مغفورا له » ثم قال : تفرد به عبد الله بن المؤمل وليس بالقوى . وقوله ( والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ) هذه آية وجوب الحج عند الجمهور . وقيل بل هي قوله ( وأتموا الحج والعمرة لله ) والأول أظهر . وقد وردت الأحاديث المتعددة بأنه أحد أركان الاسلام ودعائه وقواعده ، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعا ضروريا وإنما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والاجماع . قال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا يزيد بن هرون حدثنا الربيع ابن مسلم القرشي عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا » فقال رجل أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله ﷺ « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » ثم قال « ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » ورواه مسلم عن زهير ابن حرب عن يزيد بن هرون به نحوه . وقد روى سفيان بن حسين وسليمان بن كثير وعبد الجليل بن حميد ومحمد بن أبي حفصة عن الزهري عن أبي سنان الدؤلي واسمه يزيد بن أمية عن ابن عباس رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال « يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج » فقام الأقرع بن حابس فقال : يارسول الله أفى كل عام ؟ فقال « لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها ولن<sup>(١)</sup> تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع » رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، والحاكم من حديث الزهري به ، ورواه شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه . وروى من حديث أسامة بن زيد

وقال الإمام أحمد : حدثنا منصور بن وردان عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى عن أبيه عن البخري عن علي رضى الله عنه قال : لما نزلت ( والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ) قالوا يارسول الله في كل عام فسكت قالوا يارسول الله في كل عام ؟ قال « لا ولو قلت نعم لوجبت » فأنزل الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ) وكذا رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث منصور بن وردان به ثم قال الترمذي حسن غريب ، وفيما قال نظر لأن البخارى قال : لم يسمع أبو البخري من علي . وقال ابن ماجه : حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا محمد بن أبي عبيدة عن أبيه عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك قال : قالوا يارسول الله الحج في كل عام ؟ قال « لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لم تقوموا بها ولولم تقوموا بها لتعذبتم » . وفي الصحيحين من حديث ابن جريج عن عطاء عن جابر عن سراقه بن مالك قال : يارسول الله متعتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد ؟ قال « لا . بل للأبد » وفي رواية « بل للأبد الأبد »

وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود من حديث واقد بن أبي واقد الليثي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه في حجته هذه « ثم ظهور الحصر - يعني ثم الزمن ظهور الحصر - ولا تخرجن من البيوت » وأما الاستطاعة فأقسام تارة يكون الشخص مستطيعا بنفسه وتارة بغيره كما هو مقرر في كتب الأحكام : قال أبو عيسى الترمذي : حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا إبراهيم بن يزيد قال : سمعت محمد بن عباد بن جعفر يحدث عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قام رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : من الحاج يارسول الله ؟ قال : « الشعث النفل » فقام آخر فقال أى الحج أفضل يارسول الله : قال « العج والحج » فقام آخر فقال : ما السبيل يارسول الله قال : « الزاد والراحلة » وهكذا رواه ابن ماجه من حديث إبراهيم بن يزيد وهو الجوزي . قال الترمذي : ولا يرفعه إلا من حديثه وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه كذا قال هبنا وقال في كتاب الحج : هذا حديث حسن لا يشك أن هذا الاسناد رجاله كلهم ثقات سوى الجوزي هذا وقد تكلموا فيه من أجل هذا الحديث لكن قد تابعه غيره فقال ابن

(١) في نسخة الأزهر ولم .

أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز بن عبد الله العامري حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي عن محمد بن عباد ابن جعفر قال : جلست إلى عبد الله بن عمر قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له ما السبيل ؟ قال « الزاد والراحلة » وهكذا رواه ابن مردويه من رواية محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير به . ثم قال ابن أبي حاتم : وقد روى عن ابن عباس وأنس والحسن ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبيرة والربيع بن أنس وقتادة نحو ذلك وقد روى هذا الحديث من طرق أخرى من حديث أنس وعبد الله بن عباس وابن مسعود وعائشة كلها مرفوعة ، ولكن في أسانيدھا مقال كما هو مقرر في كتاب الأحكام والله أعلم . وقد اعتنى الحافظ أبو بكر بن مردويه بجمع طرق هذا الحديث ، ورواه الحاكم من حديث قتادة عن حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ سئل عن قول الله عز وجل ( من استطاع إليه سبيلا ) فقيل ما السبيل ؟ قال « الزاد والراحلة » ثم قال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وقال ابن جرير : حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال : قرأ رسول الله ﷺ ( والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ) فقالوا : يارسول الله ما السبيل ؟ قال « الزاد والراحلة » ورواه وكيع في تفسيره عن سفيان عن يونس به . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أنبأنا الثوري عن إسماعيل وهو أبو إسرائيل الملائني عن فضيل بن يحيى ابن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعجلوا إلى الحج - يعني الفريضة - فإن أحكم لا يدري ما يعرض له » . وقال أحمد أيضا : حدثنا أبو معاوية حدثنا الحسن بن عمرو الفقيمي عن مهران ابن أبي صفوان عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من أراد الحج فليتعجل » ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي معاوية الضرير به . وقد روى وكيع وابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى ( من استطاع إليه سبيلا ) قال من ملك ثلثمائة درهم فقد استطاع إليه سبيلا وعن عكرمة مولاة أنه قال : السبيل الصحة . وروى وكيع بن الجراح عن أبي جناب يعني الكلبي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال : ( من استطاع إليه سبيلا ) قال « الزاد والبعر » وقوله تعالى ( ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : أي ومن جحد فريضة الحج فقد كفر والله غني عنه . وقال سعيد بن منصور عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن عكرمة قال : لما نزلت ( ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ) قالت اليهود : فنحن مسلمون قال الله عز وجل فاحصمهم فحجهم يعني فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله فرض على المسلمين حج البيت من استطاع إليه سبيلا » فقالوا : لم يكتب علينا وأبوا أن يحجوا قال الله تعالى ( ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ) وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه . وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود حدثنا مسلم بن إبراهيم وشاذ بن فياض قالوا : حدثنا هلال أبو هاشم الحراساني حدثنا أبو إسحاق الهمداني عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ملك زادا وراحلة ولم يحج بيت الله فلا يضره مات يهوديا أو نصرانيا وذلك بأن الله قال ( والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ) \* ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » ورواه ابن جرير من حديث مسلم بن إبراهيم به وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي زرعة الرازي حدثنا هلال بن الفياض حدثنا هلال أبو هاشم الحراساني فذكره بإسناده مثله ، ورواه الترمذي عن محمد بن علي (١) القطعي عن مسلم بن إبراهيم عن هلال بن عبد الله مولى ربيعة بن عمرو ابن مسلم الباهلي به وقال : هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه وفي إسناده مقال ، وهلال مجهول ، والحارث يضعف في الحديث . وقال البخاري ، هلال هذا منكر الحديث . وقال ابن عدي ، هذا الحديث ليس بمحفوظ . وقد روى أبو بكر الاسماعيلي الحافظ من حديث أبي عمرو الأزاعي حدثني إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر حدثني عبد الرحمن بن غنم (٢) أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهوديا أو نصرانيا ، وهذا إسناد صحيح إلى عمر رضي الله عنه . وروى سعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد هممت أن أبعث رجلا إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جدة فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِبَيِّنَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ \* قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبَغُّونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

هذا تعنيف من الله تعالى للكفرة أهل الكتاب على عنادهم للحق وكفرهم بآيات الله وصددهم عن سبيل الله من أراد من أهل الإيمان بجهدهم وطاقتهم مع علمهم بأن مآجاء به الرسول حق من الله وبما عندهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين والسادة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وما بشروا به ونوهوا به من ذكر النبي الأبي الهاشمي العربي المكي سيد ولد آدم. وخاتم الأنبياء، ورسول رب الأرض والسماء ، وقد توعدهم الله على ذلك ، وأخبر بأنه شهيد على صنعهم ذلك بما خالفوا ما بأيديهم عن الأنبياء ومعاملتهم الرسول المبشر به بالكذب والجحود والعناد ، فأخبر تعالى أنه ليس بغافل عما يعملون أى وسيجزئهم على ذلك ( يوم لا ينفع مال ولا بنون )

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ \* وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتْلُوا عَلَيْنَا آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

يحذر تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يطيعوا طائفة من أهل الكتاب الذين يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله وما منحهم من إرسال رسوله كما قال تعالى ( ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم ) الآية ، وهكذا قال ههنا ( إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ) ثم قال تعالى ( وكيف تكفرون وأتمت تلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ) يعنى أن الكفر بغير دينكم وحاشاكم منه فإن آيات الله تنزل على رسوله ليلاً ونهاراً وهو يتلوها عليكم ويبلغها إليكم ، وهذا كقوله تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا برسبكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين ) الآية بعدها . وكما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوماً « أى المؤمنین أعجب إليكم إيماناً ؟ » قالوا : الملائكة قال « وكيف لا يؤمنون والوحى ينزل عليهم » قالوا : فنحن قال « وكيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم » قالوا : فأى الناس أعجب إيماناً؟ قال « قوم يحيئون من بعدكم يحدون صحفاً يؤمنون بما فيها » وقد ذكرت سند هذا الحديث والكلام عليه في أول شرح البخارى والله الحمد . ثم قال تعالى ( ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ) أى ومع هذا فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة فى الهداية ، والعمدة فى مباحة الغواية ، والوسيلة إلى الرشاد ، وطريق السداد وحصول المراد

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ \* وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

قال ابن أبى حاتم . حدثنا محمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن سفيان وشعبة عن زيد الياى عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود ( اتقوا الله حق تقاته ) قال : أن يطاع فلا يعصى ، وأن يدكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر ، وهذا إسناد صحيح موقوف ، وقد تابع مرة عليه عمرو بن ميمون عن ابن مسعود ، وقد رواه ابن مردويه من حديث يونس ابن عبد الأعلى عن ابن وهب عن سفيان الثورى عن زيد عن مرة عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويدكر فلا ينسى » وكذا رواه الحاكم فى مستدرکه من حديث مسعر عن زيد عن مرة عن ابن مسعود مرفوعاً فذكره ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه كذا

قال . والأظهر أنه موقوف والله أعلم . ثم قال ابن أبي حاتم . وروى نحوه عن مرة الهمداني والربيع بن خيثم وعمرو ابن ميمون وإبراهيم النخعي وطاوس والحسن وقتادة وأبي سنان والسدي نحوه ذلك . وروى عن أنس أنه قال لا يتقى الله العبد حتى تقاته حتى يخزن لسانه . وقد ذهب سعيد بن جبير وأبو العالية . والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم والسدي وغيرهم إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى ( فاتقوا الله ما استطعتم ) . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ( اتقوا الله حق تقاته ) قال : لم تنسخ ولكن حق تقاته أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده ولا تأخذهم في اللومة لائم ، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وقوله تعالى ( ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ) أي حافظوا على الإسلام في حال صحبتكم وسلامتكم لتموتوا عليه فان الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بعث عليه فيعابا بالله من خلاف ذلك

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح حدثنا شعبة قال سمعت سليمان بن مجاهد : إن الناس كانوا يطوفون بالبيت وإن ابن عباس جالس معه محبج فقال : قال رسول الله ﷺ « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، ولو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم (١) فكيف بمن ليس له طعام إلا الزقوم » وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من طرق عن شعبة به وقال الترمذي ؛ حسن صحيح : وقال الحاكم : على شرط الشيخين ولم يخرجاه

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه »

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل » ورواه مسلم من طريق الأعمش به وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يونس عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الله قال أنا عند ظن عبدي بي ، فإن ظن بي خيرا فله ، وإن ظن بي شرا فله » وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين من وجه آخر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله أنا عند ظن عبدي بي »

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الملك القرشي حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت وأخسبه عن أنس قال : كان رجل من الأنصار مريضاً فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم يعود فواقفه في السوق فسلم عليه فقال له « كيف أنت يا فلان » ؟ قال : بخير يا رسول الله أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه بما يخاف » ثم قال لا نعلم رواه عن ثابت غير جعفر بن سليمان ، وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديثه ثم قال الترمذي غريب ، وكذا رواه بعضهم عن ثابت مرسلأ فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك عن حكيم بن حزام قال : بايعت رسول صلى الله عليه وسلم أن لا أخرج إلا قائماً ، ورواه النسائي في سننه عن إسماعيل ابن مسعود عن خالد بن الحارث عن شعبة به وترجم عليه فقال ﴿ باب كيف يخرج للسجود ﴾ ثم ساقه مثله فقيل معناه أن لا أموت إلا مسلماً ، وقيل : معناه أن لا أقتل إلا مقبلاً غير مدبر وهو يرجع إلى الأول

وقوله تعالى ( واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ) قيل ( بحبل الله ) أي بعهد الله كما قال في الآية بعدها ( ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ) أي بعهد وذمة وقيل بحبل من الله يعني القرآن كما في حديث الحارث الأعور عن علي مرفوعاً في صفة القرآن « هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم »

وقد ورد في ذلك حديث خاص بهذا المعنى فقال الإمام الحافظ أبو جعفر الطبري : حدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثنا أسباط بن محمد عن عبد الملك بن (٢) سليمان العزمي عن عظمة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) في نسخة الأزر : لأمرت على أهل الأرض عيشهم (٢) وفيها : أبو سليمان .

« كتاب الله هو جبل الله الممدود من السماء إلى الأرض »

وروى ابن مردويه من طريق إبراهيم بن مسلم المجري عن أبي الأحوص عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن هذا القرآن هو جبل الله اللتين ، وهو النور المبين ، وهو الشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه » وروى من حديث حذيفة وزيد بن أرقم نحو ذلك . وقال وكيع حدثنا الأعمش عن أبي وائل قال : قال عبد الله : إن هذا الصراط محتضر يحضره الشياطين . يا عبد الله هذا الطريق ، هلم إلى الطريق فاعتصموا بجبل الله فان جبل الله القرآن .

وقوله ( ولا تفرقوا ) أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة . وقد وردت الأحاديث المتعددة بالهوى عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف كما في صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إن الله يرضى لكم ثلاثا ، ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويسخط لكم ثلاثا : قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال » وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ ، كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضا . وخيف عليهم الافتراق والاختلاف فقد وقع ذلك في هذه الأمة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة ، منها فرقة ناجية إلى الجنة ومسلية من عذاب النار وهم الذين على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

وقوله تعالى ( واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ) إلى آخر الآية ، وهذا السياق في شأن الأوس والخزرج فإنه قد كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية ، وعداوة شديدة وضغائن وإحن وذخول ، طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم ، فلما جاء الله بالاسلام فدخل فيه من دخل منهم صاروا إخوانا متحابين بجلال الله ، متواصلين في ذات الله ؛ متعاونين على البر والتقوى قال الله تعالى ( هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ) إلى آخر الآية وكانوا على شفا حفرة من النار بسبب كفرهم فأقدهم الله منها أن هداهم للإيمان . وقد امتن عليهم بذلك رسول الله ﷺ يوم قسم غنائم حنين فعتب من عتب منهم بما فضل عليهم في القسمة بما أراه الله فخطبهم فقال « يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي ؟ » فكلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمن . وقد ذكر محمد بن إسحق بن يسار وغيره : أن هذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج . وذلك أن رجلا من اليهود مربلا من الأوس والخزرج فساء ما هم عليه من الاتفاق والألفة فبعث رجلا معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بعثت وتلك الحروب ففعل فلم يزل ذلك دأبه حتى حشيت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض وتناوروا ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتواعدوا إلى الحرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول « أبدوى الجاهلية وأنايين أظهركم ؟ » وتلا عليهم هذه الآية فندموا على ما كان منهم واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح رضى الله عنهم وذكر عكرمة . أن ذلك نزل فيهم حين تناوروا في قضية الإفك والله أعلم

﴿ وَوَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾  
 وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ

يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَمَلِينَ \* وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿

يقول تعالى ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون قال الضحاك : هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء . وقال أبو جعفر الباقر قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ) ثم قال « الخير اتباع القرآن وسنتي » رواه ابن مردويه . والقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد فرد من الأمة بحسبه كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه . فإن لم يستطع فبقلبه . وذلك أضعف الإيمان » وفي رواية « وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »

وقال الامام أحمد حدثنا سليمان الهاشمي أنبأنا إسماعيل بن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمرو عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهبلي عن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمرو بن أبي عمرو به ، وقال الترمذي حسن والأحاديث في هذا الباب كثيرة مع الآيات الكريمة كما سيأتي تفسيرها في أما كتبها . ثم قال تعالى ( ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ) الآية ينهى تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضين في افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم .

قال الامام أحمد : حدثنا أبو الغيرة حدثنا صفوان حدثني أزهر بن عبد الله الهروي عن أبي عامر عبد الله بن يحيى قال : حججنا مع معاوية بن أبي سفيان فلما قدمنا مكة قام حين صلى صلاة الظهر فقال : إن رسول الله ﷺ قال « إن أهل الكتابين افرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة - وهي الجماعة - وإنه سيخرج في أمي أقوام تتجارى بهم الأهواء كالتجارى الكلاب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله » والله يامعشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أخرى أن لا يقوم به . وهكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى كلاهما عن أبي الغيرة واسمه عبد القدوس بن الحجاج الشامي به ، وقد ورد (١) هذا الحديث من طرق

وقوله تعالى ( يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ) يعني يوم القيامة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل البدع والفرقة قاله ابن عباس رضي الله عنهما ( فأما الذين اسودت وجوههم أ كفرتم بعد إيمانكم ) قال الحسن البصري : وهم المنافقون ( فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ) وهذا الوصف يعم كل كافر ( وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ) يعني الجنة ما كثرون فيها أبدا لا يبعثون عنها حولا . وقد قال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن الربيع بن صبيح وحماد بن سلمة عن أبي غالب قال : رأى أبو أمامة رءوسا منصوبة على درج مسجد دمشق فقال أبو أمامة . كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلاه ثم قرأ ( يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ) إلى آخر الآية قلت : لأبي أمامة أنت سمعته من رسول الله ﷺ قال : لو لم أسمعها إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا أو أربعا - حتى عدسبعا - ما حدثتكوه ، ثم قال هذا حديث حسن ، وقد رواه ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن أبي غالب ، وأخرجه أحمد في مسنده عن عبد الرزاق عن معمر بن أبي غالب بنحوه وقد روى ابن مردويه عند تفسير هذه الآية عن أبي ذر حديثا مطولا غريبا عجيبا جدا . ثم قال تعالى ( تلك آيات الله تتلوها عليك ) أي هذه آيات الله وحججه وبياناته تتلوها عليك يا محمد ( بالحق ) أي تكشف ما الأمر عليه في الدنيا

والآخرة (وما الله يريد ظاماً للعالمين) أى ليس بظالم لهم بل هو الحاكم (١) العدل الذى لا يجور ، لأنه القادر على كل شيء ، العالم بكل شيء ، فلا يحتاج مع ذلك إلى أن يظلم أحداً من خلقه ، ولهذا قال تعالى (ولله ما فى السموات وما فى الأرض) أى الجميع ملك له وعبيد له (وإلى الله ترجع الأمور) أى هو الحاكم المتصرف فى الدنيا والآخرة

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ \* لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُوا يُمْرُتُكُمْ الْأَذْبَارُكُمْ لَا يَنْصُرُونَ \* ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِبَيِّنَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾

يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم فقال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال البخارى : حدثنا محمد بن يوسف عن سفيان بن ميسرة عن أبي حازم عن أبي هريرة رضى الله عنه (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال : خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الاسلام ، وهكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطية العوفى وعكرمة وعطاء والربيع بن أنس (كنتم خير أمة أخرجت للناس) يعنى خير الناس للناس : والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس ، ولهذا قال (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) قال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا شريك عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن درة (٢) بنت أبي لهب قالت : قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال يا رسول الله أى الناس خير ؟ قال « خير الناس أقراهم وأتقاهم لله وأمرهم بالمعروف وأنهم عن المنكر وأوصلهم للرحم » ورواه أحمد فى مسنده والنسائى فى سننه والحاكم فى مستدركه من حديث سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال : هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة . والصحيح أن هذه الآية عامة فى جميع الأمة كل قرن بحسبه ، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، كما قال فى الآية الأخرى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أى خيارا (لتكونوا شهداء على الناس) الآية

وفى مسند الإمام أحمد وجامع الترمذى وسنن ابن ماجه ومستدرك الحاكم من رواية حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « أتم توفون سبعين أمة أتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل » وهو حديث مشهور ، وقد حسنه الترمذى . ويروى من حديث معاذ بن جبل وأبي سعيد نحوه . وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد صلوات الله وسلامه عليه فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله ، وبهت الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبي قبله ولا رسول من الرسل فالعمل على منهاجه وسبيله يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه كما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا ابن زهير عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن علي وهو ابن الحنفية أنه سمع على بن أبي طالب رضى الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ « أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء » فقلنا يا رسول الله ما هو ؟ قال « نصرت بالرعب ، وأعطيت مفاتيح الأرض ، ومميت أحمد وجعل التراب لى طهورا ، وجعلت أمى خير الأمم » تفرد به أحمد من هذا الوجه وإسناده حسن

وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أبو العلاء الحسن بن سوار حدثنا ليث عن معاوية بن أبي جيثم (٣) عن يزيد بن ميسرة قال سمعت أبا الدرداء رضى الله عنه يقول : سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم وما سمعته يكنيه قبلها ولا بعدها يقول

(١) فى نسخة الأزهر : الحكم (٢) وفيها زوج درة (٣) وفيها حليس .

« إن الله تعالى يقول يا عيسى إني باعث بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا ، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ، ولا حلم ولا علم قال : يارب كيف هذا لهم ولا حلم ولا علم ؟ قال أعطيتهم من حلمي وعلمي »

وقد وردت أحاديث يناسب ذكرها هنا قال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا المسعودي حدثنا بكير بن الأحنس عن رجل عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعطيت سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، فاستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً » فقال أبو بكر رضي الله عنه : فرأيت أن ذلك آت على أهل القرى ومصيب من حافات البوادي

( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن بكر السهمي حدثنا هشام بن حسان عن القاسم بن مهران عن موسى بن عبيد عن ميمون بن مهران عن عبد الرحمن بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال « إن ربي أعطاني سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب » فقال عمر يارسول الله فهل استزدت قال « استزدت فأعطاني مع كل ألف سبعين ألفاً » قال عمر فهل استزدت قال « قد استزدت فأعطاني هكذا » وفرج عبد الرحمن ابن أبي بكر بين يديه ، وقال عبد الله وبسط باعیه وحشا عبد الله وقال هاشم : وهذا من الله لا يدري ما عده

( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة قال : قال شريح بن عبيدة : مرض ثوبان بمحص وعلمها عبد الله بن قرط الأزدي فلم يعده فدخل على ثوبان رجل من السكلايين عائداً له فقال له ثوبان : أتكتب؟ قال : نعم قال آكتب فكتب للأمير عبد الله بن قرط من ثوبان مولى رسول الله ﷺ . أما بعد فإنه لو كان لموسى وعيسى عليهما السلام بمحضرتك خادم لعدته ، ثم طوى الكتاب وقال له : أتبلغه إياه ؟ قال نعم فانطلق الرجل بكتابه فدفعه إلى ابن قرط فلما رآه قام فزعا فقال الناس ماشأ نه أحدث أمر : فأتى ثوبان فدخل عليه فعاده وجلس عنده ساعة ثم قام فأخذ ثوبان بردائه وقال : اجلس حتى أحدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول « ليدخلن الجنة من أمي سبعون ألفاً لأحساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً » تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وإسناد رجاله كلهم ثقات شاميون حميون فهو حديث صحيح والله الحمد والمنة

( طريق أخرى ) قال الطبراني حدثنا عمرو بن إسحاق بن زريق الحمصي حدثنا محمد بن إسماعيل يعني ابن عياش حدثني أبي عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن ربي عز وجل وعدني من أمي سبعين ألفاً لا يحاسبون ، مع كل ألف سبعون ألفاً » هذا لعله هو المحفوظ بزيادة أبي أسماء الرحبي بين شريح وبين ثوبان والله أعلم

( حديث آخر ) : قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن الحسن بن عمران بن حصين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أكثرنا الحديث عند رسول الله ﷺ ذات ليلة ثم غدونا إليه فقال « عرضت على الأنبياء الليلة بأمتي ، فجعل النبي يمر ومعه الثلاثة والنبي ومعه العصابة ، والنبي ومعه النفر ، والنبي وليس معه أحد ، حتى مر على موسى عليه السلام ومعه كبكبة من بني إسرائيل فأعجبوني فقلت من هؤلاء ؟ قيل : هذا أخوك موسى ومعه بنو إسرائيل فقلت . فأين أمي ؟ فقيل انظر عن يمينك فنظرت فإذا الضراب (١) قد سد بوجوه الرجال فقيل لي أرضيت فقالت . أرضيت يارب - قال فقيل لي إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب » فقال النبي ﷺ « فداكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين ألفاً فافعلوا فإن قصرتم فكونوا من أهل الضراب ، فان قصرتم فكونوا من أهل الأفق فإني قد رأيت ثم أناسا يتهاشون » فقام عكاشة بن محسن فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم أي من السبعين فدعاه ، فقام رجل آخر فقال ادع الله يارسول الله أن يجعلني منهم فقال « سبقك بها عكاشة » قال ثم تحدثنا قلنا من ترون هؤلاء السبعين الألف ، قوم ولدوا في الاسلام ولم يشركوا بالله شيئاً حتى ماتوا فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال « هم الذين لا يسترقون . ولا يكتونون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » هكذا رواه أحمد بهذا السند وهذا السياق ، ورواه أيضا عن عبد الصمد عن هشام عن قتادة باسناده مثله وزاد بعد قوله « أرضيت يارب ، أرضيت يارب قال : قلت نعم قال : انظر عن يسارك

(١) قوله فإذا الضراب هكذا في الموضعين وفي نسخة في موضع الضراب بالطاء وحرر .

قال - فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال فقال : رضيت؟ قلت: رضيت» وهذا إسناد صحيح من هذا الوجه، وتفرد به أحمد ولم يخرجوه

( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن منيع حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز حدثنا حماد بن عاصم عن زر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « عرضت على الأمم بالموسم فراثت على أمتي ، ثم رأيتهم فأعجبني كثرتهم وهيتهم ، قد ملؤا السهل والجبل فقال أرضيت يا محمد ؟ قلت : نعم قال : فان مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ، وطى ربهم يتوكلون » ققام عكاشة بن محسن فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال « أنت منهم » ققام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال « سبقك بها عكاشة » رواه الحافظ الضياء المقدسي وقال : هذا عندي على شرط مسلم . ( حديث آخر ) قال الطبراني حدثنا محمد بن محمد الجذوعي القاضي حدثنا عقبه بن مكرم حدثنا محمد بن أبي عدى عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب » قيل . من هم ، قال « هم الذين لا يسترقون ، ولا يكتون ، ولا يتطيرون ، وطى ربهم يتوكلون » ورواه مسلم من طريق هشام بن حسان وعنده ذكر عكاشة

( حديث آخر ) ثبت في الصحيحين من رواية الزهري عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة حدثه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يدخل الجنة من أمتي زمرة وهم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » قال أبو هريرة . ققام عكاشة بن محسن الأسدي يرفع حمرة عليه فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله ﷺ « اللهم اجعله منهم » ثم قام رجل من الأنصار فقال مثله فقال « سبقك بها عكاشة »

( حديث آخر ) قال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا سعيد بن أبي مرزوق حدثنا أبو غسان عن أبي حازم عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً - أو سبعمائة ألف - أخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » أخرجه البخاري ومسلم جميعاً عن قتيبة عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل به .

( حديث آخر ) قال مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثنا سعيد بن منصور حدثنا هشيم أنبأنا حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : أيكم رأى السكوكب الذي انقض البارحة ، قلت أنا ثم قلت أما إنني لم أكن في صلاة ولكني لدغت قال فما صنعت ، قلت استرقيت قال فما حملك على ذلك قلت حديث حدثنا الشعبي قال وما حدثكم الشعبي قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب الأسلمي أنه قال « لارقة إلا من عين أو حمة » قال قد أحسن من انتهى إلى مسمع ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد . إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي ؛ فقيل لي هذا موسى وقومه . ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم . فقيل لي : انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » ثم نهض فدخل منزله فحاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئاً وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما الذي تخوضون فيه ؟ » فأخبروه فقال « هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكتون ولا يتطيرون : وطى ربهم يتوكلون » ققام عكاشة بن محسن فقال ادع الله أن يجعلني منهم « قال أنت منهم » ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم قال « سبقك بها عكاشة » وأخرجه البخاري عن أسيد بن زيد عن هشيم وليس عنده : لا يرقون .

( حديث آخر ) قال أحمد حدثنا روح بن عباد حدثنا بن جرير أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديثاً وفيه « فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر لا يحاسبون ثم الذين

يلونهم كأضواء نجم في السماء» ثم كذلك وذكر بقيته ، رواه مسلم من حديث روح غير أنه لم يذكر النبي ﷺ (حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب السنن له حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد سمعت أبا أمامة الباهلي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً ، مع كل ألف سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل» وكذا رواه الطبراني من طريق هشام بن عمار عن إسماعيل بن عياش به ، وهذا إسناد جيد (طريق أخرى) عن أبي أمامة . قال ابن أبي عاصم حدثنا دحيم حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن أبي اليمان الهروي واسمه عامر بن عبد الله بن يحيى عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال «إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب» فقال يزيد بن الأخنس ، والله ما أولئك في أمتك يا رسول الله إلا مثل اللباب الأصب في الذباب قال رسول الله ﷺ «فإن الله وعدني سبعين ألفاً ، مع كل ألف سبعون ألفاً ، وزادني ثلاث حثيات» وهذا أيضاً إسناد حسن

(حديث آخر) قال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن خليل حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن يزيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدثني عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفاً ثم يحيى ربي عز وجل بكفيه ثلاث حثيات» فكبر عمر وقال : إن السبعين الأول يشفعهم الله في آبائهم وأبنائهم وعشيرتهم وأرجو أن يجعلني الله في إحدى الحثيات الأواخر. قال الحافظ الضياء أبو عبد الله المقدسي في كتابه صفة الجنة : لا أعلم لهذا الإسناد علة والله أعلم

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا هشام يعني الدستوائي حدثنا يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة حدثنا عطاء بن يسار أن رفاعة الجهني حدثه قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد - أو قال بقديد - فذكر حديثاً وفيه ثم قال «وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ، وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوؤا أتم ومن صلح من أزواجكم وذرياتكم مساكن في الجنة» قال الضياء : وهذا عندي على شرط مسلم

(حديث آخر) قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمئة ألف» قال أبو بكر رضي الله عنه . زدنا يا رسول الله قال «والله هكذا» قال عمر حبسك يا أبا بكر فقال أبو بكر : دعني وما عليك أن يدخلنا الله الجنة كلنا . قال عمر : إن الله (١) إن شاء أدخل خلقه الجنة بكف واحد فقال النبي ﷺ «صدق عمر» هذا الحديث بهذا الإسناد تفرد به عبد الرزاق . قال الضياء وقد رواه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني قال : حدثنا محمد بن أحمد بن محمد حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي مائة ألف» فقال له أبو بكر يا رسول الله زدنا قال «وهكذا» وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك قلت يا رسول الله زدنا فقال عمر : إن الله قادر على أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة ، فقال رسول الله ﷺ «صدق عمر» هذا حديث غريب من هذا الوجه . وأبو هلال اسمه محمد بن سليم الراسبي بصري

(طريق أخرى) عن أنس . قال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن بكر حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي حدثنا حميد عن أنس عن النبي ﷺ قال «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً» قالوا زدنا يا رسول الله قال «لكل رجل سبعون ألفاً» قالوا زدنا وكان على كتيب فقالوا : فقال «هكذا» وحنا يديه قالوا يا رسول الله أبعده الله من دخل النار بعد هذا وهذا إسناد جيد ، ورجاله كلهم ثقات ، ماعدا عبد القاهر بن السري ، وقد سئل عنه ابن معين . فقال صالح .

(حديث آخر) روى الطبراني من حديث قتادة عن أبي بكر بن عمر عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله وعدني أن يدخل من أمتي ثلثمائة ألف الجنة بغير حساب» فقال عمر: يارسول الله زدنا فقال وهكذا بيده فقال عمر يارسول الله زدنا فقال عمر: حسبك إن الله إن شاء أدخل خلقه الجنة بحفنة أو بحشة واحدة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صدق عمر» (حديث آخر) قال الطبراني حدثنا أحمد بن خالد حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن يزيد بن سلام يقول حدثني عبد الله بن عامر أن قيسا الكندي حدثه أن أبا سعيد الأعمري حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن ربي وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب ويشفع كل ألف لسبعين ألفا، ثم يحيى ربي ثلاث حشيات بكفيه» كذا قال قيس فقلت لأبي سعيد أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم بأذني ووعاه قلبي قال أبو سعيد قال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم «وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجري أمتي ويوفى الله بقيته من أعرابنا» وقد روى هذا الحديث محمد بن سهل بن عسكر عن أبي توبة الربيع بن نافع بإسناده مثله وزاد: قال أبو سعيد، فحسب ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ أربع مائة ألف وتسعين ألفا

(حديث آخر) قال أبو القاسم الطبراني حدثنا هشيم بن مرثد الطبراني حدثنا محمد بن إسحاق بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما والذي نفسي محمد بيده ليعتزن منكم يوم القيامة إلى الجنة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يحيطون الأرض تقول الملائكة لجماء مع محمد أكثر مما جاء مع الأنبياء» وهذا إسناد حسن

(حديث آخر (١)) من الأحاديث الواردة على فضيلة هذه الأمة وشرفها وكرامتها على الله عز وجل، وأنها خير الأمم في الدنيا والآخرة: قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول «إني لأرجو أن يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة» قال: فكبرنا، ثم قال: «أرجو أن يكونوا ثلث الناس» قال: فكبرنا ثم قال: «أرجو أن يكونوا الشطر» وهكذا رواه عن روح بن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود قال: قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة» فكبرنا ثم قال «أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فكبرنا، ثم قال «إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة»

(طريق أخرى) عن ابن مسعود: قال الطبراني حدثنا أحمد بن القاسم بن مساور حدثنا عفان بن مسلم حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثني الحارث بن حصين حدثني القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كيف أتم وربع الجنة لكم ولسائر الناس ثلاثة أرباعها» قالوا الله ورسوله أعلم قال «كيف أتم وثلثها» قالوا ذلك أكثر قال «كيف أتم والشطر لكم» قالوا ذلك أكثر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أهل الجنة عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفا» قال الطبراني. تفرد به الحارث بن حصين

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا ضرار بن مرة أبو سنان الشيباني عن محارب بن ديثار عن ابن بريدة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أهل الجنة عشرون ومائة صف. هذه الأمة من ذلك ثمانون صفا» وكذا رواه عن عفان عن عبد العزيز بن مسعود، وأخرجه الترمذي من حديث أبي سنان به وقال: هذا حديث حسن، ورواه ابن ماجه من حديث سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه به

(حديث آخر) روى الطبراني من حديث سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا خالد بن يزيد البجلي حدثنا سليمان بن علي ابن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من أمتي» تفرد به خالد بن يزيد البجلي، وقد تكلم فيه ابن عدي

(حديث آخر) قال الطبراني حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا موسى بن غيلان حدثنا هاشم بن مخلد حدثنا

عبد الله بن المبارك عن سفیان عن أبي عمرو عن أبيه عن أبي هريرة قال : لما نزلت (ثلاثة من الأولين وثلاثة من الآخرين) قال رسول الله ﷺ : « أتم ربع أهل الجنة ، أتم ثلث أهل الجنة ، أتم نصف أهل الجنة ، أتم ثلثا أهل الجنة »

وقال عبدالرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة نحن أول الناس دخولا الجنة . بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم ، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق ، فهذا اليوم الذى اختلفوا فيه الناس لنا فيه تبع غدا لليهود وللنصارى بعد غد » رواه البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا بنحوه ، ورواه مسلم أيضا من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة » وذكر تمام الحديث (حديث آخر) روى الدارقطنى فى الأفراد من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الجنة حُرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحُرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي » ثم قال : انفرد به ابن عقيل عن الزهرى ، ولم يرو عنه سواه ، وتفرد به زهير بن محمد عن ابن عقيل ، وتفرد به عمرو بن أبى سلمة عن زهير . وقد رواه أبو أحمد بن عدى الحافظ فقال : حدثنا أحمد بن الحسين بن إسحاق حدثنا أبو بكر الأعين محمد بن أبى غياث حدثنا أبو حفص التنيسى حدثنا صدقة الدمشقى عن زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهرى . ورواه الثعلبى حدثنا أبو عباس الخلدى أنبأنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد أنبأنا أحمد ابن عيسى التنيسى حدثنا عمرو بن سلمة حدثنا صدقة بن عبد الله عن زهير بن محمد بن عقيل به

فهذه الأحاديث فى معنى قوله تعالى ( كنتم خيرا أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ) فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم فى هذا المدح<sup>(١)</sup> كما قال قتادة : بلغنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى حجة حجها رأى من الناس دعة فقرأ هذه الآية ( كنتم خيرا أمة أخرجت للناس ) ثم قال من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها . رواه ابن جرير ، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله تعالى ( كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ) الآية : ولهذا لما مدح تعالى هذه الأمة على هذه الصفات شرع فى ذم أهل الكتاب وتأنيبهم فقال تعالى ( ولو آمن أهل الكتاب ) أى بما أنزل على محمد ( لكان خيرا لهم ، منهم المؤمنون وأكثرتهم الفاسقون ) أى قليل منهم من يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم ، وأكثرتهم على الضلالة والكفر والفسق والعصيان

ثم قال تعالى مخبرا عباده المؤمنين ومبشرا لهم أن النصر والظفر لهم على أهل الكتاب الكفرة الملحدين فقال تعالى ( لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ) هكذا وقع فإنهم يوم خير أذلمهم الله وأرغم أنوفهم وكذلك من قبلهم من يهود المدينة بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة كلهم أذلمهم الله ، وكذلك النصارى بالشام كسرهم الصحابة فى غير ماموطن وسلبوهم ملك الشام أبد الأبدىين ودهر الداهرين ، ولا تزال عصابة الاسلام قائمة بالشام حتى ينزل عيسى بن مريم وهم كذلك ، ويحكم بملة الاسلام وشرع محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ولا يقبل إلا الاسلام . ثم قال تعالى ( ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ) أى أزمهم الله الذلة والصغار أينما كانوا فلا يأمنون ( إلا بحبل من الله ) أى بذمة من الله وهو عقد الذمة لهم وضرب الجزية عليهم وإزمهم أحكام الملة ( وحبل من الناس ) أى أمان منهم لهم كما فى المهادن والمعاهد والأسير إذا أمنه واحد من المسلمين ولو امرأة ، وكذا عبد على أحد قولى العلماء قال ابن عباس ( إلا بحبل من الله وحبل من الناس ) أى بعهد من الله وعهد من الناس ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدى والربيع بن أنس . وقوله ( وبأوا بغضب من الله ) أى أزموا : فالزموا بغضب من الله وهم يستحقونه ( وضربت عليهم المسكنة ) أى أزموها قدرا وشرعا . ولهذا قال ( ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ) أى إنما حملهم على ذلك الكبر والبغى والحسد فأعقبهم ذلك الذلة والصغار والمسكنة أبدا متصلا بذل الآخرة ثم قال تعالى ( ذلك بما عصوا وكانوا

(١) فى نسخة الأزهر : التناء عليهم .

يعتدون) اي انما حملهم على الكفر بآيات الله وقتل رسل الله ، وقيضوا لذلك - انهم كانوا يكثرون العصيان لأوامر الله والغشيان لمعاصي الله والاعتداء في شرع الله ، فعاذا بالله من ذلك ، والله عز وجل المستعان . قال ابن ابي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن سلمان الأعمش عن ابراهيم عن أبي معمر الأزدي عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلثمائة نبي ثم يقوم سوق بقلهم في آخر النهار

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَإِنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ \* يَوْمُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ \* وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ \* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

قال ابن أبي نجیح : زعم الحسن بن أبي يزيد العجلي عن ابن مسعود في قوله تعالى (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة) قال : لا يستوى أهل الكتاب وأمة محمد ﷺ ، وهكذا قال السدي . ويؤيد هذا القول الحديث الذي رواه الامام أحمد بن حنبل في مسنده حدثنا ابو النضر وحسن بن موسى قالوا : حدثنا شيبان عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال : أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال « أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم » قال فزلت هذه الآيات ( ليسوا سواء من أهل الكتاب - إلى قوله - والله عليم بالمتقين ) والشهور عند كثير من المفسرين كما ذكره محمد بن إسحق وغيره ، ورواه العوفي عن ابن عباس - أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أجدار أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا ولهذا قال تعالى ( ليسوا سواء ) أي ليسوا أي لا يستوى من تقدم ذكرهم بالله من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا ولهذا قال تعالى ( من أهل الكتاب أمة قائمة ) أي قائمة بأمر الله عليهم على حد سواء ، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم ، ولهذا قال تعالى ( من أهل الكتاب أمة قائمة ) أي قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه متبعة نبي الله فمى قائمة يعني مستقيمة ( يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ) أي يقيمون الليل ويكثرون التهجد ويتلون القرآن في صلواتهم ( يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ) وهؤلاء هم المذكورون في آخر السورة ( وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله ) الآية ، ولهذا قال تعالى هنا ( وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ) أي لا يضيع عند الله بل يجزيهم به أوفر الجزاء ( والله عليم بالمتقين ) أي لا يخفى عليه عمل عامل ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملا ثم قال تعالى مخبراً عن الكفرة المشركين بأنه ( لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ) أي لا ترد عنهم بأس الله ولا عذابه إذا أرادهم بهم ( وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ) ثم ضرب مثلاً لما ينفقه الكفار في هذه الدار قاله مجاهد والحسن والسدي فقال تعالى ( مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيه صر ) أي برد شديد قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم . وقال عطاء : برد وجليد ؛ وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد ( فيها صر ) أي نار وهو يرجع إلى الأول فإن البرد الشديد ولاسيما الجليد يحرق الزروع والثمار كما يحرق الشيء بالنار ( أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته ) أي فأحرقته يعني بذلك السعفة إذا نزلت على حرث قد آن جذاذه أو حصاده فدمرته وأعدمت مافيه من ثمر أوزرع فذهبت به وأفسدته فعدمه صاحبه أحوج ما كان إليه . فكذلك الكفار يحرق الله ثواب أعمالهم في هذه الدنيا وثمرها كما يذهب ثمرة هذا الحرث بذنوب صاحبه . وكذلك

هؤلاء بنوها على غير أصل وعلى غير أساس ( وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون )

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوَمَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ  
مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ \* هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ  
وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ  
قُلِ مُؤْتُوا بغيظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* إِن تَمَسَّسْكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمُ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا  
بِهَا وَإِن تُصِبْرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾

يقول تبارك وتعالى ناهيا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة أى يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم  
والمنافقون بجهدهم وطاقهم لا يألون المؤمنين خبالا أى يسعون فى مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن ، وبما يستطيعون من  
المكر والخديعة ؛ ويودون ما يعنت المؤمنين ويخرجهم ويشق عليهم وقوله تعالى ( لا تتخذوا بطانة من دونكم ) أى من  
غيركم من أهل الأديان وبطانة الرجل هم خاصة أهله الذين يطلعون على داخل أمره . وقد روى البخارى والنسائى  
وغيرها من حديث جماعة منهم يونس ويحيى بن سعيد وموسى بن عقبة وابن أبى عتيق عن الزهرى عن أبى سلمة عن  
أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال « ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان :  
بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه ؛ والمعصوم من عصمه (١) الله وقد رواه الأوزاعى  
ومعاوية بن سلام عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة مرفوعا بنحوه ؛ فيحتمل أنه عند الزهرى عن أبى سلمة عنهما  
وأخرجه النسائى عن الزهرى أيضا ؛ وعلقه البخارى فى صحيحه فقال : وقال عبيد الله بن أبى جعفر عن صفوان بن سليم  
عن أبى سلمة عن أبى أيوب الأنصارى مرفوعا فذكره ، فيحتمل أنه عند أبى سلمة عن ثلاثة من الصحابة والله أعلم  
وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو أيوب محمد بن الوزان حدثنا عيسى بن يونس عن أبى حيان التميمى عن أبى الزبيد  
عن ابن أبى الدهقان قال : قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه إن ههنا غلاما من أهل الحيرة حافظ كاتب فلو أخذته كاتبنا  
فقال . قد أخذت إذا بطانة من دون المؤمنين . فى هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الائمة لا يجوز استعجالهم فى  
الكتابة التى فيها استطالة على المسلمين وإطلاع على دواخل أمورهم التى يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب ؛ ولهذا  
قال تعالى ( لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم ) وقال الحافظ : أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسرائيل حدثنا هشيم حدثنا العوام  
عن الأزر بن راشد قال : كانوا يأتون أنسا فاذا حدثهم بحديث لا يدرون ماهو أتوا الحسن بنى البصرى فيفسره لهم  
قال : فحدث ذات يوم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تستضيئوا بنار المشركين ولا تنقشوا فى خواتمكم عربيا »  
فلم يدروا ماهو ؛ فأتوا الحسن فقالوا له : إن أنسا حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تستضيئوا بنار المشركين  
ولا تنقشوا فى خواتمكم عربيا » فقال الحسن : أما قوله « لا تنقشوا فى خواتمكم عربيا » محمد صلى الله عليه وسلم ؛  
وأما قوله « لا تستضيئوا بنار المشركين » يقول لا تستشروا المشركين فى أموركم . ثم قال الحسن . تصديق ذلك فى كتاب  
الله ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ) هكذا رواه الحافظ أبو يعلى رحمه الله تعالى ؛ وقد رواه النسائى  
عن مجاهد بن موسى عن هشيم ؛ ورواه الامام أحمد عن هشيم بإسناده مثله من غير ذكر تفسير الحسن البصرى ؛ وهذا  
التفسير فيه نظر ومعناه ظاهر « لا تنقشوا فى خواتمكم عربيا » أى بخط عربى لثلا يشابه نقش خاتم النبي صلى الله عليه وسلم  
فانه كان نقشه محمد رسول الله ؛ ولهذا جاء فى الحديث الصحيح أنه نهى أن ينقش أحد على نقشه . وأما الاستضاءة  
بنار المشركين فمعناه لا تقاربوهم فى المنازل بحيث تكونون معهم فى بلادهم بل تباعدوا منهم وهاجروا من بلادهم ؛ ولهذا

(١) فى نسخة الأزر : عصم

روى أبو داود « لا تراءى نارها » وفي الحديث الآخر « من جامع الشرك أوسكن معه فهو مثله » فحمل الحديث على ما قاله الحسن رحمه الله والاستشهاد عليه بالآية فيه نظر والله أعلم .

ثم قال تعالى ( قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ) أى قد لاج على صفحات وجوههم . وقلنا ألسنتهم من العداوة مع ما هم مشتملون عليه فى صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله ما لا يخفى مثله على لبيب عاقل ولهذا قال تعالى ( قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ) وقوله تعالى ( ها أتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ) أى أتم أيها المؤمنون تحبون المنافقين بما يظهرون لكم من الإيمان فتحبونهم على ذلك وهم لا يحبونكم لا باطنا ولا ظاهراً ( وتؤمنون بالكتاب كله ) أى ليس عندكم فى شىء منه شك ولا ريب وهم عندكم الشك والريب والحيرة . وقال محمد بن إسحق حدثنى محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ( وتؤمنون بالكتاب كله ) أى بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم فأتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم رواه ابن جرير ( وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلووا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ) والأنامل أطراف الأصابع ، قاله قتادة وقال الشاعر .

\* وما حملت كفاى أتملى العشرا \*

وقال ابن مسعود والسدى والربيع بن أنس : الأنامل الأصابع ، وهذا شأن المنافقين يظهرون للمؤمنين الإيمان والموودة وهم فى الباطن بخلاف ذلك من كل وجه كما قال تعالى ( وإذا خلووا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ) وذلك أشد الغيظ والحنق قال الله تعالى ( قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ) أى مهما كنتم تحسدون عليه المؤمنين ويغيظكم ذلك منهم فاعلموا أن الله تم نعمته على عباده المؤمنين ومكمل دينه ؛ ومعل كلمته ومظهر دينه ، فموتوا أتم بغيظكم ( إن الله عليم بذات الصدور ) أى هو عليم بما تنطوى عليه ضمائرهم وتكنه سرائرهم من البغضاء والحسد والغل للمؤمنين وهو مجازيكم عليه فى الدنيا بأن يريك خلاف ما تأملون ، وفى الآخرة بالعذاب الشديد فى النار التى أتم خالدهون فيها لا محيد لكم عنها ، ولا خروج لكم منها . ثم قال تعالى ( إن تمسكتم حسنة تسوهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ) وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين وهو أنه إذا أصاب المؤمن خصب ونصر وتأييد وكثروا وعز أنصارهم ساء ذلك المنافقين ، وإن أصاب المسلمين سنة أى جذب أو أديل عليهم الأعداء ، لما لله تعالى فى ذلك من الحكمة كما جرى يوم أحد - فرح المنافقون بذلك قال الله تعالى مخاطبا للمؤمنين ( وإن تصبروا وتقاوا لا يضركم كيدهم شيئا ) الآية يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذى هو محيط بأعدائهم فلا حول ولا قوة لهم إلا به . وهو الذى ما شاء كان . وما لم يشأ لم يكن . ولا يقع فى الوجود شىء إلا بتقديره ومشيئته ومن توكل عليه كفاه

ثم شرع تعالى فى ذكر قصة أحد وما كان فيها من الاختبار لعباده المؤمنين . والتمييز بين المؤمنين والمنافقين وبيان الصابرين (١) فقال تعالى

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ نَبِيُّ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِقْتَالِ اللَّهِ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ \* وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

المراد بهذه الواقعة يوم أحد عند الجمهور قاله ابن عباس والحسن وقتادة والسدى وغير واحد . وعن الحسن البصرى المراد بذلك يوم الأحزاب . ورواه ابن جرير . وهو غريب لا يعول عليه . وكانت وقعة أحد يوم السبت من شوال سنة ثلاث من الهجرة . قال قتادة . لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال . وقال عكرمة . يوم السبت للنصف من شوال فأن الله أعلم وكان سببها أن المشركين حين قتل من قتل من أشرفهم يوم بدر وسامت العير بما فيها من التجارة التى كانت مع أبى سفيان (٢) قال (١) فى نسخة الأزهر : صبر الصابرين (٢) وفيها فلما رجع قفلهم .

أبناء من قتل ورؤساء من بقي لأبي سفيان ارصد هذه الأموال لقتال محمد فأفقوها في ذلك فجمعوا الجوع والأحايش وأقبلوا في نحو من ثلاثة آلاف حتى نزلوا قريبا من أحد تلقاء المدينة فصرى رسول الله ﷺ يوم الجمعة فلما فرغ منها صلى على رجل من بني النجار يقال له مالك بن عمرو واستشار رسول الله ﷺ الناس « أخرج إليهم أم يمكث بالمدينة » فأشار عبد الله بن أبي بالمقام بالمدينة فان أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوها قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وإن رجعوا رجعوا خائبين . وأشار آخرون من الصحابة بمن لم يشهد بدرا بالخروج إليهم فدخل رسول الله ﷺ فلبس لامته وخرج عليهم ، وقد ندم بعضهم وقالوا لعننا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله إن شئت أن نمكث ، فقال رسول الله ﷺ « ما ينبغي لنبى إذا لبس لامته أن يرجع حتى يحكم الله له » فسار رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه فلما كانوا بالشوط رجع عبد الله بن أبي بثلاث الجيش مغضبا لكونه لم يرجع إلى قوله وقال هو وأصحابه : لو نعلم اليوم قتالا لا تبعناكم ولسنا لا نراكم تقاتلون . واستمر رسول الله ﷺ سائرا حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادى . وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وقال « لا يقاتلن أحد حتى تأمره بالقتال » وتهيا رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعمائة من أصحابه . وأمر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو ابن عوف . والرماة يومئذ خمسون رجلا فقال لهم « انضحوا الخيل عنا ولا تؤتينا من قبلكم والزموا مكانكم إن كانت النوبة لنا أو علينا ، وإن رأيتمونا تحظفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم » وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين وأعطى اللواء مصعب بن عمير أخا بني عبد الدار . وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الغلمان يومئذ وآخر آخرين حتى أمضاهم يوم الخندق بعد هذا اليوم بقرب من سنتين وتهيا قريش وهم ثلاثة آلاف . ومعهم مائة فرس قد جنبوها فجمعوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد . وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ودفعوا اللواء إلى بنى عبد الدار ثم كان بين الفريقين ماسياتى تفصيله في موضعه (١) إن شاء الله تعالى . ولهذا قال تعالى ( وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنون مآقدا للقتال ) أى تنزلهم منازلهم وتجعلهم ميمنة وميسرة وحيث أمرتهم ( والله سميع عليم ) أى سميع لما تقولون عليهم بضمايركم وقد أورد ابن جرير ههنا سؤالا حاصله كيف تقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى أحد يوم الجمعة بعد الصلاة وقد قال الله تعالى ( وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنون مآقدا للقتال ) الآية ثم كان جوابه عنه أن غدوه ليواهم مآقدا إنما كان يوم السبت أول النهار . وقوله تعالى ( إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ) الآية قال البخارى حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان قال : قال عمر سمعت جابر بن عبد الله يقول : فينا نزلت ( إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ) الآية قال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما نحب - وقال سفيان مرة - وما يسرنى أنها لم تنزل لقوله تعالى ( والله وليهما ) وكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به وكذا قال غير واحد من السلف إنهم بنو حارثة وبنو سلمة . وقوله تعالى ( ولقد نصركم الله ييدر ) أى يوم بدر ، وكان يوم الجمعة وافق السابع عشر من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة وهو يوم الفرقان الذى أعز الله فيه الإسلام وأهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله وحزبه هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ ، فانهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا ، فهم فارسان وسبعون بعيرا والباقيون مشاة ليس معهم من العدد جميع ما يحتاجون إليه . وكان العدو يومئذ ما بين التسعمائة إلى الألف في سوابغ الحديد والبيض والعدة الكاملة والخيول المسومة والحلى الزائد ، فأعز الله رسوله وأظهر وحيه وتنزله وبيض وجهه النبي وقبيله وأخزى الشيطان وجيله ، ولهذا قال تعالى ممثنا على عبادة المؤمنين وحزبه المتقين ( ولقد نصركم الله ييدر ) وأنتم أذلة ) أى قليل عددكم لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى ( ويوم حين إذ أعجبكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا - إلى - غفور رحيم ) . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سهاك قال . سمعت عياضا الأشعري قال شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وابن حسنة وخالد بن الوليد ، وعياض - وليس عياض هذا الذى حدث سهاك قال : وقال عمر : إذا كان قتالا فليكم أبو عبيدة (٢) قال فكتبنا إليه أنه قد جأش إلينا الموت واستمددناه فكتب إلينا أنه قد جاءنى كتابكم تستمدوننى

(١) في نسخة الأزهر عند هذه الآيات . (٢) أى أمير .

وإني أدلكم على من هو أعز نصراً ، وأحصن جنداً ، الله عز وجل فاستنصروه فان محمداً ﷺ قد نصر في يوم بدر في أقل من عدتكم فاذا جاءكم كتابي هذا فقاتلوه ولا تراجعوني قال فقاتلناهم فهزمناهم أربع فراسخ قال : وأصبنا أموالاً فتشاورنا فأشار علينا عياض أن نعطي عن كل ذى رأس عشرة قال : وقال أبو عبيدة : من يراهنى فقال شاب أنا إن لم تغضب قال : فسبقه فأريت عقيصتي أبي عبيدة يفران وهو خلفه على فرس أعرابي . وهذا إسناد صحيح . وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث بندار عن غندر بنحوه ، واختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه ، وبدر محلة بين مكة والمدينة تعرف بيئها منسوبة إلى رجل حفرها يقال له بدر بن النارين ، قال الشعبي : بدر بئر لرجل يسمى بدرأ : وقوله (فاتقوا الله لعلكم تشكرون) أى تقومون بطاعته

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ \* بَلَىٰ إِن يَصْبِرُوا وَسَتَقْوُوا وَيَأْتُواكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ \* وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ \* لِيَقْطَعَ طَرَقًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ \* لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ \* وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِر لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

اختلف المفسرون في هذا الوعد هل كان يوم بدر أو يوم أحد ؟ على قولين (أحدهما) أن قوله (إذ تقول للمؤمنين) متعلق بقوله (ولقد نصركم الله بدر) وهذا عن الحسن البصرى وعامر الشعبي والربيع بن أنس وغيرهم واختاره ابن جرير قال عباد بن منصور عن الحسن في قوله (إذ تقول للمؤمنين أأن يكفكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة) قال : هذا يوم بدر ، رواه ابن أبي حاتم . ثم قال : حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسحاق حدثنا وهيب حدثنا داود عن عامر بن الشعبي أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمد المشركين فشق ذلك عليهم فأنزل الله تعالى (ألن يكفكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين - إلى قوله - مسومين) قال : فبلغت كرزا الهزيمة فلم يمد المشركين ولم يمد الله المسلمين بالخمسة وقال الربيع بن أنس . أمد الله المسلمين بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف ، فإن قيل فما الجمع بين هذه الآية على هذا القول وبين قوله في قصة بدر (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى يمدكم بألف من الملائكة مردفين - إلى قوله - إن الله عزيز حكيم) ؟ فالجواب أن التنصيص على الألف ههنا لا ينافى الثلاثة الآلاف لما فوقها لقوله (مردفين) بمعنى يردفهم غيرهم ويتبعهم أوف آخر مثلهم . وهذا السياق شبيه هذا السياق في سورة آل عمران ، فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر والله أعلم . وقال سعيد بن أبي عروبة (١) أمد (٢) المسلمين يوم بدر بخمسة آلاف (القول الثانى) إن هذا الوعد متعلق بقوله (وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنون مآعداً للقتال) وذلك يوم أحد وهو قول مجاهد وعكرمة والضحاك والزهرى وموسى بن عقبة وغيرهم . لكن قالوا لم يحصل الامداد بالخمسة الآلاف لأن المسلمين فروا يومئذ ؛ زاد عكرمة ولا بالثلاثة الآلاف لقوله تعالى (بلى إن تصبروا وتتقوا) فلم يصبروا بل فروا فلم يمدوا بملك واحد . وقوله تعالى (بلى إن تصبروا وتتقوا) يعنى تصبروا على مصابرة عدوكم وتتقون وتطيعوا أمرى وقوله تعالى (ويأتوكم من فورهم هذا) قال الحسن وقتادة والربيع والسدى أى من وجههم هذا وقال مجاهد وعكرمة وأبو صالح أى من غضبهم هذا . وقال الضحاك من غضبهم ووجههم . وقال العوفي عن ابن عباس . من سفرهم هذا ، ويقال من غضبهم هذا . وقوله تعالى (يمدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) أى معلمين بالسما وقال أبو إسحق السبيعي عن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : كان سما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض ، وكان سيماهم أيضا في نواصى خيولهم ،

(١) في نسخة الأزهر عن قتادة (٢) وفيها أمد الله المؤمنين

رواه ابن أبي حاتم . ثم قال حدثنا أبو زرعة حدثنا هدية بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سامة عن أبي هريرة رضى الله عنه في هذه الآية ( مسومين ) قال : بالعهن الأحمر ، وقال مجاهد : ( مسومين ) أى محذفة أعرافها معاملة نواصيها بالصوف الأبيض في أذنان الخيل . وقال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنه قال : أتت الملائكة محمدا صلى الله عليه وسلم مسومين بالصوف فسوم محمد وأصحابه أنفسهم وخيلهم (١) على سيماهم بالصوف وقال قتادة وعكرمة ( مسومين ) أى بسيا القتال : وقال مكحول . مسومين بالعمائم . وروى ابن مردويه من حديث عبد القدوس بن حبيب عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ فى قوله ( مسومين ) قال « معلمين » . وكان سبب الملائكة يوم بدر عمائم سود ، ويوم حنين عمائم حمراء ، وروى من حديث حسين (٢) بن مخارق عن سعيد عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس : قال لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر وقال ابن إسحق حدثني من لا أتهم عن مقسم عن ابن عباس قال : كان سبب الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمراء . ولم تضرب الملائكة فى يوم نوى يوم بدر ، وكانوا يكونون عددا ومددا لا يضربون ، ثم رواه عن الحسن بن عمار عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فذكر نحوه وقال ابن أبي حاتم حدثنا الأحمسى حدثنا وكيع حدثنا هشام بن عروة عن يحيى بن عباد أن الزبير رضى الله عنه كان عليه يوم بدر عمامة صفراء معتجرا بها فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفراء ، رواه ابن مردويه من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير فذكره . وقوله تعالى ( وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به ) أى وما أنزل الله الملائكة وأعلمكم بانزالهم لإبشاره لكم وتطيبيا لقلوبكم وتطمينا ، وإلا فإيما النصر من عند الله الذى لو شاء لاتصر من أعدائه بدونكم ، ومن غير احتياج إلى قتالكم لهم ، كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين بالقتال ( ذلك ولو يشاء الله لاتصر منهم ولكن ليلاو بعضهم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم \* سيهديهم ويصلح بالهم \* ويدخلهم الجنة عرفها لهم ) ولهذا قال ههنا ( وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ) أى هو ذو العزة التى لا ترام ، والحكمة فى قدره والأحكام ثم قال تعالى ( ليقطع طرفاً من الدين كفروا ) أى أمركم بالجهاد والجلاد لما له فى ذلك من الحكمة فى كل تقدير ولهذا ذكر جميع الأقسام الممكنة فى الكفار المجاهدين فقال ( ليقطع طرفاً ) أى ليهلك أمة ( من الذين كفروا أو يكتمهم فينقلبوا ) أى يرجعوا ( خائبين ) أى لم يحصلوا على ما أموا . ثم اعترض بجملة دلت على أن الحكم فى الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له فقال تعالى ( ليس لك من الأمر شيء ) أى بل الأمر كله إلى كما قال تعالى ( فإيما عليك البلاغ وعلينا الحساب ) وقال ( ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ) وقال ( إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ) وقال محمد بن إسحق فى قوله ( ليس لك من الأمر شيء ) أى ليس لك من الحكم شيء فى عبادى إلا ما أمرتكم به فمهم ثم ذكر بقية الأقسام فقال ( أوتوب عليهم ) أى محامهم فيه من الكفر فيهدىهم بعد الضلالة ( أو يعذبهم ) أى فى الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم ، ولهذا قال ( فإيما ظالمون ) أى يستحقون ذلك . وقال البخارى حدثنا جابر بن موسى أنبأنا عبد الله أنبأنا معمر عن الزهري حدثني سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الثانية من الفجر « اللهم العن فلانا وفلانا » بعدما يقول « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد » فأنزل الله تعالى ( ليس لك من الأمر شيء ) الآية . وهكذا رواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق كلاهما عن معمر به . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو عقيل - قال أحمد . وهو عبد الله بن عقيل صالح الحديث ثقة - حدثنا عمرو بن حمزة عن سالم عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم العن فلانا وفلانا ، اللهم العن الحارث بن هشام ، اللهم العن سهيل بن عمرو ، اللهم العن صفوان بن أمية » فنزلت هذه الآية ( ليس لك من الأمر شيء ) أوتوب عليهم أو يعذبهم فإيما ظالمون ) فتب عليهم كلهم : وقال أحمد . حدثنا أبو معاوية العلاءي حدثنا خالد بن الحارث حدثنا محمد بن عجلان عن نافع عن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يدعو على أربعة قال : فأنزل الله ( ليس لك من الأمر شيء ) إلى آخر الآية قال : وهداهم الله للإسلام : قال البخارى . قال محمد بن عجلان عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على رجال من المشركين يسميهم بأسمائهم حتى أنزل الله تعالى ( ليس لك من الأمر شيء ) الآية وقال البخارى أيضاً : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع وربما قال : إذا قال «سمع الله من حمده ، ربنا ولك الحمد : اللهم أرح الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين . اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف » يجهر بذلك . وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر « اللهم العن فلانا وفلانا » لأجاء من أحياء العرب حتى أنزل الله ( ليس لك من الأمر شيء ) الآية

وقال البخارى : قال حميد وثابت عن أنس بن مالك شج النبي ﷺ يوم أحد فقال « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟ » فنزلت ( ليس لك من الأمر شيء ) وقد أسند هذا الحديث الذى علقه البخارى في صحيحه فقال في غزوة أحد : حدثنا يحيى بن عبد الله السلمي أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر عن الزهري حدثني سالم بن عبد الله عن أبيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر « اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا » بعد ما يقول « سمع الله من حمده ، ربنا ولك الحمد » فأنزل الله ( ليس لك من الأمر شيء ) الآية . وعن حنظلة بن أبي سفيان قال : سمعت سالم بن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت ( ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ) هكذا ذكر هذه الزيادة البخارى معلقة برسالة ، وقد تقدمت مسندة متصلة في مسند أحمد آنفا

وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم حدثنا حميد عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كسرت رابعيته يوم أحد وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال « كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم عز وجل » فأنزل الله ( ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ) انفرد به مسلم فرواه عن القعني عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس فذكره

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا الحسين بن واقد عن مطر عن قتادة قال : أصيب النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رابعيته ، وفرق حاجبه ، فوقع وعليه درعان والدم يسيل فمر به سالم مولى أبي حذيفة فأجلسه ومسح عن وجهه فأفاق وهو يقول « كيف يقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله عز وجل ؟ » فأنزل الله ( ليس لك من الأمر شيء ) الآية وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بنحوه ، ولم يقل فأفاق . ثم قال تعالى ( والله مافى السموات وما فى الأرض ) الآية أى الجميع ملك له ، وأهلها عبيد بين يديه ( يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ) أى هو المتصرف فلا معقب لحكمه ، ولا يسئل عما يفعل وهم يسألون والله غفور رحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ \* وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ \* وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ \* وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظَّيْنِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ \* وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن نُّبُوتٍ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ \* أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿

يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن تعاطي الربا وأكله أضاعفا مضاعفة كما كانوا في الجاهلية يقولون إذا حل أجل الدين إما أن تقضى وإما أن تربي فإن قضاءه وإلزامه في الددة وزاده الآخر في القدر وهكذا كل عام فرمما تضاعف القليل حتى يصير كثيراً مضاعفا وأمر تعالى عباده بالتقوى لهم يفلحون في الأولى وفي الآخرة ثم توعدهم بالنار وحذرهم منها فقال تعالى (واتهوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) ثم نديهم إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارة إلى نيل القربات فقال تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) أي كما أعدت النار للكافرين وقد قيل إن معنى قوله عرضها السموات والأرض تنبها على اتساع طولها كما قال في صفة فرش الجنة (بطائنها من إستبرق) أي ما ظنك بالظواهر وقيل بل عرضها كطولها لأنها آفة في تحت العرش والشئ المقرب والمستدير عرضه كطوله وقد دل على ذلك ما ثبت في الصحيح «إذا سألت الله الجنة فاسأله الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وسقفها عرش الرحمن» وهذه الآية كقوله في سورة الحديد (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) الآية وقد روينا في مسند الإمام أحمد أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ أنك دعوتني إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم «سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار» وقد رواه ابن جرير فقال حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني مسلم بن خالد عن أبي خزيمة عن سعيد بن أبي راشد عن يعلى بن مرة قال لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بمخص شيخا كبيرا قد فسد فقال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل فتناول الصحيفة وجل عن يساره قال: قلت من صاحبكم الذي يقرأ؟ قالوا معاوية فإذا كتاب صاحبي. إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض (١) فأين النار قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار» وقال الأعمش وسفيان الثوري وشعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فقال لهم عمر. أرأيتم إذا جاء النهار أين الليل؟ وإذا جاء الليل أين النهار فقالوا لقد نزعنا مثلها من التوراة؟ رواه ابن جرير من ثلاثة طرق. ثم قال حدثنا أحمد بن حازم حدثنا أبو نعيم حدثنا جعفر بن برقان أنبأنا يزيد بن الأصم: أن رجلا من أهل الكتاب قال: يقولون (جنة عرضها السموات والأرض) فأين النار فقال ابن عباس رضي الله عنه أين يكون الليل إذا جاء النهار، وأين يكون النهار إذا جاء الليل وقد روى هذا مرفوعا فقال البرار حدثنا محمد بن معمر حدثنا المغيرة بن سلمة أبو هاشم حدثنا عبد الواحد بن زياد عن عبيد الله بن عبد الله بن الأصم عن عمه يزيد بن الأصم عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال. أرأيت قوله تعالى (جنة عرضها السموات والأرض) فأين النار قال: «أرأيت الليل إذا جاء لبس كل شيء فأين النهار؟» قال حيث شاء الله قال «وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل» وهذا يحتمل معنيين (أحدهما) أن يكون المعنى في ذلك أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل إذا جاء النهار أن لا يكون في مكان. وإن كنا لا نعلمه، وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل، وهذا أظهر كما تقدم في حديث أبي هريرة عن البرار (الثاني) أن يكون المعنى أن النهار إذا تعشى وجه العالم من هذا الجانب فإن الليل يكون من الجانب الآخر فكذلك الجنة في أعلى عليين فوق السموات تحت العرش وعرضها كما قال الله عز وجل (كعرض السموات والأرض) والنار في أسفل سافلين فلا تنافي بين كونها كعرض السموات والأرض بين وجود النار والله أعلم

ثم ذكر تعالى صفة أهل الجنة فقال (الذين ينفقون في السراء والضراء) أي في الشدة والرخاء والنشاط والمسكرة والصحة والمرض وفي جميع الأحوال كما قال (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) والمعنى أنهم لا يشغلهم أمر عن طاعة الله تعالى والانفاق في مرضيه. والإحسان إلى خلقه من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر. وقوله تعالى (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) أي إذا تاربهم الغيظ كظموه بمعنى كتموه فلم يعملوه، وعفوا مع ذلك عن أساء إليهم. وقد ورد في بعض الآثار «يقول الله تعالى يا ابن آدم إذا غضبت، اذكر كرك إذا غضبت فلا أهلكك فيمن أهلك»

رواه ابن أبي حاتم . وقد قال أبو يعلى في مسنده : حدثنا أبو موسى الزمن حدثنا عيسى بن شعيب الضرير أبو الفضل حدثني الربيع بن سليمان النخعي عن أبي عمرو بن أنس بن مالك عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن خزن لسانه ستر الله عورته ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره » وهذا حديث غريب وفي إسناده نظر . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن حدثنا مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ليس الشديد بالصرعة (١) ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » وقد رواه الشيخان من حديث مالك : وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن الحارث بن سويد عن عبد الله وهو ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله » قالوا : يا رسول الله ما لنا أحب إليه من مال وارثه قال « اعلموا أنه ليس منكم أحد إلا مال وارثه أحب إليه من ماله مالك من مالك إلا ما قدمت وما لوارثك إلا ما أشرت » قال : وقال رسول الله ﷺ « ما تعدون الصرعة فيكم ؟ قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال « لا ، ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب » قال : وقال رسول الله ﷺ « أتدرون ما الرقوب » قلنا الذي لا ولد له قال « لا ، ولكن الرقوب الذي لا يقدم من ولده شيئاً » أخرج البخاري الفصل الأول منه وأخرج مسلم أصل هذا الحديث من رواية الأعمش به (حديث آخر) . قال الإمام أحمد . حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت عروة بن عبد الله الجعفي يحدث عن أبي حصبة أو ابن أبي حصين عن رجل شهد النبي ﷺ يخطب فقال « أتدرون (٢) ما الرقوب ؟ قلنا الذي لا ولد له قال « الرقوب كل الرقوب الذي له ولد فمات ولم يقدم منهم شيئاً » قال « أتدرون من الصعوك ؟ قلنا الذي ليس له مال فقال النبي ﷺ « الصعوك كل الصعوك الذي له مال فمات ولم يقدم منه شيئاً » قال : ثم قال النبي ﷺ « ما الصرعة ؟ قلنا : الصريع الذي لا تصرعه الرجال : فقال ﷺ « الصرعة كل الصرعة الذي يغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهه ويقشعر شعره فيصرع غضبه » (حديث آخر) : قال الإمام أحمد . حدثنا ابن عمير حدثنا هشام هو ابن عروة عن أبيه عن الأحنف بن قيس عن عم له يقال له حارثة بن قدامة السعدي أنه سأله رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله قل لي قولاً ينفعني وأقلل عليّ لعلّي أعيه : فقال رسول الله ﷺ : « لا تغضب » فأعاد عليه حتى أعاد عليه مراراً كل ذلك يقول « لا تغضب » وهكذا رواه عن أبي معاوية عن هشام به ، ورواه أيضاً عن يحيى بن سعيد القطان عن هشام به . أن رجلاً قال : يا رسول الله قل لي قولاً وأقلل عليّ لعلّي أعقله : فقال « لا تغضب » الحديث انفرد به أحمد (حديث آخر) قال أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « لا تغضب » قال الرجل ففكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله ، انفرد به أحمد (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا داود بن أبي هند عن أبي حرب بن أبي الأسود عن أبي الأسود عن أبي ذر رضي الله عنه : قال كان يسقي علي حوض له فجاء قوم فقالوا : أيكم يورد عليّ أبي ذر ويحسب شعرات من رأسه ، فقال رجل : أنا فجاء فأورد عليّ (٣) الحوض فدقه ، وكان أبو ذر قائماً فجلس ثم اضطجع فقبل له ، يا أبا ذر لم جلست ثم اضطجعت : فقال . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع » ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل بإسناده إلا أنه وقع في روايته عن أبي حرب عن أبي ذر والصحيح ابن أبي حرب عن أبيه عن أبي ذر كما رواه عبد الله بن أحمد عن أبيه (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا أبو وائل الصنعاني قال : كنا جلوساً عند عروة بن محمد إذ دخل عليه رجل فكلمه بكلام أغضبه فلما أن أغضبه (٤) قام ثم عاد إلينا وقد توسأ فقال : حدثني أبي عن جدتي عطية هوان بن سعد السعدي - وقد كانت له صحبة - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوسأ » وهكذا رواه أبو داود من حديث إبراهيم بن خالد الصنعاني عن أبي وائل القاص المرادي الصنعاني قال أبو داود . أراه عبد الله بن مجير (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن

(١) الصرعة بضم ففتح . (٢) في نسخة الأزهر : ماتعدون فيكم (٣) وفيها عليه : (٤) وفيها : غضب .

يزيد حدثنا نوح بن معاوية (١) السلمي عن مقاتل بن حيان عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « من أنظر معسراً أو وضع عنه وقاه الله من فيح جهنم ألا إن عمل الجنة حزن ربوة - ثلاثاً - ألا إن عمل النار سهل بسهوة . والسعيد من وقى الفتن ، وما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد ما كظمها عبد لله إلا ملأ الله جوفه إيماناً » انفرد به أحمد وإسناده حسن ليس فيه مجروح ومثته حسن (حديث آخر في معناه) قال أبو داود حدثنا عقبه بن مكرم حدثنا عبد الرحمن يعني ابن مهدي عن بشر يعني ابن منصور عن محمد بن عجلان عن سويد بن وهب عن رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه ملأ الله جوفه أمنأ وإيماناً ومن ترك لبس ثوب جمال وهو قادر عليه - قال بشر أحسبه قال تواضع - كساه الله حلة الكرامة ومن توجج لله كساه الله تاج الملك » (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن يزيد قال : حدثنا سعيد حدثني أبو مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رهوس الخلائق حتى يغيره من أي الجور شاء » ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سعيد بن أبي أيوب به وقال الترمذي : حسن غريب (حديث آخر) قال : عبد الرزاق أنبأنا داود بن قيس عن زيد بن أسلم عن رجل من أهل الشام يقال له عبد الجليل عن عم له عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى (والكاظمين الغيظ) أن النبي ﷺ قال : « من كظم غيظاً وهو يقدر على إنقاذه ملأ الله جوفه أمنأ وإيماناً » (حديث آخر) قال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن محمد بن زياد أنبأنا يحيى ابن أبي طالب أنبأنا علي بن عاصم أخبرني يونس بن عبيد عن الحسن بن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « ما تجرع عبد من جرعة أفضل أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله » رواه ابن جرير ، وكذا رواه ابن ماجه عن بشر بن عمر عن حماد بن سلمة عن يونس بن عبيد به فقوله تعالى (والكاظمين الغيظ) أي لا يعملون غضبهم في الناس بل يكفون عنهم شرهم ويحتسبون ذلك عند الله عز وجل . ثم قال تعالى (والعاقبين عن الناس) أي مع كف الشر يعفون عمن ظلمهم في أنفسهم فلا يبق في أنفسهم موجدة على أحد وهذا أكل الأحوال ولهذا قال ( والله يحب المحسنين) فهذا من مقامات الإحسان وفي الحديث « ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ومن تواضع لله رفعه الله » وروى الحاكم في مستدرکه من حديث موسى بن عقبه عن إسحاق بن يحيى بن أبي طلحة القرشي عن عباد بن الصامت عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال : « من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه ويعط من حرمه ويصل من قطعه » ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد أورد ابن مردويه من حديث علي وكعب بن عجرة وأبي هريرة وأم سامة رضي الله عنهم بنحو ذلك وروى عن طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إذا كان يوم القيامة نادى مناد يقول أين العاقون عن الناس هلموا إلى ربكم وخذوا أجوركم وحق على كل امرئ مسلم إذا عفا أن يدخل الجنة » وقوله تعالى (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) أي إذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا هام بن يحيى عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إن رجلاً أذنب ذنباً فقال : رب إني أذنبت ذنباً فاغفره لي فقال الله عز وجل : عبدى عمل ذنباً فعلم أن له ربا يعفو الذنب ويأخذه قد غفرت لعبدى ، ثم عمل ذنباً آخر فقال : رب إني عملت ذنباً فاغفره فقال تبارك وتعالى علم عبدى أن له ربا يعفو الذنب ويأخذه قد غفرت لعبدى ثم عمل ذنباً آخر فقال رب إني عملت ذنباً فاغفره لي فقال عز وجل علم عبدى أن له ربا يعفو الذنب ويأخذه قد غفرت لعبدى ثم عمل ذنباً آخر فقال : رب إني عملت ذنباً فاغفره فقال الله عز وجل علم عبدى أن له ربا يعفو الذنب ويأخذه به أشهدكم أني قد غفرت لعبدى فليعمل ماشاء» أخرجه في الصحيحين من حديث إسحاق بن أبي طلحة بنحوه (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر وأبو عامر قالوا حدثنا زهير حدثنا سعد الطائي حدثنا أبو المذله مولى أم المؤمنين سمع أبا هريرة قلنا يارسول الله : إذا رأيناك زقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة وإذا فارقتك أعجبتنا الدنيا وشمنا النساء والأولاد فقال « لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي كنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأ كفهم ولزارتكم في

بيوتكم . ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم» قلنا يارسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال «لبنة ذهب ولبنة فضة ، وملاطها المسك الأذفر وحصابؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم لا يبأس ؛ ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم، الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على التمام وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول له الرب وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين» ورواه الترمذى وابن ماجه من وجه آخر من حديث سعد به ويتأكد الوضوء وصلاة ركعتين عند التوبة لما رواه الإمام أحمد بن حنبل حدثنا وكيع حدثنا مسعر وسفيان الثوري عن عثمان بن المغيرة الثقفي عن علي بن ربيعة عن أسماء بن الحكم الفزاري عن علي رضي الله عنه قال كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله بما شاء منه . وإذا حدثني عنه غيره استحلقتة فإذا حلف لي صدقته ؛ وإن أبا بكر رضي الله عنه حدثني وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ ويحسن الوضوء - قال مسعر - فيصلي - وقال سفيان - ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له » وهكذا رواه علي بن المديني والحميدي وأبو بكر بن أبي شيبة وأهل السنن وابن حبان في صحيحه والبخاري والدارقطني من طرق عن عثمان بن المغيرة به، وقال الترمذى . هو حديث حسن، وقد ذكرنا طرقه والكلام عليه مستقصى في مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وبالجملة فهو حديث حسن وهو من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن خليفة النبي ﷺ أبي بكر رضي الله عنهما ، وما يشهد لصحة هذا الحديث ما رواه مسلم في صحيحه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبح - الوضوء ، ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه توضأ لهم وضوء النبي ﷺ ثم قال . سمعت النبي ﷺ يقول « من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه » فقد ثبت هذا الحديث من رواية الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين ، عن سيد الأولين والآخرين ، ورسول رب العالمين ، كما دل عليه الكتاب المبين ، من أن الاستغفار من الذنب ينفع العاصين ، وقد قال عبدالرزاق أنبأنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بلغني أن إبليس حين نزلت هذه الآية (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لهنوبهم) الآية بكى وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا حمز بن عون حدثنا عثمان بن مطر حدثنا عبدالغفور عن أبي نضرة عن أبي رجاء عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار ، فأكثروا منها فإن إبليس قال أهلك الناس بالنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك أهلكتم بالأهواء ، فهم يحسبون أنهم مهتدون » عثمان ابن مطر وشيخه ضعيفان وروى الإمام أحمد في مسنده من طريق عمرو بن أبي عمرو وأبي الهيثم العتواري عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قال إبليس : يارب وعزتك لا أزال أغوي بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الله تعالى . وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني » وقال الحافظ أبو بكر البزار . حدثنا محمد بن المنثري حدثنا عمر بن خليفة<sup>(١)</sup> سمعت أبا بدر يحدث عن ثابت عن أنس قال جاء رجل فقال يارسول الله إني أذنبت ذنباً فقال رسول الله ﷺ « إذا أذنبت فاستغفر ربك قال فإني أستغفر ثم أعود فأذنب قال فإذا أذنبت فعد فاستغفر ربك فقالها في الرابعة وقال استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المحسور » وهذا حديث غريب من هذا الوجه وقوله تعالى (ومن يغفر الذنوب إلا الله) أي لا يغفرها أحد سواه كما قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا سلام بن مسكين والبارك<sup>(٢)</sup> عن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ أتى بأسير فقال : اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال النبي ﷺ « عرف الحق لأهله » وقوله (ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) أي تابوا من ذنوبهم ورجعوا إلى الله عن قريب ، ولم يستمروا على العصية ويصروا عليها غير مقبلين عنها ، ولو تكرر منهم الذنب تابوا منه كما قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده . حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل وغيره قالوا : حدثنا أبو يحيى عبدالحميد الحماني عن عثمان بن واقد عن أبي نضرة عن مولى لأبي بكر عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة » ورواه أبو داود

(١) فيها ابن أبي خليفة (٢) وفيها عن الحسن

والترمذى والبخاري في مسنده من حديث عثمان بن واقد - وقد وثقه يحيى بن معين به - وشيخه أبو نصر المصاطبي واسمه سالم بن عبيد وثقه الإمام أحمد وابن حبان، وقول علي بن المديني والترمذى: ليس إسناد هذا الحديث بذلك الظاهر أنه لأجل جهالة مولى أبي بكر ولكن جهالة مثله لا تضر لأنه تابعي كبير ويكفيه نسبه إلى أبي بكر فهو حديث حسن والله أعلم . وقوله ( وهم يعلمون ) وقال مجاهد وعبد الله بن عبيد بن عمير ( وهم يعلمون ) أن من تاب تاب الله عليه وهذا كقوله تعالى ( ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ) وكقوله ( ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحماً ) ونظائر هذا كثيرة جداً . وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن أبي أنانة جريرو حدثنا حبان بن زيد الشرجي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وهو على المنبر « ارحموا ترحموا ، واغفروا يغفر لكم ، ويل لاقراع القول ، ويل للمصريين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون » تفرد به أحمد . ثم قال تعالى بعد وصفهم بما وصفهم به ( أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم ) أي جزاؤهم على هذه الصفات مغفرة من ربهم وحنان تجري من تحتها الأنهار ) أي من أنواع المشروبات ( خالدون فيها ) أي ما كثين فيها ( ونعم أجر العالمين ) يمدح تعالى الجنة .

﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهَدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ \* وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ \* وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ \* أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ \* وَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿

يقول تعالى مخاطبا عباده المؤمنين ما (١) أصيبوا يوماً أحد وقتل منهم سبعون (قد خلت من قبلكم سنن) أي قد جرى نحو هذا على الأمم الذين كانوا من قبلكم من أتباع الأنبياء ثم كانت العاقبة لهم والداخرة على الكافرين ولهذا قال تعالى (فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) ثم قال تعالى (هذا بيان للناس) يعني القرآن فيه بيان الأمور على جليتها وكيف كان الأمم الأقدمون مع أعدائهم (وهدى وموعظة) يعني القرآن فيه خبر ما قبلكم وهدى لقلوبكم وموعظة أي زاجر عن المحارم والمآثم . ثم قال تعالى مسلماً للمؤمنين (ولا تهنوا) أي لا تضعفوا بسبب ما جرى (ولا تحزنوا) وأتم الأعلان إن كنتم مؤمنين) أي العاقبة والنصرة لكم أيها المؤمنون (إن يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) أي إن كنتم قد أصابكم جراح وقتل منكم طائفة فقد أصاب أعداءكم قريب من ذلك من قتل وجراح (وتلك الأيام نداولها بين الناس) أي نديل عليكم الأعداء تارة، وإن كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة، ولهذا قال تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا) قال ابن عباس : في مثل هذا لرى من يصبر على مناجرة الأعداء (ويشخدمكم شهداء) يعني يقتلون في سبيله ويبدلون مهجهم في مرضاته (والله لا يحب الظالمين) وللمحص الله الذين آمنوا) أي يكفر عنهم من ذنوبهم إن كانت لهم ذنوب . وإلا رفع لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به . وقوله (ويمحق الكافرين) أي فانهم إن ظفروا بغوا وبطروا فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم ومحققهم وفنائهم ثم قال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) أي أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولم تبتلوا بالقتال والشدائد ، كما قال تعالى في سورة البقرة (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا) الآية . وقال تعالى (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) الآية ولهذا قال ههنا (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) أي لا يحصل لكم دخول الجنة

حتى تتلوا ويرى الله منكم المجاهدين في سبيله ، والصابرين على مقاومة الأعداء . وقوله ( ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ) أى قد كنتم أيها المؤمنون قبل هذا اليوم تمنون لقاء العدو وتتحرقون عليه وتودون مناجزتهم ومصابرتهم فيها قد حصل لكم الذى تمنيتموه وطلبتموه فدونكم فقاتلوا وصابروا . وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « لا تمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » ولهذا قال تعالى ( فقد رأيتموه ) يعنى الموت شاهدتموه وقت (١) حد الأسنة واشتباك الرماح وصفوف الرجال للقتال والتكلمون يعبرون عن هذا بالخييل . وهو مشاهدة مالىس بحسوس كالحسوس كما تخيل الشاة صداقة الكبش ، وعداوة الذئب

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ \* وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ \* وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ \* وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَتَنَّا لَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

لما انهزم ما انهزم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل منهم ، نادى الشيطان : ألا إن محمداً قد قتل ، ورجع ابن قتيبة إلى المشركين فقال لهم : قتل محمداً ، وإنما كان قد ضرب رسول الله فشقجه فى رأسه ، فوقع ذلك فى قلوب كثير من الناس واعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل وجوزوا عليه ذلك كما قد قص الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام فحصل ضعف ووهن وتأخر عن القتال فى ذلك أنزل الله تعالى ( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ) أى له أسوة بهم فى الرسالة وفى جواز القتل عليه قال ابن أبى نجیح عن أبيه : ان رجلا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط فى دمه فقال له : يا فلان أشعرت أن محمداً ﷺ قد قتل ، فقال الأنصارى : إن كان محمداً قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم فنزل ( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ) رواه الحافظ أبو بكر البيهقى فى دلائل النبوة . ثم قال تعالى منكراً على من حصل له ضعف ( أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ) أى رجعتم القهقري ( ومن ينقلب على عقبه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ) أى الذين قاموا بطاعته وقاتلوا عن دينه ، واتبعوا رسوله حيا وميتا . وكذلك ثبت فى الصحاح والمسند والسنن وغيرها من كتب الاسلام من طرق متعددة تفيد القطع وقد ذكرت ذلك فى مستندى الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أن الصديق رضى الله عنه تلا هذه الآية لما مات رسول الله ﷺ . وقال البخارى : حدثنا يحيى ابن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخبرنى أبوسلمة أن عائشة رضى الله عنها أخبرته أن أبابكر رضى الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسنع حتى نزل فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيخهم رسول الله ﷺ وهو مغضى (٢) بثوب حبرة : فكشف عن وجهه ثم أكب عليه وقبله وبكى ثم قال : بأبى أنت وأبى والله لا يجمع الله عليك موتتين : أما الموتة التى كتبت عليك فقدمتها وقال الزهري : وحدثنى أبوسلمة عن ابن عباس أن أبابكر خرج وعمر يكلم (٣) الناس وقال : اجلس يا عمر قال أبوبكر : أما بعد من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى ( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل - إلى قوله - وسيجزي الله الشاكرين ) قال : فوالله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها عليهم أبوبكر ، فتلها منه الناس كلهم فأسمع (٤) بشر من الناس إلا يتلوها وأخبرنى سعيد بن المسيب أن عمر قال والله ما هو إلا أن سمعت أبابكر تلاها فعرقت حتى اتقلنى رجلاى ، وحتى هويت إلى الأرض . وقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا على

(١) فيها : لعان السيوف . (٢) وفيها : مغضى . (٣) وفيها : يحدث . (٤) وفيها : فاسمها بشر من الناس إلا تلاها .

ابن عبد العزيز حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد حدثنا أسباط بن نصر عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس أن علياً كان يقول في حياة رسول الله ﷺ ( أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ) والله لا ينقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ، والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت ، والله إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه فمن أحق به مني . وقوله تعالى ( وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ) أي لا يموت أحد إلا بقدر الله وحتى يستوفي المدة التي ضربها الله له ، ولهذا قال ( كتاباً مؤجلاً ) كقولهم ( وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ) وكقوله ( هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ) وهذه الآية فيها تشجيع للجبناء وترغيب لهم في القتال فإن الإقدام والاحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه كما قال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن يزيد العبدي قال : سمعت أبا معاوية عن الأعمش عن حبيب بن ظبيان قال : قال رجل من السلميين وهو حجر بن عدى : ما يمنعكم أن تعبروا إلى هؤلاء العدو وهذه النطفة - يعني دجلة - ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً . ثم أقحم فرسه دجلة ، فلما أقحم أقحم الناس ، فلما رآهم العدو قالوا : ديوان فهربوا . وقوله ( ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ) أي من كان عمله للدنيا فقط ناله منها ما قدره الله له ، ولم يكن له في الآخرة من نصيب ، ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله منها وما قسم له في الدنيا كما قال تعالى ( من كان يريد حرث الآخرة زد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ) وقال تعالى ( من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومةً مدحوراً \* ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ) ولهذا قال هبنا ( وسنجزي الشاكرين ) أي سنعطيهم من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم ثم قال تعالى مسلماً للمؤمنين عما كان وقع في نفوسهم يوم أحد ( وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير ) قيل : معناه كم من نبي قتل وقتل معه ربيون من أصحابه كثير . وهذا القول هو اختيار ابن جرير فإنه قال : وأما الذين قرأوا ( قتل معه ربيون كثير ) فإنهم قالوا إنما عني بالقتل النبي وبعض من معه من الربيين دون جميعهم ، وإنما نفي الوهن والضعف عن بقي من الربيين ممن لم يقتل ، قال : ومن قرأ قاتل فإنه اختار ذلك لأنه قال : لوقتلوا لم يكن لقول الله ( فما وهنوا ) وجه معروف لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا بعد ما قتلوا ، ثم اختار قراءة من قرأ ( قتل معه ربيون كثير ) لأن الله عاتب بهذه الآيات والتي قبلها من انهزم يوم أحد وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصيح بأن محمداً قد قتل فعذبهم الله على فرارهم وتركهم القتال فقال لهم ( أفإن مات أو قتل ) أيها المؤمنون ارتدتم عن دينكم و ( انقلبتم على أعقابكم ) وقيل : وكم من نبي قتل بين يديه من أصحابه ربيون كثير ، وكلام ابن إسحق في السيرة يقتضى قولاً آخر فإنه قال ( وكأين من نبي أصابه القتل ومع ربيون أي جياعات فما وهنوا بعد نبيهم ، وما ضعفوا عن عدوهم ، وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله وعن دينهم ، وذلك الصبر ( والله يحب الصابرين ) فجعل قوله ( معه ربيون كثير ) حالاً ، وقد نصر هذا القول السهلي وبالغ فيه ، وله اتجاه لقوله ( فما وهنوا لما أصابهم ) الآية ، وكذا حكاة الأموي في مغازيه عن كتاب محمد بن إبراهيم ولم يحك غيره ، وقرأ بعضهم ( قاتل معه ربيون كثير ) أي ألوف ، وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن وقتادة والسدي والربيع وعطاء الخراساني : الربيون الجموع الكثيرة . وقال عبدالرزاق عن معمر عن الحسن ( ربيون كثير أي علماء كثير ، وعنه أيضاً : علماء صبر أي أبرار أتقياء . وحكى ابن جرير عن بعض نخاة البصرة أن الربيين هم الذين يعبدون الرب عز وجل ، قال : وزد بعضهم عليه فقال : لو كان كذلك لقليل الربيون بفتح الراء ، وقال ابن زيد . الربيون الأتباع والرعية والرابيون الولاية ( فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ) قال قتادة والربيع ابن أنس . ( وما ضعفوا ) بقتل نبيهم ( وما استكانوا ) يقول : فما ارتدوا عن نصرتهم ولا عن دينهم أن قاتلوا على ما قاتل عليه نبي الله حتى لحقوا بالله ، وقال ابن عباس ( وما استكانوا ) تخشعوا ، وقال ابن زيد : وما ذلوا لعدوهم وقال محمد بن إسحق والسدي وقتادة : أي ما أصابهم ذلك حين قتل نبيهم ( والله يحب الصابرين \* ) وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ) أي لم يكن لهم هجير<sup>(١)</sup> إلا ذلك ( فأتاهم الله ثواب

(١) الهجير والهجرة ، والهجرى بكسر الهماء وتشديد الجيم : الدأب والعادة كالذي يكثر جرياته على اللسان .

الدنيا) أى النصر والظفر والعاقبة ( وحسن ثواب الآخرة ) أى جمع لهم ذلك مع هذا ( والله يحب المحسنين )

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ \* بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ \* سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَبئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ \* وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّن بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ \* إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍ لَّكِنَّا تَحْزَنُونَ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

يحذر تعالى عباده المؤمنين عن طاعة الكافرين والمنافقين فإن طاعتهم تورث الردى في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى ( إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتقلبوا خاسرين ) ثم أمرهم بطاعته وموالاته والاستعانة به والتوكل عليه فقال تعالى ( بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ) ثم بشرهم بأنه سيلقى في قلوب أعدائهم الخوف منهم والذلة لهم بسبب كفرهم وشركهم مع ما ادخره لهم في الدار الآخرة من العذاب والنكال فقال ( سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وما أوهام النار وبئس مَثْوَى الظالمين ) وقد ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لى الغنائم ، وأعطيت الشفاعة . وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبى عدى عن سليمان التيمى عن سيار عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال « فضلنى الله على الأنبياء - أو قال على الأمم - بأربع ، أرسلت إلى الناس كافة ، وجعلت لى الأرض كلها ولأمتى مسجداً وطهوراً فأبنا أدركت رجلا من أمتى الصلاة فعنده مسجده وطهوره ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر يقذف فى قلوب أعدائى ، وأحلت لى الغنائم » ورواه الترمذى من حديث سليمان التيمى عن سيار القرشى الأموى مولاهم الدمشقى سكن البصرة عن أبى أمامة صدى بن عجلان رضى الله عنه به وقال . حسن صحيح . وقال سعيد بن منصور : أنبأنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث أن أبى يونس حدثه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نصرت بالرعب على العدو » ورواه مسلم من حديث ابن وهب . وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا إسرائيل عن أبى إسحق عن أبى بردة عن أبىه أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطيت خمساً بعثت إلى الأحمر والأسود وجعلت لى الأرض طهوراً ومسجداً وأحلت لى الغنائم ولم تحل لمن كان قبلى ونصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة ، وليس من نبي إلا وقد سأل الشفاعة (١) وإنى قد اختبأت شفاعتى لمن مات لا يشرك بالله شيئاً » تفرد به أحمد . وروى العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى ( سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ) قال قذف الله فى قلب أبى سفيان الرعب فرجع إلى مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن أباسفيان قد أصاب منكم طرفاً ، وقد رجع وقذف الله فى قلبه الرعب » رواه ابن أبى حاتم . وقوله تعالى ( ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ) قال ابن عباس ، وعدهم الله النصر وقد يستدل بهذه الآية على أحد القولين المتقدمين فى قوله تعالى ( إذ تقول للمؤمنين ألن يكفئكم أن يدرككم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بل إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ) أن ذلك كان يوم أحد لأن عدوهم كان ثلاثة آلاف مقاتل فلما واجهوهم كان الظفر والنصر أول النهار للإسلام فلما حصل ما حصل من عصيان الرماة وفشل بعض المقاتلة تأخر الوعد الذى كان مشروطاً بالثبات

(١) فى نسخة الأزهر : شفاعته

والطاعة ولهذا قال ( ولقد صدقكم الله وعده ) أى أول النهار ( إذ تحسونهم ) أى تقتلونهم ( بإذنه ) أى بتسليطه إياكم عليهم ( حتى إذا فشلتم ) وقال ابن جرير ، قال ابن عباس الفشل الجبن ( وتنازعتم في الأمر وعصيتم ) كما وقع للرماة ( من بعدما أراكم ماتحبون ) وهو الظفر بهم ( منكم من يريد الدنيا ) وهم الذين رغبوا في المغن حين رأوا الهزيمة ( ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليتليكم ) ثم أدالهم عليكم ليختبركم ويمتحنكم ( ولقد عفا عنكم ) أى غفر لكم ذلك الصنيع وذلك والله أعلم لكثرة عدد العدو وعددهم وقلة عدد المسلمين وعددهم قال ابن جرير : قوله ( ولقد عفا عنكم ) قال لم يستأصلكم وكذا قال محمد بن إسحق رواها ابن جرير ( والله ذو فضل على المؤمنين ) قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله <sup>(١)</sup> عن ابن عباس أنه قال : ما نصر الله النبي ﷺ في موطن كما نصره يوم أحد فأنكرنا ذلك فقال ابن عباس : بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله إن الله يقول في يوم أحد ( ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ) يقول ابن عباس والحسن الفشل <sup>(٢)</sup> ( حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعدما أراكم ما يحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ) الآية ، وإنما عني بهذا الرماة ، وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع وقال « احموظهورنا فان رأيتمونا قتل فلا تتصرونا ، وإن رأيتمونا نغم فلا تتركونا » فلما غنم النبي ﷺ وأناخوا <sup>(٣)</sup> عسكر المشركين أكبر الرماة جميعا في العسكر ينهبون ، ولقد التقت صفوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم هكذا - وشبك بين يديه - وانتشبا فلما أدخل الرماة تلك الحلة التي كانوا فيها دخلت الحيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب بعضهم بعضا والتسبوا وقتل من المسلمين ناس كثير ، وقد كان النصر لرسول الله ﷺ أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة ، وجال المشركون جولة نحو الجبل ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار إنما كانوا تحت المهراس ، وصاح الشيطان قتل محمد فلم يشكوا به أنه حق ، فلازلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين نعرفه بكتفيه إذا مشى قال : ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا قال : فرقي نحونا وهو يقول « اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله » ويقول مرة أخرى « ليس لهم أن يعلونا <sup>(٤)</sup> » حتى انتهى إلينا فكث ساعة فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل اعل هبل - مرتين يعنى إليه - أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي حنيفة أين ابن الخطاب فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله ألا أجيئه قال « بلى » فلما قال : اعل هبل قال عمر : الله أعلى وأجل فقال أبو سفيان قد أنعمت قال عنها فقال أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي حنيفة أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر وها أنا عمر . قال : فقال أبو سفيان . يوم بيوم بدر ، الأيام دول وإن الحرب سجال قال : فقال عمر . لا سواء قتلتنا في الجنة وقتلناكم في النار قال : انكم تزعمون ذلك فقد خبنا وخسرنا اذن فقال أبو سفيان انكم ستجدون في قتلاكم مثلا ولم يكن ذلك عن رأى سراتنا قال : ثم أدركته حمية الجاهلية فقال أمانه إن كان ذلك لم نكرهه هذا حديث غريب وسياق عجيب وهو من مراسلات ابن عباس فإنه لم يشهد أحدا ولا أبوه وقد أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي النضر الفقيه عن عثمان بن سعيد عن سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس به وهكذا رواه ابن أبي حاتم والبيهقي في دلائل النبوة من حديث سليمان بن داود الهاشمي به ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها - فقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن عطاء ابن السائب عن الشعبي عن ابن مسعود قال ان النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبرأته ليس منا أحد يريد الدنيا حتى أنزل الله ( منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليتليكم ) فلما خالف أصحاب رسول الله ﷺ وعصوا ما أمروا به أفرد النبي ﷺ في تسعة ، سبعة من الأنصار ورجلين من قريش وهو عاشرهم ﷺ ، فلما أرهقوه قال « رحم الله رجلا ردهم عنا » قال فقام رجل من الأنصار فقاتل ساعة حتى قتل ، فلما أرهقوه أيضا قال « رحم الله رجلا ردهم عنا » فلم يزل يقول . السبعة فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه « ما أنصفنا أصحابنا » فجاء أبو سفيان فقال اعل هبل فقال رسول الله ﷺ « قولوا الله أعلى وأجل » فقالوا : الله أعلى وجل فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله ﷺ « قولوا : الله مولانا والكافرون لا مولى لهم » فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر . فيوم علينا ويوم لنا . ويوم نساء ويوم نسر : حنظلة بحنظلة

(١) في نسخة الأزهر : أبى عبد الله (٢) كذا بالنسخ (٣) في نسخة الأزهر : أزاخوا (٤) فيها اللهم انه .

وفلان بفلان : فقال رسول الله ﷺ : « لا سواء : أماقتلانا فأحياء يرزقون ؛ وأماقتلاكم ففي النار يعذبون » فقال أبو سفيان : لقد كان في القوم مثلة وإن كانت لعن غير ملامنا ما أمرت ولا نهيت ، ولا أحببت ولا كرهت ، ولا ساءني ولا سرني ، قال : فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه ، وأخذت هند كبده فلا كتبها فلم تستطع أن تأكلها فقال رسول الله ﷺ : « أكلت شيئاً » ؟ قالوا : لا قال « ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة في النار » قال : فوضع رسول الله ﷺ حمزة فصلى عليه وجرىء برجل من الأنصار فوضع إلى جنبه فصلى عليه فرفع الأنصاري وترك حمزة حتى جرىء بآخر فوضع إلى جنب حمزة فصلى عليه ، ثم رفع وترك حمزة ، حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة ، تفرد به أحمد أيضاً وقال البخاري : حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحق عن البراء قال : لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال « لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهرنا علينا فلا تعينونا » فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتدن في الجبل رفعن عن سوقهن . قد بدت خلاخلهن فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة فقال عبد الله بن جبير : عهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تبرحوا فأبوا فلما أبوا صرف وجوههم فأصيب سبعون قتيلاً فأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد ، فقال « لا تجيبوه » فقال أفي القوم ابن أبي حنيفة ؟ قال : « لا تجيبوه » . فقال : أفي القوم ابن الخطاب ، فقال : إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء . لا . فلم يملك عمر نفسه فقال له كذبت يا عدو الله أبق الله لك ما يحزنك ؛ قال أبو سفيان : اعل هبل فقال النبي ﷺ « أجيئوه » قالوا : ما تقول ؟ قال « قولوا : الله أعلى وأجل » قال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أجيئوه » قالوا ما تقول ؟ قال « قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم » قال أبو سفيان يوم بدر ، والحرب سجال ؛ وستجدون مثاقم أمرها ولم تسؤني ؛ تفرد به البخاري من هذا الوجه ؛ ثم رواه عن عمرو بن خالد عن زهير بن معاوية عن أبي إسحق عن البراء بنحوه ؛ وسأيت بأبسط من هذا - وقال البخاري أيضاً : حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت لما كان يوم أحد هزم المشركون فصرخ إبليس . أي عباد الله أخرناكم فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال : أي عباد الله أنى قال : قالت فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه فقال حذيفة يغفر الله لكم قال عروة : فوالله ما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله (١) عز وجل . وقال محمد بن إسحق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير (٢) عن جده أن الزبير بن العوام قال : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند وصواجاتها مشمرات هوارب مادون أخذهن كثير ولا قليل ، ومالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب وخواوا ظهورنا للخيل فأوتينا من أدبارنا وصرخ صارخ ألا إن محمداً قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم . قال محمد بن إسحق . فلم يزل لواء المشركين صريعاً حتى أخذته عمرة بنت عقلمة الحارثية فدفعته لقريش فلا توابها . وقال السدي عن عبد خير عن علي بن (٣) عبد الله بن مسعود قال ما كنت أرى أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزل فينا ما نزل يوم أحد (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) وقد روى من غير وجه عن ابن مسعود وكذا روى عن عبد الرحمن بن عوس وأبي طلحة ، رواه ابن مردويه في تفسيره وقوله تعالى (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) قال ابن إسحق حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أحد بني عدي بن النجار قال : انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا ما بأيديهم فقال ما يخليك ؟ فقالوا : قتل رسول الله ﷺ قال فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ؛ ثم استقبل القوم قتلت حتى قتل رضي الله عنه - وقال البخاري حدثنا حسان بن حسان حدثنا محمد بن طلحة حدثنا حميد عن أنس بن مالك أن عمه يعني أنس بن النضر غاب عن بدر فقال : غبت عن أول قتال النبي ﷺ لأن أشهدني الله مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أجد فلقى يوم أحد فهزم الناس فقال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما جاء به المشركون ؛ فتقدم بسيفه فلقى سعد بن معاذ فقال : أين ياسعد إني أجد ريح الجنة دون أحد فضى

(١) في نسخة الأزهري : لقي الله . (٢) وفيها . عن أبيه . (٣) وفيها : عند جواب .

قتل فما عرف حتى عرفته أخته بشامة أو بينانه وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم ، هذا لفظ البخارى ؛ وأخرجه مسلم من حديث ثابت بن أنس بنحوه - وقال البخارى أيضا : حدثنا عبدان حدثنا أبو حمزة عن عثمان بن موهب قال : جاء رجل حج البيت فرأى قوما جلوسا فقال : من هؤلاء القعود ؟ قالوا . هؤلاء قريش قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر فأتاه فقال إني سألك عن شيء فحدثني قال سئل قال : أنشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أن عثمان بن عفان فر يوم أحد ؟ قال : نعم قال : فتعلمه تعيب عن بدر فلم يشهدا قال : نعم قال فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدا قال نعم فكبر فقال ابن عمر : تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه ؛ وأما تعييبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لك أجر رجل بمن شهد بدرا وسهمه » وأما تعييبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز بيطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث عثمان فكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال النبي ﷺ بيده اليمنى « هذه يد عثمان » فضرب بها على يده فقال « هذه يد عثمان اذهب بها الآن معك » ثم رواه البخارى من وجه آخر عن أبي عوانة عن عثمان بن عبد الله بن موهب

وقوله تعالى ( إذ تصعدون ولا تلون على أحد ) أى صرفكم عنهم إذ تصعدون أى فى الجبل هارين من أعدائكم . وقرأ الحسن وقتادة ( إذ تصعدون ) أى فى الجبل ( ولا تلون على أحد ) أى وأتم لا تلون على أحد من الهش والخوف والرعب ( والرسول يدعوكم فى أخراكم ) أى وهو قد خلفتموه وراء ظهوركم يدعوكم إلى ترك الفرار من الأعداء ، وإلى الرجعة والعودة والكرة . قال السدى لما اشتد المشركون على المسلمين بأحد فهزم موهم دخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم إلى الجبل فوق الصخرة فقاموا عليها . فجعل الرسول ﷺ يدعو الناس « إلى عباد الله ، إلى عباد الله » فذكر الله صعودهم إلى الجبل ، ثم ذكر دناء النبي ﷺ إياهم فقال ( إذ تصعدون ولا تلون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم ) وكذا قال ابن عباس وقتادة والريبع وابن زيد . وقال عبد الله بن الزبرى : يذكر هزيمة المسلمين يوم أحد فى قصيدته وهو مشرك بعد لم يسلم التى يقول فى أولها

يا غراب الين أسمعك قتل \* إنما تنطق شيئا قد فعل \* إن للخير وللشر مدى \* وكلا ذلك وجه وقبل

إلى أن قال : ليت أشياخى يبدرو يشهدوا \* جنح الخزرج من وقع الأسل

حين حلت بقاء برهما \* واستحر القتل فى عبد الأسل \* ثم خفوا عندنا كم رقصا

رقص الحفان يعلو فى الجبل \* قتلنا الضعف من أشرافهم \* وعدلنا ميل بدر فاعتدل

الحفان صغار النعم . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أفرد فى اثنى عشر رجلا من أصحابه كما قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا أبو إسحق عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلا - عبدالله بن جبير قال : ووضعهم موضعاً وقال « إن رأيتمونا تحطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم » قال فهزم موهم قال : فلقد والله رأيت النساء يشتدن على الجبل وقد بدت أسواقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله : الغنيمة أى قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنظرون ؟ قال عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ فقالوا إنا والله لنأتين الناس فلنصيب من الغنيمة . فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا مهزمين فذلك الذى يدعوهم الرسول فى أخراهم فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا فأصابوا منا سبعين ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر مائة وأربعين ، سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً . قال أبو سفيان : أفى القوم محمد أفى القوم محمد؟ - ثلاثاً - قال . فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيئوه ، ثم نال : أفى القوم ابن أبي قحافة . أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ أفى القوم ابن الخطاب أفى القوم ابن الخطاب؟ ثم أقبل على أصحابه فقال ، أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم ، فإملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله يا عدو الله إن الدين عدت لأحياء كلهم ، وقد أبى الله لك ما يسوؤك فقال : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال . إنكم ستجدون فى القوم مثالة

لم أمر بها ولم تسؤنى . ثم أخذ يرتجز يقول اعل هبل اعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تجيئوه ؟ » قالوا :  
 يا رسول الله ما تقول ؟ قال « قولوا لله أعلى وأجل » قال لنا العزى ولا عزى لكم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 « ألا تجيئوه ؟ » قالوا يا رسول الله وما تقول ؟ قال « قولوا لله مولانا ولا مولى لكم » وقد رواه البخارى من حديث  
 زهير بن معاوية مختصراً ، ورواه من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق بأبسط من هذا كما تقدم والله أعلم - وروى البيهقي  
 في دلائل النبوة من حديث عمارة بن غزيرة عن أبي الزبير عن جابر قال : انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد  
 وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل ، فلحقهم المشركون فقال « ألا أحد  
 لهؤلاء » فقال : طلحة أنا يا رسول الله فقال « كما أنت ياطلحة » ، فقال رجل من الأنصار : فأنا يا رسول الله ، فقاتل عنه ،  
 وصعد رسول الله ﷺ ومن بقي معه ثم قتل الأنصارى فلحقوه فقال « ألا رجل لهؤلاء » فقال طلحة مثل قوله  
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل قوله ، فقال رجل من الأنصار : فأنا يا رسول الله ، فقاتل عنه وأصحابه  
 يصعدون ثم قتل فلحقوه ، فلم يزل يقول مثل قوله الأول فيقول طلحة فأنا يا رسول الله فيجسه فيستأذنه رجل من  
 الأنصار للقتال فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله ، حتى لم يبق معه إلا طلحة فغشوها فقال رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم « من لهؤلاء ؟ » فقال طلحة : أنا فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصبحت أنامله فقال حسن (١) : فقال رسول الله  
 « لو قلت باسم الله وذكر اسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جو السماء » ثم صعد رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم مجتمعون . وقد روى البخارى عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن إسماعيل عن  
 قيس بن أبي حازم قال : رأيت يد طلحة شلاء ووقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يعنى يوم أحد - وفي الصحيحين من  
 حديث معتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي عثمان النهدي قال : لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض تلك الأيام  
 التي قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا طلحة بن عبيد الله وسعد عن حديثهما (٢) . وقال الحسن بن عرفة  
 حدثنا مروان بن معاوية عن هشام بن هشام الزهرى قال سمعت سعيد بن المسيب يقول : سمعت سعد بن أبي وقاص  
 يقول : مثل لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كناتته يوم أحد وقال « ارم فداك أبى وأمى » ، وأخرجه  
 البخارى عن عبد الله بن محمد عن مروان بن معاوية وقال محمد بن إسحاق حدثني صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن  
 سعد بن أبي وقاص أنه رمى يوم أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد فلقد رأيت رسول الله صلى  
 عليه وسلم يناولني النبل ويقول « ارم فداك أبى وأمى » حتى إنه ليناولني السهم ليس له نصل فأرمى به -  
 وثبت في الصحيحين من حديث إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : رأيت يوم أحد عن يمين النبي ﷺ  
 وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه أشد القتال ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده ، يعنى جبريل وميكائيل  
 عليهما السلام - وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد وثابت عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد يوم  
 أحد في سبعة من الأنصار واثني من قريش ، فلما أرهقوه قال « من يردم عنا وله الجنة أو وهو رفيق في الجنة » فتقدم  
 رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، ثم أرهقوه أيضاً فقال « من يردم عنا وله الجنة » فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى  
 قتل ، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبيه « ما أنصفنا أصحابنا » رواه مسلم عن  
 هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة به نحوه . وقال أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال : كان أبى بن خلف أخو بنى جمح قد حلف  
 وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ فلما بلغت رسول الله ﷺ حلفته قال « بل أنا أقتله إن شاء الله » فلما كان يوم أحد  
 أقبل أبى في الحديد مقنعا وهو يقول : لا نجوت إن مجا محمد ، فحمل على رسول صلى الله عليه وسلم يريد قتله فاستقبله  
 مصعب بن عمير أخو بنى عبد الدار يقي رسول الله ﷺ بنفسه فقتل مصعب بن عمير وأبصر رسول الله ﷺ  
 ترقوة أبى بن خلف من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة وطعنه فيها مجرته فوقه إلى الأرض عن فرسه ، ولم يخرج من  
 طعنته دم فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يحور حوار الثور ، فقالوا له : ما أجزعك إنما هو خدش ؟ فذكر لهم قول رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم « بل أنا أقتل أيا » ثم قال ، والنسب نفسى بيده لو كان هذا الذى بي بأهل ذى المجاز لما اتوا أجمعون ،

(١) : نفس بكسر الحاء وتشديد السين كلمة يقولها من أصابه عى غفلة ما آله او أحرقة فيها (٢) ه نا بياض بالنسخة الأميرية

فات إلى النار ( فسحقاً لأصحاب السعير ) وقدر واه موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري عن سعيد بن المسيب بنحوه - وذكر محمد بن إسحق قال : لما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : لانبجوت إن نبجوت فقال القوم : يا رسول الله يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله ﷺ « دعوه » فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ، فقال بعض القوم كما ذكر لي فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة تطاير ناعنه تطاير الشعر عن ظهر البعير. إذا انفض ثم استقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعنه في عنقه طعنة تدادأمنها عن فرسه مراراً - وذكر الواقدي عن يونس بن بكير عن محمد (١) بن إسحق عن عاصم بن عمرو بن قتادة عن عبد الله ابن كعب بن مالك عن أبيه نحو ذلك . وقال الواقدي وكان ابن عمر يقول مات أبي بن خلف بيظن رابع ، فإني لأسير بيظن رابع بعد هوى من الليل فإذا أنا بنارتا جج لي فهبتها ، وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها به العطش ، وإذا رجل يقول لا تسقه ، فإن هذا قتيل رسول الله ﷺ ، هذا أبي بن خلف - وثبت في الصحيحين من رواية عبد الرزاق عن معمر بن همام بن منبه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « اشتد غضب الله على قوم فعلوا برسول الله ﷺ - وهو حينئذ يشير إلى رابعته - واشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله » وأخرجه البخاري أيضا من حديث ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس . قال اشتد غضب الله على من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في سبيل الله واشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله ﷺ - وقال ابن إسحق : أصيبت رابعة رسول الله ﷺ ، وشج في وجته ، وكلت شفته ، وكان الذي أصابه عتبة ابن أبي وقاص . فحدثني صالح بن كيسان عن من حدثه عن سعد بن أبي وقاص قال : ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص ، وإن كان معاملته لسيء الخلق مبغضا في قومه ، ولقد كفاني فيه قول رسول الله ﷺ « اشتد غضب الله على من دعى وجه رسول الله ﷺ » - وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن عثمان الحريري عن مقسم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رابعته ودعى وجهه فقال « اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافراً » فإحال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار - وذكر الواقدي عن ابن أبي سبرة عن إسحق بن عبد الله بن أبي فروة عن أبي الحويرث عن نافع بن جبيرة قال سمعت رجلا من المهاجرين يقول شهدت أحداً فنظرت إلى النبل يأتي من كل ناحية ورسول الله ﷺ في وسطها كل ذلك يصرف عنه ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يومئذ يقول : دلوني على محمد لانبجوت إن نبجوا ورسول الله ﷺ إلى جنبه ليس معه أحد ، ثم جاوزه فعاتبه في ذلك صفوان فقال : والله ما رأيته أحلف بالله أنه منا ممنوع ، خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك . قال الواقدي : والذي ثبت عندنا أن الذي دعى وجنتي رسول الله ﷺ ابن ميثمة ، والذي دعى شفته وأصاب رابعته عتبة بن أبي وقاص : وقال أبو داود الطيالسي حدثنا ابن المبارك عن إسحق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله أخبرني عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال : ذلك يوم كله لطلحة ، ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلا يتقاتل مع رسول الله ﷺ دونه وأراه قال حمية فقلت : كن طلحة حيث فاتني ما فاتني فقلت يكون رجلا من قومي أحب إلي وبينى وبين المشركين رجل لا أعرفه وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه ، وهو يخطف المشي خطفا لا أعرفه فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح فأتته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كسرت رابعته وشج في وجهه ، وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر فقال رسول الله ﷺ « عليك كما صاحبك يريد طلحة » وقد نرف فلم نلت إلى قوله قال : وذهبت لأنزع ذلك من وجهه ، فقال أبو عبيدة : أقسمت عليك بحق لما تركتني فتركته ، فكره أن يتناولها بيده فيؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزم عليها بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين ، ووقعت ثنيتة مع الحلقة وذهبت لأصنع ما صنع فقال : أقسمت عليك بحقني لما تركتني ، قال ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى ، ووقعت ثنيتة الأخرى مع الحلقة ، فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتما فأصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار ، فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر من طعنة ورمية وضربة ، وإذا قد قطعت أصبعه ،

فأصلحنا من شأنه، ورواه المهيم بن كليب والطبراني من حديث إسحق بن يحيى به. وعند الهيثم قال أبو عبيدة أنشدك الله يا أبا بكر الأثر كنتي؟ فأخذ أبو عبيدة السهم فيه فجعل ينضضه كراهية أن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استل السهم فيه فبدرت ثنية أبي عبيدة، وذكر تمامه، واختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه، وقد ضعف علي بن المديني هذا الحديث من جهة إسحق بن يحيى هذا فإنه تكلم فيه يحيى بن سعيد القطان وأحمد ويحيى بن معين والبخاري وأبو زرعة وأبو حاتم ومحمد بن سعد والنسائي وغيرهم - وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن مالكا أبا أبي سعيد الحدري لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد مص الجرح حتى ألقاه ولاح أبيض فقيل له محه فقال، لا والله لا أمجأ أبدا، ثم أدبر يقاتل فقال النبي صلى الله عليه وسلم «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» فاستشهد - وقد ثبت في الصحيحين من طريق عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد أنه سئل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه صلى الله عليه وسلم فكانت فاطمة تعسل الدم وكان على يسكب عليه الماء بالجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها حتى إذا صارت رمادا ألصقته بالجرح فاستمسك الدم وقوله تعالى (فأثابكم غما بغم) أي فجزاكم غما على غم كما تقول العرب نزلت ببنى فلان، ونزلت على بني فلان وقال ابن جرير: وكذا قوله (ولأصلبكم في جذوع النخل) أي على جذوع النخل قال ابن عباس: الغم الأول بسبب الهزيمة وحين قيل قتل محمد صلى الله عليه وسلم، والثاني حين علاهم المشركون فوق الجبل، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم ليس لهم أن يعلونا». وعن عبد الرحمن بن عوف: الغم الأول بسبب الهزيمة، والثاني حين قيل قتل محمد صلى الله عليه وسلم كان ذلك عندهم أشد وأعظم من الهزيمة، رواها ابن مردويه. وروى عن عمر بن الخطاب نحو ذلك وذكر ابن أبي حاتم عن قتادة نحو ذلك أيضا. وقال السدي: الغم الأول بسبب ما فاتهم من الغنمة والفتح، والثاني بإشراف العدو عليهم. وقال محمد بن إسحق (فأثابكم غما بغم) أي كربا بعد كرب قتل من قتل من إخوانكم، وعلو عدوكم عليكم، وما وقع في أنفسكم من قول: قتل نبيكم، فكان ذلك متتابعا عليكم غما بغم. وقال مجاهد وقتادة: الغم الأول سماعهم قتل محمد، والثاني ما أصابهم من القتل والجراح. وعن قتادة والريبع بن أنس عكسه. وعن السدي: الأول ما فاتهم من الظفر والغنمة، والثاني إشراف العدو عليهم وقد تقدم هذا القول عن السدي. قال ابن جرير وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال (فأثابكم غما بغم) فأثابكم نعمكم أيها المؤمنون بجرمان الله إياكم غنمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم، وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ بعد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما تحبون بمعصيتكم أمر ربكم، وخلافكم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم، غم ظنكم أن نبيكم قد قتل وميل العدو عليكم ونبوكم منهم وقوله تعالى (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) أي على ما فاتكم من الغنمة والظفر بعدوكم (ولما أصابكم) من الجراح والقتل قاله ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف والحسن وقتادة والسدي (والله خير بما تعملون) سبحانه وبحمده لا إله إلا هو جل وعلا

﴿مَنْ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نَمَا سَا يُغْشَى طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْخَلْقِ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ لَمَا قَتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿

يقول تعالى ممتنا على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والأمانة وهو النعاس الذي غشيهم وهم مشتملون السلاح في حال همهم وغمهم والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الأمان كما قال في سورة الانفال في قصة بدر ( إذ يغشيم النعاس أمانة منه ) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو نعيم ووكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن عبد الله بن مسعود قال النعاس في القتال من الله وفي الصلاة من الشيطان وقال البخاري وقال لي خليفة حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة قال كنت فيمن تعشاء النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط وآخذه ويسقط وآخذه. هكذا رواه في المغازي معلقا ورواه في كتاب التفسير مسندا عن شيان عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد قال فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط وآخذه وقد رواه الترمذي والنسائي والحاكم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال رفعت رأسي يوم أحد وجعلت أنظر ومامنهم يومئذ أحد إلا يميل تحت حجفته من النعاس لفظ الترمذي وقال حسن صحيح ورواه النسائي أيضا عن محمد بن المثنى عن خالد بن الحارث عن أبي قتبية عن ابن أبي عدي كلاهما عن حميد عن أنس قال: قال أبو طلحة كنت فيمن ألقى عليه النعاس الحديث وهكذا رواه عن الزبير وعبد الرحمن بن عوف وقال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو الحسين محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن إسحق الثقفي حدثنا محمد بن عبد الله بن المبارك الخزمي حدثنا يونس ابن محمد حدثنا شيان عن قتادة حدثنا أنس بن مالك أن أباطحة قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط وآخذه قال والطائفة الأخرى المناقون ليس لهم هم إلا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق ( يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ) أي إيمانهم أهل شك وريب في الله عز وجل هكذا رواه بهذه الزيادة وكانها من كلام قتادة رحمه الله وهو كما قال فإن الله عز وجل يقول ( ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاسا يغشى طائفة منكم ) يعني أهل الإيمان واليقين والثبات والتوكل الصادق وهم الجازمون بأن الله عز وجل سينصر رسوله وينجز له ما موله ولهذا قال ( وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ) يعني لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف ( يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ) كما قال في الآية الأخرى ( بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبدا ) إلى آخر الآية وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفيصلة وأن الاسلام قد باد وأهله وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة ثم أخبر تعالى عنهم أنهم ( يقولون ) في تلك الحال ( هل لنا من الأمر من شيء ) فقال تعالى ( قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك ) ثم فسر ما أخفوه في أنفسهم بقوله ( يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا ) أي يسرون هذه المقالة عن رسول الله ﷺ قال ابن إسحق فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال : قال الزبير لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم فما منا من رجل إلا ذقنه في صدره قال فوالله إنني لأسمع قول معتب بن قشير ما أسمع إلا كالحلم يقول ( لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا ) فحفظتها منه وفي ذلك أنزل الله ( يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا ) لقول معتب رواه ابن أبي حاتم قال الله تعالى ( قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ) أي هذا قدره الله عز وجل وحكم حتم لا محيد عنه ولا مناص منه وقوله تعالى ( وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم ) أي يختبركم بما جرى عليكم ليميز الخبيث من الطيب ويظهر أمر المؤمن من المنافق للناس في الأقوال والأفعال ( والله علم بذات الصدور ) أي بما يختلج في الصدور من السرائر والضمائر ثم قال تعالى ( إن الدين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ) أي ببعض ذنوبهم السالفة كما قال بعض السلف إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها ثم قال تعالى ( ولقد عفا الله عنهم ) أي عما كان منهم من الفرار ( إن الله غفور رحيم ) أي يغفر الذنب ويحلم عن خلقه ويتجاوز عنهم وقد تقدم حديث ابن عمر في شأن عثمان وتولية يوم أحد وأن الله قد عفا عنه مع من عفا عنهم عند قوله ( ولقد عفا عنكم ) ومناسب ذكره ههنا قال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة عن عاصم عن شقيق قال لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة فقال له الوليد مالي أراك جنوت أمير المؤمنين عثمان فقال له عبد الرحمن أني لم أفر يوم حنين قال عاصم يقول يوم أحد ولم تخلف

عن بدر ولم أترك سنة عمر قال فانطلق فأخبر بذلك عثمان قال : فقال عثمان أما قوله إني لم أفر يوم حنين فكيف يعبرني بذلك ولقد عفا الله عنه فقال تعالى ( إن الدين تولوا منكم يوم النقي الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ) وأما قوله إني تخلفت يوم بدر فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله ﷺ حتى ماتت وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهم ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهم فقد شهد وأما قوله إني تركت سنة عمر فإني لا أطيقها ولا هو فأتته فحدثه بذلك

﴿ بَأْيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ \* وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَكُمُغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ \* وَلَئِن مِّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾

ينهى تعالى عباده المؤمنين عن مشابهة الكفار في اعتقادهم الفاسد الدال عليه قولهم عن إخوانهم الذين ماتوا في الأسفار والحروب لو كانوا تركوا ذلك لما أصابهم ما أصابهم فقال تعالى ( يأيتها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم ) أى عن إخوانهم ( إذا ضربوا في الأرض ) أى سافروا للتجارة ونحوها ( أو كانوا غزى ) أى كانوا في الغزو ( لو كانوا عندنا ) أى في البلد ( ما ماتوا وما قتلوا ) أى ما ماتوا في السفر وما قتلوا في الغزو وقوله تعالى ( ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ) أى خلق هذا الاعتقاد في نفوسهم ليزدادوا حسرة على موتاهم وقتلاهم ثم قال تعالى ردا عليهم ( والله يحيي ويميت ) أى بيده الخلق وإليه يرجع الأمر ولا يحيا أحد ولا يموت أحد إلا بمشيئته وقدره ولا يزداد في عمر أحد ولا ينقص منه شيء إلا بقضائه وقدره ( والله بما تعملون بصير ) أى علمه وبصره نافذ في جميع خلقه لا يخفى عليه من أمورهم شيء وقوله تعالى ( ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ) تضمن هذا أن القتل في سبيل الله والموت أيضا وسيلة إلى نيل رحمة الله وعفوه ورضوانه وذلك خير من البقاء في الدنيا وجميع حطامها الغاني ثم أخبر تعالى بأن كل من مات أو قتل فمصيروه ومرجه إلى الله عز وجل فيجزيه بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر فقال تعالى ( ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون )

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفَضْنَا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ \* إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ \* وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْ يَفْعَلُ يَاتٍ بِمَا غَلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ \* أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ \* هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ \* لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

يقول تعالى مخاطبا رسوله ممثنا عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته المتبعين لأمره التاركين لجزره وأطاب لهم

لفظه (فبارحة من الله لنت لهم) أى بأى شىء جعلك الله لهم لينا لولا رحمة الله بك وبهم ، وقال قتادة (فبارحة من الله لنت لهم) يقول فبرحة من الله لنت لهم وما صلة ، والعرب اتصلها بالمعرفة كقوله (فما تقضهم ميثاقهم) وبالنكرة كقوله (عماقيل) وهكذا ههنا قال (فبارحة من الله لنت لهم) أى برحة من الله ، وقال الحسن البصرى هذا خلق محمد ﷺ بعثه الله به ، وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى ( لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) وقال الإمام أحمد حدثنا حيوة حدثنا بقية حدثنا محمد بن زياد حدثني أبو راشد الحراني قال : أخذ بيدي أبو أمامة الباهلي وقال : أخذ بيدي رسول الله ﷺ فقال « يا أبا أمامة إن من المؤمنين من يلين له قلبي » تفرد به أحمد ثم قال تعالى ( ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك ) والفظ الغليظ المزاد به هنا غليظ الكلام لقوله بعد ذلك ( غليظ القلب ) أى لو كنت سىء الكلام قاسى القلب عليهم لا نفضوا عنك وتركوك ، ولكن الله جمعهم عليك ، والآن جانبك لهم تأليفا لقلوبهم ، كما قال عبد الله بن عمرو بنى أرى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة أنه ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجرى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح . وقال أبو إسحاق محمد بن إسحاق الترمذى أنبأنا بشر بن عبيد حدثنا عمار بن عبد الرحمن عن السعدي عن أبي مليكة عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله أمرني بمدارة الناس كما أمرني بأقامة الفرائض » حديث غريب . ولهذا قال تعالى ( فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ) ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث تطيبا لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه كما شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير فقالوا يا رسول الله لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك ، ولو سرت بنا إلى برك الغنم لسرنا معك ، ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن نقول اذهب فنعن معك وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون . وشاورهم أيضا أين يكون المنزل حتى أشار المنذر بن عمرو بالتقدم أمام القوم . وشاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج إلى العدو ، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم ، فخرج إليهم . وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلاث ثمار المدينة عامثا فأبى ذلك عليه السعدان ، سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، فترك ذلك . وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين . فقال له الصديق . إنا لم نجىء لقتال أحد وإنما جئنا معتبرين ، فأجابه إلى ما قال وقال صلى الله عليه وسلم في قصة الافك « أشيروا على معشر المسلمين في قوم أبنا أهلي ورموهم ، وإيم الله ما علمت على أهلي من سوء وأبنوهم بمن ؟ والله ما علمت عليه إلا خيرا » واستشار عليا وأسامة في فراق عائشة رضى الله عنها . فكان صلى الله عليه وسلم يشاورهم في الحروب ونحوها وقد اختلف الفقهاء هل كان ذلك واجبا عليه أو من باب الندب تطيبا لقلوبهم ؟ على قولين وقد روى الحاكم في مستدركه : أنبأنا أبو جعفر محمد بن محمد البغدادي حدثنا يحيى بن أيوب العلاف بمصر حدثنا سعيد بن أبي مرزوق أنبأنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس في قوله تعالى ( وشاورهم في الأمر ) قال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وكذا رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزلت في أبي بكر وعمر ، وكنا حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيره وأبوي المسلمين وقد روى الإمام أحمد . حدثنا وكيع حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وعمر « لو اجتمعا في مشورة ما خالفتكما » وروى ابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال : سئل رسول الله ﷺ عن العزم ؟ فقال « مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم » وقد قال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن بكير عن سفيان عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « المستشار مؤتمن » ورواه أبو داود والترمذى وحسنه النسائي من حديث عبد الملك بأبسط من هذا . ثم قال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أسود بن عامر عن شريك عن الأعمش عن أبي عمرو الشيباني عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المستشار مؤتمن » تفرد به . وقال أيضا حدثنا أبو بكر حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة وعلی بن هاشم عن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه » تفرد به أيضا

وقوله تعالى ( فإذا عزمت فتوكل على الله ) أى إذا شاورتهم فى الأمر وعزمت عليه فتوكل على الله فيه ( إن الله يحب المتوكلين )  
وقوله تعالى ( إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) وهذه  
الآية كما تقدم من قوله ( وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ) ثم أمرهم بالتوكل عليه فقال ( وعلى الله فليتوكل  
المؤمنون ) وقوله تعالى ( وما كان لنبى أن يغفل ) : قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد : ما ينبغي لنبى أن يغفل .  
وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا المسيب بن واضح حدثنا أبو إسحق الفزارى عن سفيان بن خصيف عن عكرمة  
عن ابن عباس قال : فقدوا قطيفة يوم بدر فقالوا : لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فأنزله الله ( وما كان لنبى  
أن يغفل ) أى يغفل . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا خصيف  
حدثنا مقسم حدثنى ابن عباس أن هذه الآية ( وما كان لنبى أن يغفل ) نزلت فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض  
الناس : لعل رسول الله أخذها ، فأكثروا فى ذلك فأنزله الله ( وما كان لنبى أن يغفل ) ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة )  
وكذا رواه أبو داود والترمذى جميعا عن قتيبة عن عبد الواحد بن زياد به وقال الترمذى حسن غريب ، ورواه بعضهم  
عن خصيف عن مقسم يعنى مرسلا ، ورواه ابن مردويه من طريق أبى عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال  
اتهم المنافقون رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء فقد فأنزله الله تعالى ( وما كان لنبى أن يغفل ) وروى من غير وجه  
عن ابن عباس نحو ما تقدم ، وهذا تنزيه له صلوات الله وسلامه عليه من جميع وجوه الحيانة فى أداء الأمانة وقسم الغنيمة  
وغير ذلك . وقال العوفى عن ابن عباس ( وما كان لنبى أن يغفل ) أى بأن يقسم لبعض سرايا ويترك بعضا ، وكذا قال  
الضحاك . وقال محمد بن إسحق ( وما كان لنبى أن يغفل ) بأن يترك بعض ما أنزل اليه فلا يبلغ أمته . وقرأ الحسن البصرى  
وطاوس ومجاهد والضحاك ( وما كان لنبى أن يغفل ) بضم الياء أى يخان وقال قتادة والريبع بن أنس : نزلت هذه الآية يوم  
بدر ، وقد غل بعض أصحابه ، ورواه ابن جرير عنهما ، ثم حكى عن بعضهم أنه فسر هذه القراءة بمعنى يتهم بالحيانة ثم قال  
تعالى ( ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد  
وقد وردت السنة بالنهى عن ذلك أيضا فى أحاديث متعددة قال الإمام أحمد حدثنا عبد الملك حدثنا زهير يعنى ابن محمد  
عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن عطاء بن يسار عن أبى مالك الأشجعى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أعظم  
الغلول عند الله ذراع من الأرض تجدون الرجلين جارين فى الأرض - أو فى الدار - فيقطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعا  
فإذا قطعه طوقه من سبع أرضين يوم القيامة » ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن نمير حدثنا  
ابن لهيعة عن ابن هبيرة والحارث بن يزيد عن عبد الرحمن بن جبير قال سمعت المستورد بن شداد يقول سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول « من ولى لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا ، أو ليست له زوجة فليتزوج ، أو ليس له  
خادم فليتخذ خادما ، أو ليس له دابة فليتخذ دابة ، ومن أصاب شيئا سوى ذلك فهو غال » هكذا رواه الإمام أحمد وقد  
رواه أبو داود بسند آخر وسياق آخر فقال : حدثنا موسى بن مروان الرقى حدثنا العافى حدثنا الأوزاعى عن الحارث  
ابن يزيد عن جبير بن نفيير عن المستورد بن شداد : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان لنا عملا  
فليكتسب زوجة ، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادما فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا » قال أبو بكر  
أخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من اتخذ غير ذلك فهو غال - أو سارق » قال شيخنا الحافظ المزى رحمه الله  
رواه أبو جعفر بن محمد الفريابى عن موسى بن مروان فقال : عن عبد الرحمن بن جبير بدل جبير بن نفيير وهو أشبه بالصواب  
( حديث آخر ) قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا حفص بن بشر حدثنا يعقوب القمى حدثنا حفص بن حميد عن  
عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لأعرفن أحدكم يأتى يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادى يا محمد يا محمد  
فأقول : لأملك لك من الله شيئا قد بلغتك ، ولأعرفن أحدكم يأتى يوم القيامة يحمل جملا له رغاء يقول : يا محمد يا محمد  
فأقول لأملك لك من الله شيئا قد بلغتك ، ولأعرفن أحدكم يأتى يوم القيامة يحمل فرسالة حممة ينادى يا محمد يا محمد فأقول  
لأملك لك من الله شيئا قد بلغتك ولأعرفن أحدكم يأتى يوم القيامة يحمل قسبا من آدم ينادى يا محمد يا محمد فأقول لأملك لك  
من الله شيئا قد بلغتك » لم يروه أحد من أهل الكتب الستة

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا سفیان عن الزهري سمع عروة يقول : حدثنا أبو حميد الساعدي قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد يقال له ابن اللثبية على الصدقة فجاء فقال : هذا لكم وهذا أهدي لى . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال « ما بال العامل نبعثه على عمل فيقول : هذا لكم وهذا أهدي لى . أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهم أهدي إليه أم لا ؟ والذي نفس محمد بيده لا يأتى أحدكم منها بشيء إلا جاء به يوم القيامة على رقبته ، إن كان بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر » ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه ، ثم قال « اللهم هل بلغت » ثلاثا ، وزاد هشام بن عروة فقال أبو حميد . بصرتة عيني وسمعتة أذني واسألوا زيد بن ثابت ، أخرجاه من حديث سفیان بن عيينة ، وعند البخارى واسألوا زيد بن ثابت ، ومن غير وجه عن الزهري ، ومن طرق عن هشام بن عروة ، كلاهما عن عروة به . (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن عروة بن الزبير عن أبي حميد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هدايا العمال غلول » وهذا الحديث من أفراد أحمد ، وهو ضعيف الإسناد ، وكأنه مختصر من الذى قبله والله أعلم ، (حديث آخر) قال أبو عيسى الترمذى فى كتاب الأحكام : حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة عن داود بن يزيد الأودى عن المغيرة بن شبل عن قيس بن أبي حازم عن معاذ بن جبل قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فلما سرت أرسل فى أمرى فرددت فقال « أتدرى لم بعثت إليك ؟ لاتصين شيئا بغير إذنى فإنه غلول (ومن يغفل يأت بماغل يوم القيامة) لهذا دعوتك فامض لعمالك » هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه ، وفى الباب عن عدى بن عميرة وبريدة والمستورد بن شداد وأبي حميد وابن عمر ؛ (حديث آخر) قال الإمام أحمد . حدثنا إسماعيل بن علية حدثنا أبو حيان يحيى بن سعيد التيمي عن أبي زرعة عن ابن عمر وابن جرير عن أى هريرة قال . قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال « لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رغاء فيقول : يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحة فيقول : يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت . فيقول : يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك » أخرجاه من حديث أبي حيان به . (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أى خالد حدثنى قيس عن عدى بن عميرة الكندى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس من عمل لنا منكم عملا فكتمنا منه مخطئا فما فوقه فهو غل يأتى به يوم القيامة » قال : فقام رجل من الأنصار أسود - قال مجاهد : هو سعد بن عبادة كأتى أنظر اليه - فقال يا رسول الله اقبل منى عمالك قال « وماذاك ؟ » قال سمعتك تقول كذا وكذا قال « وأنا أقول ذلك الآن ، من استعملناه على عمل فيجىء بقلبه وكثيره ، فما أوتى منه أخذه ، وما نهى عنه انتهى » وكذا رواه مسلم وأبو داود من طرق عن إسماعيل بن أى خالد به (حديث آخر) قال الإمام أحمد . حدثنا أبو معاوية عن أى إسحاق الفزاري عن ابن جريح حدثنى منبوذ رجل من آل أى رافع عن الفضل بن عبد الله بن أى رافع عن أى رافع قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى العصر ربما ذهب إلى بنى عبد الأشهل فيتحدث معهم حتى ينحدر إلى المغرب قال أبو رافع : فينا<sup>(١)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرعا إلى المغرب إذ مر بالبقيع فقال « أفلك أفلك » فلزق فى درعى وتأخرت وظننت أنه يريدنى فقال « مالك ؟ » قلت أحدثت حدثنا يا رسول الله : قال « وماذاك ؟ » قال : إنك قلت لى قال « لا ولكن هذا قبر فلان بعثته ساعيا على آل فلان فغل نعمة فدرع الآن مثلها من نار » (حديث آخر) قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن سالم الكوفى المفلوج - وكان ثقة - حدثنا عبيد بن الأسود عن القاسم بن الوليد عن أى صادق عن ربيعة بن ناجية عن عبادة بن الصامت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الوبرة من ظهر البعير من الغنم ثم يقول « مالى فيه إلا مثل ما لأحدكم ، إياكم والغلول فان الغلول خزى على صاحبه يوم القيامة ، أدوا الحيط والحيط وما فوق ذلك ، وجاهدوا فى سبيل الله القريب والبعيد ، فى الحضر والسفر فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، إنه لينجى الله به من الهم والغم ؛ وأقيموا حدود الله فى القريب والبعيد ولا تأخذكم

(١) هكذا بالأصل ولعله قد سقط لفظ كان .

في الله لومة لأثم» وقد روى ابن ماجه بعضه عن المفالج به . ( حديث آخر ) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ردوا الحياط والمحيط ، فان الغلول عار ونار وشار على أهله يوم القيامة » ( حديث آخر ) قال أبو داود . حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن مطرف عن أبي الجهم عن أبي مسعود الأنصاري قال : بعثنى رسول الله ﷺ ساعياً ثم قال : « انطلق أبا مسعود لألفينك يوم القيامة تجيء على ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء قد غلته » قال إذاً لا أنطلق قال « إذاً أكرهك » تفرد به أبو داود . ( حديث آخر ) قال أبو بكر بن مردويه . أنبأنا محمد بن أحمد بن إبراهيم أنبأنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة أنبأنا عبد الحميد بن صالح أنبأنا أحمد ابن أبان عن علقمة بن مرثد عن أبي بريدة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الحجر يرمى به في جهنم فهو سبعين خريفاً ما يبلغ قعرها ويؤتى بالغلول فيقذف معه ثم يقال لمن غل به اثنتان به فذلك قوله ( ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ) » ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد . حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عكرمة بن عمار حدثني سماك الحنفي أبو زميل حدثني عبد الله بن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد ، حتى أتوا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلا إني رأيت في النار في بردة غلها - أو عباءة - » ثم قال رسول الله ﷺ « اذهب فناد في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون » قال فخرجت فناديت إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، وكذا رواه مسلم والترمذي من حديث عكرمة بن عمار به وقال الترمذي حسن صحيح ( حديث آخر عن عمر رضي الله عنه ) قال ابن جرير : حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثني عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن موسى بن جبير حدثه أن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الأنصاري حدثه أن عبد الله ابن أنيس حدثه أنه تذاكر هو وعمرو بن الخطاب يوماً الصدقة فقال ألم تسمع قول رسول الله ﷺ حين ذكر غلول الصدقة « من غل منها بعيراً أو شاة فإنه يحمله يوم القيامة » ؟ قال عبد الله بن أنيس . بلى ورواه ابن ماجه عن عمرو بن سوار عن عبد الله بن وهب به ( حديث آخر ) قال ابن جرير : حدثنا يحيى بن سعيد الأموي حدثنا أبي حدثنا يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث سعد بن عباداً مصدقاً فقال « يا سعد إياك أن تجيء يوم القيامة ببعير تحمل له رغاء » قال لا آخذه ولا أجيء به فأعفاه ثم رواه من طريق عبيد الله عن نافع به نحوه ( حديث آخر ) قال أحمد حدثنا أبو سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد حدثنا صالح بن محمد بن زائدة عن سالم بن عبد الله أنه كان مع مسلمة بن عبد الملك في أرض الروم فوجد في متاع رجل غلولا قال فسأل سالم بن عبد الله فقال حدثني أبي عبد الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من وجدتم في متاعه غلولا فأحرقوه - قال وأحسبه قال - واضربوه » قال فأخرج متاعه في السوق فوجد فيه مصحفاً فسأل سالمًا فقال بعه وتصدق بئمه وكذا رواه علي بن المديني وأبو داود والترمذي من حديث عبد العزيز بن محمد الدراوردي زاد أبو داود وأبو إسحق الفزاري كلاهما عن أبي واقد الليثي الصغير صالح بن محمد بن زائدة به وقال علي بن المديني والبخاري وغيرهما هذا حديث منكر من رواية أبي واقد هذا وقال الدارقطني الصحيح أنه من فتوى سالم فقط وقد ذهب إلى القول بمقتضى هذا الحديث الإمام أحمد بن حنبل ومن تابعه من أصحابه وقد رواه الأموي عن معاوية عن أبي إسحق عن يونس بن عبيد عن الحسن قال : عقوبة الغال أن يخرج رحله فيحرق على ما فيه . ثم روى عن معاوية عن أبي إسحاق عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن علي قال الغال يجمع رحله فيحرق ويجلد دون حد المملوك ويحرم نصيبه وخالفه أبو حنيفة ومالك والشافعي والجمهور فقالوا لا يحرق متاع الغال بل يعزر تعزير مثله وقد قال البخاري وقد امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة على الغال ولم يحرق متاعه والله أعلم - وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحق عن جبير بن مالك قال : أمر بالمصاحف أن تغير قال : فقال ابن مسعود من استطاع منكم أن يغل مصحفاً فليغله فإنه من غل شيئاً جاء به يوم القيامة ثم قال قرأت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين مرة أفأترك ما أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم - وروى وكيع في تفسيره عن شريك عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم قال لما أمر بتحريق المصاحف قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أيها الناس غلوا المصاحف فإنه من غل يأت بما غل يوم القيامة ، ونعم الغل المصحف يأتي به أحدكم يوم القيامة - وقال أبو داود

عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غم غنيمة أمر بلالا فينادي في الناس فيجوزوا بغنائهم فيخسه ويقسمه فجاء رجل يوما بعد النداء بزمام من شعر فقال : يا رسول الله هذا كان مما أصبناه من الغنيمة فقال «أسمعت بلالا ينادي» ثلاثا قال : نعم قال «لما منعك أن تجيء» فاعتذر إليه فقال «كلا أنت تجيء به يوم القيامة فلن أقبله منك» وقوله تعالى ( أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ) أي لا يستوى من اتبع رضوان الله فيما شرعه فاستحق رضوان الله وجزيل ثوابه ، وأجبر من وبيل عقابه ومن استحق غضب الله وألزم به فلا يحيد له عنه ومأواه يوم القيامة جهنم وبئس المصير ، وهذه الآية لها نظائر كثيرة في القرآن كقوله تعالى ( أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ) كقوله ( أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ) الآية . ثم قال تعالى ( هم درجات عند الله ) قال الحسن البصرى ومحمد بن إسحق : يعنى أهل الخير وأهل الشر درجات ، وقال أبو عبيدة والكسائي : منازل يعنى متفاوتون في منازلهم ، درجاتهم في الجنة ودرجاتهم في النار ، كقوله تعالى ( ولكل درجات مما عملوا ) الآية ، ولهذا قال تعالى ( والله بصير بما يعملون ) أي وسيوفهم إياها ، لا يظلمهم خيرا ولا يزيدهم شرا ، بل يجازى كل عامل بعمله : وقوله تعالى ( لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ) أي من جنسهم ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والانتفاع به ، كما قال تعالى ( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ) أي من جنسكم وقال تعالى ( قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد ) الآية . وقال تعالى ( وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ) وقال تعالى ( وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى ) وقال تعالى ( يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ) فهذا أبلغ في الامتنان أن يكون الرسول إليهم منهم بحيث يمكنهم مخاطبته ومراجعته في فهم الكلام عنه ولهذا قال تعالى ( يتلو عليهم آياته ) يعنى القرآن ( ويزكهم ) أي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكو نفوسهم وتطهر من الدنس والخبث الذي كانوا مثلثين به في حال شركهم وجاهليتهم ( ويعلمهم الكتاب والحكمة ) يعنى القرآن والسنة ( وإن كانوا من قبل ) أي من قبل هذا الرسول ( لفي ضلال مبين ) أي لفي غي وجهل ظاهر جلي بين لكل أحد

﴿ أَوْلَمَا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانِ قَبْلِذَنْ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَاقَبُوا وَقِيلَ لَهُمْ لَعَالُوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ \* الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا أَلَوْ طَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلْ فَأَدْرَبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿

يقول تعالى ( أولما أصابتكم مصيبة ) وهي ما أصيب منهم يوم أحد من قتلى السبعين منهم ( قد أصبتم مثلها ) يعنى يوم بدر فانهم قتلوا من المشركين سبعين قتلا وأسروا سبعين أسيرا قلت أي هذا أي من أين جرى علينا هذا ( قل هو من عند أنفسكم ) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي أنبأنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا قراد بن نوح حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء ، قتل منهم سبعون وفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وكسرت ربايته ، وهشمت البيضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، فأنزل الله ( أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثلها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ) بأخذكم الفداء . وهكذا رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن غزوان وهو قراد بن نوح بإسناده ولكن بأطول منه ، وهكذا قال الحسن البصرى وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا إسماعيل بن علية عن ابن

عون ح قال سنيده وهو حسين وحدثني حجاج عن جريج عن محمد بن عبيدة عن علي قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الأسارى ، وقد أمرك أن تخيرهم بين أمرين ، إما أن يقدموا فنضرب أعناقهم ، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم قال : فدعا رسول الله ﷺ الناس فذكر لهم ذلك فقالوا : يا رسول الله عشائرننا وإخواننا ألا نأخذ فداءهم فنقتوي به على قتال عدونا ، ويستشهد منا عدتهم ، فليس في ذلك ما نكره ؟ قال فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلا ، عدة أسارى أهل بدر ، وهكذا رواه النسائي والترمذي من حديث أبي داود الحفري عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن سفيان بن سعيد عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين به ، ثم قال الترمذي حسن غريب لأنعرفه لإمام حديث ابن أبي زائدة : وروى أبو أسامة عن هشام نحوه وروى عن ابن سيرين عن عبيدة عن النبي ﷺ مرسلا . وقال محمد بن إسحق وابن جرير والريعي بن أنس والسدي ( قل هو من عند أنفسكم ) أي بسبب عصيانكم لرسول الله ﷺ حين أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم فعصيتم يعني بذلك الرماة ( إن الله على كل شيء قدير ) أي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ، ثم قال تعالى ( وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله ) أي فراركم بين يدي عدوكم وقتلهم لجماعة منكم وجراحهم لآخرين كان بقضاء الله وقدره ، وله الحكمة في ذلك ( وليعلم المؤمنون ) أي الذين صبروا وثبتوا ولم يتزلزلوا ( وليعلم الذين ناققوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم ) يعني بذلك أصحاب عبد الله بن أبي سؤل الذين رجعوا معه في أثناء الطريق فاتبعهم رجال من المؤمنین يجرضونهم على الاتيان والقتال والمساعدة ، ولهذا قال ( أو ادفعوا ) قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأبو صالح والحسن والسدي : يعني كثروا سواد المسلمين ، وقال الحسن بن صالح ادفعوا بالدعاء ، وقال غيره رابطوا ، ففعلوا قائلين ( لو نعلم قتالا لاتبعناكم ) قال مجاهد يعنون لو نعلم أنكم تلقون حربا لجئناكم ؛ ولكن لا تلقون قتالا . قال محمد بن إسحق : حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حيان وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ؛ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يعني حين خرج إلى أحد في ألف رجل من أصحابه ؛ حتى إذا كان بالشوط بين أحد والمدينة انحاز عنه عبد الله بن أبي سؤل بثلاث الناس فقال : أطاعهم فخرج وعصاني ووالله ما ندرى علام تقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ، فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه أهل النفاق وأهل الرب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة يقول : يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عند ما حضر من عدوكم قالوا : لو نعلم أنكم تقتلون ما أسلناكم ولكن لا نرى أن يكون قتال : فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال : أبعدهم الله أعداء الله فسيغى الله عنكم ومضى رسول الله ﷺ . قال الله عز وجل ( هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ) استدلووا به على أن الشخص قد تتقلب به الأحوال فيكون في حال أقرب إلى الكفر ، وفي حال أقرب إلى الإيمان لقوله ( هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ) ثم قال تعالى ( يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ) يعني أنهم يقولون القول ولا يعتقدون صحته ، ومنه قولهم هذا ( لو نعلم قتالا لاتبعناكم ) فانهم يتحققون أن جندا من المشركين قد جاءوا من بلاد بعيدة يتحرقون على المسلمين بسبب ما أصيب من أشرافهم يوم بدر . وهم أضعاف المسلمين أنه كائن بينهم قتال لا محالة . ولهذا قال تعالى ( والله أعلم بما يكتمون ) ثم قال تعالى ( الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا ) أي لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ماقتلوا مع من قتل ، قال الله تعالى ( قل فادعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ) أي إن كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغي أنكم لا تموتون ، والموت لا بد آت إليكم ولو كنتم في بروج مشيدة ، فادفعا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين . قال مجاهد عن جابر بن عبد الله : نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي سؤل وأصحابه

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ \* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ

مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ \* الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ  
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ \* الَّذِينَ قَالُوا لِلَّهِ أَطَاعُوا أَمْرًا سَاءً فَأَخَذُوا مِنْهُمُ أَيُّهَا اللَّهُ  
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ \* فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ آلِهِمْ فَأَخَذُوا مِنْهُمْ سُلُوكًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَ  
ذُو فَضْلٍ عَظِيمٌ \* إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿

يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار . قال محمد بن  
جرير : حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا عمرو بن يونس عن عكرمة حدثنا إسحق بن أبي طلحة حدثني أنس بن مالك في أصحاب  
رسول الله ﷺ الذين أرسلهم نبي الله إلى أهل بئر معونة قال : لا أدري أربعين أو سبعين ، وعلى ذلك الماء  
عامر بن الطفيل الجعفرى فخرج أولئك النفر من أصحاب رسول الله ﷺ حتى أتوا غارا مشرفا على الماء  
فقعدها فيه ، ثم قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال - أراه أبو  
ملحان الأنصارى - أنا أبلغ رسالة رسول الله ﷺ (١) فخرج حتى أتى حول بيئهم فاجتئى (٢) أمام البيوت ثم قال يا أهل  
بئر معونة إني رسول رسول الله إليكم ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله  
فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال : الله أكبر فزت ورب الكعبة  
فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه في الغار فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل وقال ابن إسحق : حدثني أنس بن مالك أن الله  
أنزل فيهم قرآنا بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه ثم نسخت فرفعت بعد ما قرأناها زمانا وأنزل  
الله تعالى ( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ) وقد قال مسلم في صحيحه : حدثنا  
محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال : إنا سألتنا عبد الله عن هذه  
الآية ( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ) فقال : أما إنا قد سألتنا عن ذلك رسول  
الله ﷺ فقال « أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك  
القناديل ، فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئا ؟ فقالوا : أى شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة  
حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : لا يريد أن ترد أرواحنا  
في أجسادنا حتى تقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا » وقد روى نحوه من حديث أنس  
وأبي سعيد ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال « ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها ان ترجع إلى الدنيا إلا الشهيد فإنه يسره أن يرجع  
إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى مما يرى من فضل الشهادة » تفرد به مسلم من طريق حماد ( حديث آخر ) قال الإمام  
أحمد حدثنا علي بن عبد الله المدني حدثنا سفيان بن محمد بن علي بن ربيعة السلمي عن عبد الله بن محمد بن عقيل  
عن جابر قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعلمت أن الله أحيا أباك فقال له : نعم فقال له أرد إلى  
الدنيا فأقتل فيك مرة أخرى قال إني قضيت أمهم اليها لا يرجعون » تفرد به أحمد من هذا الوجه وقد ثبت في الصحيحين  
وغيرهما أن أبا جابر وهو عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى رضى الله عنه قتل يوم أحد شهيدا . قال البخارى  
وقال أبو الوليد عن شعبة عن ابن المنكدر سمعت جابرا قال لما قتل أبى جعلت أبكى وأكشفت الثوب عن وجهه  
فجعل أصحاب رسول الله ﷺ يهوى والنبي ﷺ لم يبه فقال النبي ﷺ « لا تبكيه - أو ما تبكيه - ما زالت الملائكة  
تظله بأجنحتها حتى رفع » وقد أسنده هو ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال :  
لما قتل أبى يوم أحد جعلت أكشفت الثوب عن وجهه وأبكى وذكر تمامه بنحوه : ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد : حدثنا  
(١) قوله أهل هذا الماء إلى هنا سقط من النسختين وترك له يماضى الأميرة وتقلناه من تفسير ابن جرير . (٢) في نسخة الأزهر فاخترت .

يعقوب حدثنا أبي عن أبي إسحاق حدثنا إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد عن أبي الزبير المكي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ « لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ، وحسن مقيلهم قالوا يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله هذه الآيات ( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ) وما بعدها » وهكذا رواه أحمد ، ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن إسحاق به . ورواه أبو داود والحاكم في مستدر كه من حديث عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق به ، ورواه أبو داود والحاكم عن إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره ، وهذا أثبت . وكذا رواه سفيان الثوري عن سالم الأفيطس عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس - وروى الحاكم في مستدر كه من حديث أبي إسحاق الفزاري عن سفيان عن إسماعيل (١) بن أبي خالد عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في حمزة وأصحابه ( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ) ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وكذلك قال قتادة والربيع والضحاك انها نزلت في قتلى أحد . ( حديث آخر ) قال أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا هارون بن سليمان أنبأنا علي بن عبد الله المدني أنبأنا موسى بن إبراهيم ابن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصاري سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمت الأنصاري قال سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إلى رسول الله ﷺ ذات يوم فقال « يا جابر مالي أراك مهتما ؟ » قلت يا رسول الله استشهد أبي وترك دينا وعيالا قال : فقال « ألا أخبرك ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحا » قال علي والكفاح المواجهة « قال سلفي أعطك قال : أسألك أن أرد إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل إنه قد سبق مني القول انهم إليها لا يرجعون قال أي رب فأبلغ من ورأى فأنزل الله ( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ) الآية » ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن سليمان بن سليط الأنصاري عن أبيه عن جابر به نحوه ، وكذا رواه البيهقي في دلائل النبوة من طريق علي ابن المديني به ، وقد رواه البيهقي أيضا من حديث أبي عباد الأنصاري وهو عيسى بن عبد الله (٢) إن شاء الله عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : قال النبي ﷺ لجابر « يا جابر ألا أبشرك » قال بلى بشرك الله بالخير قال « شعرت بأن الله أحيأ أباك فقال تمن علي عبي ما شئت أعطك قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى قال إنه سلف مني أنه إليها لا يرجع » ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثنا الحارث بن فضيل الأنصاري عن محمود بن لبيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « الشهداء على بارق نهر يباب الجنة فيه قبة خضراء يخرج إليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية » تفرد به أحمد ، وقد رواه ابن جريج (٣) عن أبي كريب حدثنا عبد الرحمن بن سليمان وعبيدة عن محمد بن إسحاق به وهو إسناد جيد ؛ وكان الشهداء أقسام منهم من تسرح أرواحهم في الجنة ومنهم من يكون على هذا النهر يباب الجنة وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر فيجتمعون هنالك ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح والله أعلم - وقد روينا في مسند الإمام أحمد حديثا فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تسرح أيضا فيها وتأكل من ثمارها وترى ما فيها من النضرة والسرور ، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة ، وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة فان الإمام أحمد رحمه الله رواه عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله عن مالك بن أنس الأصبحي رحمه الله عن الزهري عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه » قوله « يعلق » أي يأكل وفي هذا الحديث « إن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة » وأما أرواح الشهداء فكما تقدم في حواصل طير حصر فهي كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين فانها تطير بأنفسها ، فنسأل الله الكريم المنان أن يميئتنا على الإيمان - وقوله تعالى ( فرحين بما آتاهم الله ) إلى آخر الآية أي الشهداء

(١) في نسخة الأثر : عن أبي سفيان عن إسماعيل (٢) وفيها : ابن عبد الرحمن (٣) وفيها ابن جرير

الذين اتوا في سبيل الله أحياء عند ربهم ، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله أنهم يقدمون عليهم ، وأنهم لا يخافون بما أمامهم ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم نسأل الله الجنة . وقال محمد بن إسحق ( ويستبشرون ) أى ويسرون بلحوق من لحقهم (١) من إخوانهم على مامضوا عليه من جهادهم ، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم ، قال السدى يؤتى الشهيد بكتاب فيه يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ، ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ، فيسر بذلك كما يسر أهل الدنيا بغنائهم إذا قدم قال سعيد بن جبير : لما دخلوا الجنة ورأوا ما فيها من الكرامة للشهداء قالوا : يا ليت إخواننا الذين في الدنيا يعلمون ما عرفناه من الكرامة ، فإذا شهدوا القتال بأشروها بأنفسهم حتى يستشهدوا فيصيبوا ما أصبنا من الخير فأخبر رسول الله ﷺ بأمرهم وما هم فيه من الكرامة ، وأخبرهم أى ربهم أنى قد أنزلت على نبيك وأخبرته بأمركم وما أتم فيه فاستبشروا بذلك فذلك قوله ( ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ) الآية وقد ثبت في الصحيحين عن أنس في قصة أصحاب بئر معونة السبعين من الأنصار الذين قتلوا في غداة واحدة ، وقت رسول الله ﷺ يدعو على الذين قتلوهم ويلعنهم قال أنس ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع « أن بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا » ثم قال تعالى ( يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ) قال محمد بن إسحق : استبشروا أى سروا لما عبثوا من وفاء الموعود وجزيل الثواب . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هذه الآية جمعت المؤمنين كلهم سواء الشهداء وغيرهم ، ولما ذكر الله فضلا ذكر به الأنبياء وثوابا أعطاهم الله إياه إلا ذكر الله ما أعطى المؤمنين من بعدهم ، وقوله تعالى ( الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ) هذا كان يوم حمراء الأسد وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كروا راجعين إلى بلادهم ، فلما استمروا في سيرهم ندموا لم لا تموا على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعبهم ويرهبهم أن بهم قوة وجلدا ، ولم يأذن لأحد سوى من حضر الواقعة يوم أحد سوى جابر بن عبد الله رضى الله عنه لما سندرته فالتدب المسلمون على ما بهم من الجراح والإلحاح طاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ . قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال : لما رجح المشركون عن أحد قالوا لا محمدا قتلتهم ، ولا الكواعب أردقتهم ، بسما صنعتم . ارجعوا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فندب المسلمين فالتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد - أو بئر أبي عيينة - الشك من سفيان - فقال المشركون : نرجع من قابل ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت تعد غزوة فأنزل الله تعالى ( الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ) وروى ابن مردويه من حديث محمد بن منصور عن سفيان ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس فذكره - وكان محمد بن إسحق : كان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال ، فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه أن لا يخرج من معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس فكلهم جابر بن عبد الله بن عمرو ابن حرام فقال يا رسول الله إن أبى كان خلفنى على أخوات لى سبع وقال : يا بنى إنه لا ينبغي لى ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذى أوترك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى فتخلف على أخواتك فتخلف عليهن ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه ؛ وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة ، وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم قال محمد بن إسحق فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبد الأشهل ، كان قد شهد أحدا قال : شهدنا أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخى رجعا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو وقتل لأخى - أوقال لى - أتفتوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله ما لنا من دابة نركبها ، وما لنا إلا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول

(١) فى نسخة الأزر : خلفهم .

الله ﷺ ، وكنت أيسر جراحامنه ؛ فكان إذا غلب حملته عقبه ؛ حتى اتبينا إلى ما انتهى إليه المسلمون . وقال البخارى حدثنا محمد بن سلام حدثنا أبو معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها ( الذين استجابوا لله والرسول ) الآية قلت لعروة : يا ابن أخى كان أبوك منهم الزبير وأبو بكر رضى الله عنهما لما أصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا فقال « من يرجع في أثرهم » فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم أبو بكر والزبير هكذا رواه البخارى منفردا بهذا السياق ، وهكذا رواه الحاكم في مستدرکه عن الأصم عن أبي العباس (١) الدورى عن أبي النضر عن أبي سعيد المؤدب عن هشام بن عروة به ، ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه كذا قال ، ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار وهدبة بن عبد الوهاب عن سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة به وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحميدى فى مسنده عن سفيان به وقد رواه الحاكم أيضا من حديث إسماعيل بن أبي خاله عن التيمي عن عروة وقال: قلت لى عائشة ان أباك من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه - وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبد الله بن جعفر من أصل كتابه أنبأنا سموية أنبأنا عبد الله بن الزبير أنبأنا سفيان أنبأنا هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال لى رسول الله ﷺ « ان كان أبواك لمن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع أبو بكر والزبير » ورفع هذا الحديث خطأ محض من جهة إسناده لخالفته رواية الثقات من وقفه على عائشة رضى الله عنها كما قدمناه ، ومن جهة معناه فإن الزبير ليس هو من آباء عائشة ، وإنما قالت ذلك عائشة لعروة بن الزبير لأنه ابن أختها أسما بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهم - وقال ابن جرير ، حدثني محمد بن سعد حدثني عمى حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال : ان الله قذف فى قلب أبي سفيان الرعب يوم أحد بعدما كان منه ما كان فرجع إلى مكة فقال النبي ﷺ « إن أباسفيان قد أصاب منكم طرفا ، وقد رجع وقد قذف الله فى قلبه الرعب » وكانت وقعة أحد فى شوال وكان التجار يقدمون المدينة فى ذى القعدة فينزلون بيدر الصغرى فى كل سنة مرة وإنهم قدموا بعد وقعة أحد ، وكان أصاب المؤمنين القرع واشتكوا ذلك إلى النبي ﷺ واشتد عليهم الذى أصابهم وإن رسول الله ﷺ نذب الناس لينطلقوا معه ويتبعوا ما كانوا متبعين وقال « إنما يرتحلون الآن فىأتون الحج ولا يقدر على مثلها حتى عام مقبل » فجاء الشيطان يخوف أولياءه فقال : إن الناس قد جمعوا لكم ، فأبى عليه الناس أن يتبعوه وقال « إني ذاهب وان لم يتبعنى أحد لأحضض الناس » فانتدب معه الصديق وعمر وعثمان وعلى والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح فى سبعين رجلا فساروا فى طلب أبي سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله تعالى ( الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع ) الآية . ثم قال ابن إسحق فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فأقام بها الاثنتين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة ، وقد مر به كما حدثني عبد الله بن أبي بكر معبد بن أبي معبد الخزاعى وكانت خزاعة مسلمهم ومشرکهم عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ، ومعبد يومئذ كان مشركا فقال : يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك فى أصحابك ولوددنا أن الله عافاك فيهم ثم خرج رسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى لقي أباسفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا: أصبنا محمداً وأصحابه وقادتهم وأشرفهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟ لنكرن على بقيتهم ثم لفرغن منهم ، فلما رأى أبوسفيان معبدا قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال محمد وأصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله يتحرقون عليكم تحرقا ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على ما صنعوا ، فهم من الحنق عليكم بشيء لم أر مثله قط قال : وملك ماتقوله قال والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصى الحيل قال فوالله لقد أجمعنا الكفرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فإني أنهارك عن ذلك والله لقد حملنى مارأيت على أن قلت فيهم أبياتا من شعر قال وما قلت : قال قلت

كادت تهدي من الأصوات راحتي \* إذ سالت الأرض بالجرود الأبايل \* تردى بأسد كرام لاتنابلة  
عند اللقاء ولا ميل معازيل \* فظلت أعدواظن (٢) الأرض مائلة \* لما سموا برئيس غير مخذول

(١) فى نسخة الأزهر : عباس . (٢) وفيها : عدوا .

قفلت ويل ابن حرب من لقاءكم \* إذا تعظمت البطحاء بالخيول \* إني نذير لأهل السيل ضاحية  
 لكل ذي إربة منهم ومعقول \* من جيش أحمدا وخش تنابلة \* وليس يوصف ما أنذرت بالليل  
 قال فتنى ذلك أبا سفيان ومن معه ومر به ركب من عبدالقيس فقال أين تريدون ، قالوا نريد المدينة قال ولم ، قالوا نريد  
 الميرة ، قال فهل أتم مبلغون عنى محمدا رسالة أرسلكم بها اليه وأحمل لكم هذه غدا زيبيا بكاظ إذ وافيتمونا ، قالوا نعم  
 قال فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير اليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم فرأى الركب برسول الله ﷺ وهو  
 بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل . وذكر ابن هشام عن أبي  
 عبيدة قال : قال رسول الله ﷺ حين بلغه رجوعهم «والذي نفس بيده لقد سئمت لهم حجارة لو أصبحوا بها لكانوا  
 كأس الناهب» وقال الحسن البصرى في قوله (الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح) ان أبا سفيان وأصحابه  
 أصابوا من الساميين ما أصابوا ورجعوا فقال رسول الله ﷺ ان أبا سفيان قد رجع وقد قذف الله في قلبه الرعب فمن  
 ينتدب في طلبه فقام النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضوهم  
 فبلغ أبا سفيان أن النبي صلى الله عليه وسلم يطلبه فلقى عيرا من التجار فقال ردوا محمدا ولكم من الجمل كذا وكذا  
 وأخبروهم أنى قد جمعت جموعا وأتى راجع إليهم فجاء التجار فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال  
 النبي صلى الله عليه وسلم «حسبنا الله ونعم الوكيل» فأنزل الله هذه الآية ، وهكذا قال عكرمة وقتادة وغير واحد  
 ان هذا السياق نزل في شأن غزوة حمراء الأسد وقيل نزلت في بدر للموعود والصحيح الأول ، وقوله تعالى (الذين قال لهم الناس  
 إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا) الآية أى الذين توعدوهم الناس بالجموع وخوفوهم بكثرة الأعداء فما ا  
 كثر ثروا  
 لذلك بل توكلوا على الله واستعانوا به (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) وقال البخارى حدثنا أحمد بن يونس قال أراه  
 قال حدثنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين  
 ألقى في النار وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم  
 الوكيل . وقدرناه النسائي عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم وهرون بن عبدالله كلاهما عن يحيى بن أبي بكر عن أبي بكر وهو  
 ابن عياش به والعجب أن الحاكم أبا عبد الله رواه من حديث أحمد بن يونس به ثم قال صحيح الاسناد على شرط الشيخين  
 ولم يخرجاه ثم رواه البخارى عن أبي غسان مالك بن إسماعيل عن إسرائيل عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس قال :  
 كان آخر قول إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار : حسبنا الله ونعم الوكيل وقال عبدالرزاق قال ابن عيينة وأخبرني  
 زكريا عن الشعبي عن عبد الله بن عمرو قال : هي كلمة إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار رواه ابن جرير وقال أبو بكر بن  
 مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا إبراهيم بن موسى الثورى حدثنا عبدالرحيم بن محمد بن زياد السكبرى أنبأنا أبو بكر بن  
 عياش عن حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قيل له يوم أحد إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فأنزل  
 الله هذه الآية وروى أيضا بسنده عن محمد بن عبدالله الراعى عن أبيه عن جده أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 وجه عليا في نفر معه في طلب أبي سفيان فلقبهم أعرابي من خزاعة فقال ان القوم قد جمعوا لكم فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل  
 فنزلت فيهم هذه الآية ثم قال ابن مردويه حدثنا دعلج بن أحمد حدثنا الحسن بن سفيان أنبأنا أبو خزيمة بن مصعب بن سعد  
 أنبأنا موسى بن أعين عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «إذا وقعت في الأمر  
 العظيم فقولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل» هذا حديث غريب من هذا الوجه - وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حيوة بن  
 شريح وإبراهيم بن أبي العباس قالوا : حدثنا بقية حدثنا يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن سيف بن عوف بن مالك أنه  
 حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بين رجلين فقال للقضى عليه لما أدبر : حسبي الله ونعم الوكيل ، فقال النبي  
 ﷺ «ردوا على الرجل» فقال «ما قلت؟» قال قلت حسبي الله ونعم الوكيل «فقال النبي ﷺ «إن الله يلوم على العجز  
 ولكن عليك بالكيس فإذا غلقتك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل» وكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث بقية عن  
 يحيى بن خالد عن سيف وهو الشامي ولم ينسب عن عوف بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه - وقال الإمام

أحمد حدثنا أسباط حدثنا مطرف عن عطية عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحتى جهته يستمع متى يؤمر فينفخ » فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما تقول ؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وقد روى هذا من غير وجه وهو حديث جيد وقدرونا عن أم<sup>(١)</sup> المؤمنين زينب وعائشة رضی الله عنهما أنهما تفاخرتا فقالت زينب زوجي الله وزوجكن أهاليكن وقالت عائشة نزلت براءتي من السماء في القرآن فسامت لها زينب ثم قالت كيف قلت حين ركبت راحلة صفوان بن المعطل قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت زينب قلت كلمة المؤمنين ولهذا قال تعالى ( فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ) أي لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم ورد عنهم بأس من أراد كيدهم فرجعوا إلى بلدهم ( بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ) مما أضرهم عدوهم ( واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ) وقال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو بكر بن داود الزاهد حدثنا محمد بن نعيم حدثنا بشر بن الحكم حدثنا مبشر بن عبد الله بن رزين حدثنا سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله ( فاقبلوا بنعمة من الله وفضل ) قال النعمة أنهم سلموا والفضل أن غير أمرت في أيام الموسم فاشترها رسول الله ﷺ فربح فيها مالا قسمه بين أصحابه وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد في قول الله تعالى ( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ) قال هذا أبو سفيان قال لمحمد صلى الله عليه وسلم موعدهم بدر حيث قتلتم أصحابنا فقال محمد ﷺ « عسى » فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعده حتى نزل بدرًا فوافقوا السوق فيها فابتاعوا فذلك قول الله عز وجل ( فاقبلوا بنعمة الله وفضل لم يمسسهم سوء ) الآية قال وهي غزوة بدر الصغرى رواه ابن جرير وروى أيضا عن القاسم عن الحسين عن حجاج عن ابن جريج قال لما عمد رسول الله ﷺ لموعده أبي سفيان فجعلاو يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يكيدونهم بذلك يريدون أن يربوهم فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى قدموا بدرًا فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعهم فيها أحد قال فقدم رجل من المشركين فأخبر أهل مكة بخيل محمد وقال في ذلك

نشرت قلوصى من خيول محمد  
وعجوة مشورة كالعنجد  
واتخذت ماء قديد موعدى

قال ابن جرير هكا أنشدنا القاسم وهو خطأ إنما هو

ند نشرت من رفقى محمد  
فهى على دين أبيها الأتلد  
قد جعلت ماء قديد موعسد  
وماء ضجان لها ضحى الغد

ثم قال تعالى ( إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ) أى يخوفكم أولياءه ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة قال الله تعالى ( فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ) إذا سول لكم وأوهمكم فتوكلوا على والجاؤا إلى فاني كافيكم وناصركم عليهم كما قال تعالى ( أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ) إلى قوله ( قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ) وقال تعالى ( فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا ) وقال تعالى ( أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ) وقال ( كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ) وقال ( ولينصرن الله من ينصره ) وقال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ) الآية وقال تعالى ( إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار )

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يَسِرُّونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزَابًا فِي الْآخِرَةِ  
وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* وَلَا يَحْسَبَنَّ

(١) الظاهر أن يقال : عن أم المؤمنين بالتثنية .

الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُنَبِّئُ لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُنَبِّئُ لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ \* مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَنَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ \* وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ ( ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ) وذلك من شدة حرصه على الناس كان يحزنه مبادرة الكفار إلى المخالفة والعناد والشقاق ، فقال تعالى : ولا يحزنك ذلك ( إنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة ) أى حكمته فيهم أنه يريد بمشيئته وقدرته أن لا يجعل لهم نصيبا في الآخرة ( ولهم عذاب عظيم ) : ثم قال تعالى مخبرا عن ذلك إخبارا مقررأ ( إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان ) أى استبدلوا هذا بهذا ( لن يضروا الله شيئا ) أى ولكن يضرون أنفسهم ( ولهم عذاب أليم ) ؛ ثم قال تعالى ( ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خيرا لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين ) كقوله ( أيجسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ) وكقوله ( فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ) وكقوله ( ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهد أنفسهم وهم كافرون ) . ثم قال تعالى ( ما كان الله ليدر المؤمنين على ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ) أى لا بد أن يعقد شيئا<sup>(١)</sup> من الخطة ، يظهر فيه وليه ويفضح به عدوه . يعرف به المؤمن الصابر ، والنافق الفاجر ، يعنى بذلك يوم أحد الذى امتحن الله به المؤمنين ، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ورسوله ﷺ ، وهتك به ستار المنافقين . فظهر مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد وحياتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى ( ما كان الله ليدر المؤمنين على ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ) قال مجاهد : ميز بينهم يوم أحد ، وقال قتادة : ميز بينهم بالجهاد والهجرة ، وقال السدى : قالوا إن كان محمد صادقا فيخبرنا عمن يؤمن به منا ومن يكفر به فأنزل الله تعالى ( ما كان الله ليدر المؤمنين على ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ) أى حتى يخرج المؤمن من الكافر روى ذلك كله ابن جرير - ثم قال تعالى ( وما كان الله ليطلعكم على الغيب ) أى أتم لا تعلمون غيب الله في خلقه حتى يميز لكم المؤمن من المنافق لولا ما يعقده من الأسباب الكاشفة عن ذلك . ثم قال تعالى ( ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ) كقوله تعالى ( عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا \* إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ) ثم قال تعالى ( فآمنوا بالله ورسوله ) أى أطيعوا الله ورسوله واتبعوه فيما شرع لكم ( وإن تؤمنوا وتتقوا فلکم أجر عظيم ) . وقوله تعالى ( ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ) أى لا يحسبن البخل أن جمعه المال ينفعه بل هو مضرة عليه في دينه ، وربما كان في دنياه . ثم أخبر بما أمر ماله يوم القيامة فقال سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ) ، قال البخارى : حدثنا عبد الله بن منير سمع أبا النضر حدثنا عبد الرحمن هو ابن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، يأخذ بلهزمتيه - يعنى بشدقيه - ثم يقول أنا مالك أنا كنزك » ثم تلا هذه الآية ( ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم ) إلى آخر الآية : تفرد به البخارى دون مسلم من هذا الوجه ، وقد رواه بن حبان في صحيحه من طريق الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح به

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « إن الذي لا يؤدي زكاة ماله يمثل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيتان ثم يلزمه يطوقه يقول : أنا مالك أنا كنزك » وهكذا رواه النسائي عن الفضل بن سهل عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة ثم قال النسائي ورواية عبد العزيز عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أثبت من رواية عبد الرحمن بن أبيه عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة (قلت) ولا منافاة بين الروايتين ، فقد يكون عند عبد الله بن دينار من الوجهين والله أعلم ، وقد ساقه الحافظ أبو بكر بن مردويه من غير وجه عن أبي صالح عن أبي هريرة . ومن حديث محمد بن حميد (١) عن زياد الحطمي عن أبي هريرة به (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن جامع عن أبي وائل عن عبد الله بن دينار عن النبي ﷺ قال « مامن عبد لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له شجاع أقرع يتبعه (٢) يفر منه فيتبعه فيقول (٣) أنا كنزك » ثم قرأ عبد الله مصداقه من كتاب الله (سيطوقون ما يخلوها به يوم القيامة) وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن جامع بن أبي راشد ، زاد الترمذي وعبد الملك بن أعين كلاهما عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود به ، وقال الترمذي : حسن صحيح . وقد رواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي بكر بن عياش وسفيان الثوري كلاهما عن أبي إسحق السبيعي عن أبي وائل عن ابن مسعود به ورواه ابن جرير من غير وجه عن ابن مسعود موقوفاً . (حديث آخر) قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أمية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد بن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان عن النبي ﷺ قال « من ترك بعده كنزاً مثل له شجاعاً أقرع (٤) له زبيتان يتبعه فيقول : من أنت ويلك فيقول : أنا كنزك الذي خلقت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلغمه يده فيقضئها ثم يتبع سائر جسده » إسناده جيد قوى ولم يخرجوه . وقد رواه الطبراني عن جرير بن عبد الله البجلي ورواه ابن جرير وابن مردويه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال « لا يأتي الرجل مولاه فيسأله من فضل ماله عنده فيمنعه إياه إلا دعا له يوم القيامة شجاعاً يتلظ فضله الذي يمنع » لفظ ابن جرير وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن أبي قزعة عن رجل عن النبي ﷺ قال « مامن ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل جعله الله عنده فييخل به عليه إلا خرج له من جهنم شجاع يتلظ حتى يطوقه » ثم رواه من طريق أخرى عن أبي قزعة واسمه حجر بن بيان عن أبي مالك العبدى موقوفاً ، ورواه من وجه آخر عن أبي قزعة مرسلًا . وقال العوفي عن ابن عباس : نزلت في أهل الكتاب الذين يخلوها بما في أيديهم من الكتب المنزلة أن يبينوها ، رواه ابن جرير والصحيح الأول وإن دخل هذا في معناه ، وقد يقال إن هذا أولى بالدخول والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله تعالى (ولله ميراث السموات والأرض) أي (فأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) فإن الأمور كلها مرجعها إلى الله عز وجل . فقدموا من أموالكم ما ينفعكم يوم معادكم (والله بما تعملون خبير) أي بنياتكم وضامركم

﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فقيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَتَكُنَّ مَأْقَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ \* ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ \* الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَيْنَا الْأَلْتُمْنَا مِنْ رَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَنَا بَقْرٌ بَانَ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَاللَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* فَإِنْ كَذَّبْتُمْ فَقَدْ كُذِّبْتُمْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكُمْ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾

قال سعيد بن جبیر عن ابن عباس . لما نزل قوله تعالى ( من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ) قالت اليهود . يا محمد . افتقر ربك فسأل عباده القرض ؟ فأنزل الله ( لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء )

(١) فيها ابن أبي حمية (٢) وفيها : وهو يتبعه (٣) وفيها ويقول (٤) زاد فيها يوم القيامة .

الآية ؟ رواه ابن مردويه وابن أبي حاتم . وقال محمد بن إسحق : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس قال : دخل أبو بكر الصديق بيت المدراس (١) فوجد من يهودناسا كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص ، وكان من علمائهم وأخبارهم ، ومعه حبر يقال له أشيع فقال له أبو بكر : ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل . فقال فنحاص : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، ما نضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإناعنه لأغنياء ، ولو كان عنا غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطينا ، ولو كان غنياً ما أعطانا الربا ، فغضب أبو بكر رضى الله عنه فضرب وجهه فنحاص ضرباً شديداً ، وقال : والذى نفسى بيده لولا الذى بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين . فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد أبصر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله ﷺ « ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر » فقال : يا رسول الله إن عدو الله قال قولاً عظيماً ، يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه فوجد فنحاص ذلك وقال : ما قلت ذلك ، فأنزله الله فيما قال فنحاص (٢) ( لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ) الآية . رواه ابن أبي حاتم وقوله ( سنكتب ما قالوا ) تهديد ووعيد ، ولهذا قرنه تعالى بقوله ( وقتلهم الأنبياء بغير حق ) أى هذا قولهم فى الله ، وهذه معاملتهم رسل الله وسيجزئهم الله على ذلك شر الجزاء ولهذا قال تعالى ( وتقول ذوقوا عذاب الحريق \* ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ) أى يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً وتحقيراً وتصغيراً وقوله تعالى ( الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا يؤمن لرسول حتى يأتينا بقرآن تأكله النار ) يقول تعالى تكذيباً لهؤلاء الذين زعموا أن الله عهد إليهم فى كتبهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقة من أمته فتقبلت منه أن تنزل نار من السماء تأكلها . قاله ابن عباس والحسن وغيرهما . قال الله عز وجل ( قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات ) أى بالحجج والبراهين ( وبالذى قلتم ) أى وبنار تأكل القرابين المتقبلة . ( فلم تلتزمواهم ) أى فلم قابلتموهم بالتكذيب والمخالفة والمعاندة وقتلتموهم ( إن كنتم صادقين ) أنكم تتبعون الحق وتتقادون للرسول - ثم قال تعالى مسلماً لنبى محمد ﷺ ( فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير ) أى لا يوهنك تكذيب هؤلاءك ، فلك أسوة بمن قبلك من الرسل الذين كذبوا مع ما جاءوا به من البينات والحجج والبراهين القاطعة ( والزبر ) وهى الكتب المتلقاة من السماء كالصحف المنزلة على المرسلين ( والكتاب المنير ) أى الواضح الجلى

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتْعٌ الْفُرُورِ \* لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

يخبر تعالى إخباراً عاماً يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت كقوله تعالى ( كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ) فهو تعالى وحده الحى الذى لا يموت والجن والانس يموتون وكذلك الملائكة وحملة العرش وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء فيكون آخرها كما كان أولاً وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت فإذا انقضت المدة وفرغت النطفة التى قدر الله وجودها من صلب آدم وانتهت البرية أقام الله القيامة وجازى الخلاق بأعمالها جليلها وحقيرها كثيرها وقليلها كبيرها وصغيرها فلا يظلم أحداً مثقال ذرة ولهذا قال تعالى ( وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ) قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد العزيز الأويسى حدثنا على بن أبى على الهاشمى عن جعفر بن محمد على بن الحسين عن أبيه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ( كل نفس

ذاتمة الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ) إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبأنه فتقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، قال جعفر بن محمد فأخبرني أبي أن علي بن أبي طالب قال أتمدرون من هذا ؟ هذا الخضر عليه السلام . وقوله ( فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ) أي من جنب النار ونجا منها وأدخل الجنة فقد فاز كل الفوز قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرءوا إن شئتم ( فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ) » هذا حديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه بدون هذه الزيادة : وقد رواه بدون هذه الزيادة أبو حاتم وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدرکه من حديث محمد بن عمرو . هذا ورواه ابن مردويه من وجه آخر فقال : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن يحيى أنبأنا حميد بن مسعدة أنبأنا عمرو بن طي عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها » قال ثم تلا هذه الآية ( فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ) وتقدم عند قوله تعالى ( ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ) ما رواه وكيع بن الجراح في تفسيره عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه » وقد رواه الإمام أحمد في مسنده عن وكيع به وقوله تعالى ( وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ) تصغير لشأن الدنيا ، وتحقير لأمرها ، وأنها دينية فانية قليلة زائلة كما قال تعالى ( بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ) وقال ( وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله خير وأبقى ) وفي الحديث « والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه في المم فلينظر بجم ترجع إليه » وقال قتادة في قوله تعالى ( وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ) قال : هي متاع متروكة أو شئت والله الذي لا إله إلا هو أن تضمحل عن أهلها ، فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ولا قوة إلا بالله وقوله تعالى ( لتبؤن في أموالكم وأنفسكم ) كقوله تعالى ( ولتبؤنكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ) إلى آخر الآيتين . أي لا بد أن يبئلى المؤمن في شيء من ماله أو نفسه أو ولده أو أهله ويبئلى المؤمن على قدر دينه ، فإن كان في دينه صلاة زيد في البلاء ( ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ) تمول تعالى للمؤمنين عند مقدمهم المدينة قبل وقعة بدر مسلماً لهم عما ينالهم من الأذى من أهل الكتاب والمشركين وآسراً لهم بالصفح والصبر والعفو حتى يفرج الله فقال تعالى ( وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره قال : كان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ، ويصبرون على الأذى قال الله تعالى ( ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ) قال : وكان رسول الله ﷺ يتأول في العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم ، هكذا ذكره مختصراً . وقد ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية مطولاً فقال : حدثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد حدثه أن رسول الله ﷺ ركب على حمار عليه قطيفة فدية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عباد بن الحارث بن الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول ، وذلك قبل أن يسلم ابن أبي (١) وإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان وأهل الكتاب اليهود والمسلمين ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة حمر عبد الله بن أبي أنه بردائه وقال : لا تعبروا علينا ، فسلم رسول الله ﷺ ، ثم وقف ، فنزل ودعاهم إلى الله عز وجل وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله بن أبي أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا . ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه ، فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بلى يا رسول الله فاعشنا به في مجالسنا فإننا نحب ذلك ، فاستب المسلمون والمشركون واليهود

(١) أي قبل أن يظهر الإسلام كما قال القسطلاني وغيره فهو رأس المنافقين

حتى كادوا يتناورون ، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا ، ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي ﷺ « يا سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب » يريد عبد الله بن أبي ، قال كذا وكذا فقال سعد يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاءك الله بالحق الذي نزل عليك ، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصاة فلما أتى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك ، فذلك الذي فعل به ما رأيت ، فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى قال الله تعالى ( ولتسمعن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ) الآية - وقال تعالى ( وكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ) الآية وكان النبي ﷺ يتأول في العفو ما أمره الله به حتى أذن الله له فيهم ، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرآ فقتل الله به صناديد كفار قريش ، قال عبد الله بن أبي ابن ساول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان : هذا أمر قد توجه فبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على الإسلام فبايعوا وأسلموا - فكل من قام بحق أو أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر فلا بد أن يؤذى فما له دواء إلا الصبر في الله ، والاستعانة بالله . والرجوع إلى الله

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ \* لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأن ينهوا بذكره في الناس فيكونوا على أهبة من أمره ، فإذا أرسله الله تابعوه ، فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف ، والحظ الدنيوي السخيف ، فبئست الصفقة صفقتهم ، وبئست البيعة بيعتهم . وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيهم ما أصابهم ، ويسلك بهم مسلكهم فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع ، الدال على العمل الصالح ، ولا يكتموا منه شيئاً ، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من سئل عن علم فكتمه أجمع يوم القيامة بلجام من نار » وقوله تعالى ( لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ) الآية ، يعني بذلك المرائين المتكبرين بما لم يعطوا كما جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم « من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزد الله إلا قلة » وفي الصحيحين أيضاً « المتشعب بما لم يعط كلابس ثوبي زور » وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن مروان قال : اذهب يا رافع لبوابه إلى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لعذب بن أجمعين فقال ابن عباس مالكم وهذه ، إنما نزلت هذه في أهل الكتاب ، ثم تلا ابن عباس ( وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترُونَ \* لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ) الآية . وقال ابن عباس : سألم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموا إياه وأخبروه بغيره فخرجوا قد أرواه أن قد أخبروه بما سألمهم عنه ، واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أتوا من كتابهم ما سألمهم عنه ، وهكذا رواه البخاري في التفسير ومسلم والترمذي والنسائي في تفسيرهما ، وابن أبي حاتم ، وابن خزيمة ، والحاكم في مستدرکه وابن مردويه ، كلهم من حديث عبد الملك بن جريج بنحوه . ورواه البخاري أيضاً من حديث ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن علقمة بن وقاص أن مروان قال لبوابه : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فذكره - وقال البخاري : حدثنا سعيد بن

أبي مريم أنبأنا محمد بن جعفر حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري : أن رجلا من المناقبين في عهد رسول الله ﷺ كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتدروا إليه وحلفوا ، وأحبوا أن يحمدا بما لم يفعلوا ، فنزلت ( لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا ) الآية وكذا رواه مسلم من حديث ابن أبي مريم بنحوه وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث الليث بن سعد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال : قال أبو سعيد ورافع بن خديج وزيد بن ثابت : كنا عند مروان فقال : يا أبا سعيد أ رأيت قوله تعالى ( لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا ) ونحن نفرح بما أتينا ونحب أن نحمد بما لم نفعل ؟ فقال أبو سعيد : إن هذا ليس من ذلك ، إنما ذلك أن ناسا من المناقبين يتخلفون إذا بعث رسول الله ﷺ بعثا ، فإن كان فيهم نسكة فرحوا بتخلفهم ، وإن كان لهم نصر من الله وفتح حلفوا لهم ليرضوهم ويحمداهم على سرورهم بالنصر والفتح ، فقال مروان : أين هذا من هذا ؟ فقال أبو سعيد : وهذا يعلم هذا ؟ فقال مروان : أ كذلك يازيد ؟ قال نعم صدق أبو سعيد : ثم قال أبو سعيد ، وهذا يعلم ذلك - يعني رافع بن خديج ولكنه يخشى إن أخبرك أن تنزع قلائصه في الصدقة ، فلما خرجوا قال زيد لأبي سعيد الخدري : ألا تحمدني على ما شهدت لك ؟ فقال له أبو سعيد : شهدت الحق فقال زيد : أولا تحمدني على ما شهدت الحق ؟ ثم رواه من حديث مالك عن زيد بن أسلم عن رافع بن خديج أنه كان هو وزيد بن ثابت عند مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة ، فقال مروان : يا رافع في أي شيء نزلت هذه الآية ؟ فذكره كما تقدم عن أبي سعيد رضي الله عنهم ، وكان مروان يبعث بعد ذلك يسأل ابن عباس كما تقدم ؟ فقال له ما ذكرناه : ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس وما قاله هؤلاء لأن الآية عامة في جميع ما ذكر والله أعلم وقد روى ابن مردويه أيضا من حديث محمد بن عتيق وموسى بن عقبة عن الزهري عن محمد بن ثابت الأنصاري أن ثابت بن قيس الأنصاري قال : يا رسول الله والله لقد خشيت أن أكون هلكت قال « لم ؟ » قال ، نهى الله المرء أن يحب أن يحمدا بما لم يفعل وأجدني أحب الحمد ، ونهى الله عن الخيلاء وأجدني أحب الجمال : ونهى الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا امرؤ جهير الصوت ، فقال رسول الله ﷺ « أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة » فقال بلى يا رسول الله فعاش حميدا وقتل شهيدا يوم مسيامة الكذاب - وقوله تعالى ( فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ) يقر بالثناء على مخاطبة المفرد ، وبالثناء على الاخبار عنهم أي لا تحسب أنهم ناجون من العذاب ، بل لا بد لهم منه ، ولهذا قال تعالى ( ولهم عذاب أليم ) ثم قال تعالى ( والله ملك السموات والأرض ، والله على كل شيء قدير ) أي هو مالك كل شيء ، والقادر على كل شيء فلا يعجزه شيء ، فهابوه ولا تحالفوه ، واحذروا غضبه وبقمته ، فإنه العظيم الذي لا أعظم منه القدير الذي لا أقدر منه

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ \* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ قِيَمًا عَذَابَ النَّارِ \* رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنصَارٍ \* رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ \* رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾

قال الطبراني : حدثنا الحسين بن إسحاق التستري حدثنا يحيى الحماني حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي الغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أتت قريش اليهود فقالوا : به جاءكم موسى ؟ قالوا عصاه ويده يضاء للناظرين وأتوا النصراني

فقالوا كيف كان عيسى؟ قالوا كان يرى الأكمة والأبرص ويحي الموتى فأتوا النبي ﷺ فقالوا : ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهباً ، فدعا ربه فنزلت هذه الآية ( إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الألباب ) فليستفكروا فيها . وهذا مشكل ، فان هذه الآية مدنية . وسؤالهم أن يكون الصفا ذهباً كان بمكة والله أعلم ومعنى الآية أن الله تعالى يقول ( إن في خلق السموات والأرض ) أى هذه في ارتفاعها واتساعها ، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتساعها . وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارت ، وثوابت وبحار ، وجبال وقفار وأشجار ونبات وزروع وثمار وحيوان ومعادن ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص ( واختلاف الليل والنهار ) أى تعاقبهما وتعارضهما الطول والقصر . فتارة يطول هذا ويقصر هذا . ثم يعتدلان ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذى كان قصيراً ، ويقصر الذى كان طويلاً وكل ذلك تقدير العزيز العليم . ولهذا قال تعالى ( آيات لأولى الألباب ) أى العقول التامة الزكية التى تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها . وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون ، الذين قال الله فيهم ( وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون \* وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ) ثم وصف تعالى أولى الألباب فقال ( الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ) كما ثبت فى الصحيحين عن عمران بن حصين : أن رسول الله ﷺ قال « صل قائماً ، فان لم تستطع فقاعداً ، فان لم تستطع فعلى جنبك » أى لا يقطعون ذكره فى جميع أحوالهم بسرائرهم وضائرهم وألسنتهم ( ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ) أى يفهمون ما فيها من الحكمة الدالة على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته واختياره ورحمته . وقال الشيخ أبو سليمان الداراني : إنى لأخرج من منزلى فما يقع بصرى على شئ إلا رأيت لله على فيه نعمة ولى فيه عبرة . رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب التوكل والاعتبار . وعن الحسن البصرى أنه قال : تفكر ساعة خير من قيام ليلة . وقال الفضيل : قال الحسن الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وقال سفیان بن عيينة : الفكرة نور يدخل قلبك وربما تمثل بهذا البيت :

إذا المرء كانت له فكرة \* ففي كل شئ له عبرة

وعن عيسى عليه السلام أنه قال : طوبى لمن كان قلبه تذكراً . وصمته تفكراً ونظره عبرة . قال لقمان الحكيم : إن طول الوحدة أهم للفكرة ، وطول الفكرة دليل على طرق باب الجنة . وقال وهب بن منبه : ما طالت فكرة امرئ قط إلا فهم ، ولا فهم امرؤ قط إلا علم ، ولا علم امرؤ قط إلا عمل . وقال عمر بن عبدالعزيز : الكلام بذكر الله عز وجل حسن . والفكرة فى نعم الله أفضل العبادة . وقال مغيث الأسود : زوروا القبور كل يوم تفكركم . وشاهدوا الموقف بقلوبكم . وانظروا إلى النصارى بالفريقتين إلى الجنة أو النار . وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامها وأطباقها . وكان يبكى عند ذلك حتى يرفع صريعا من بين أصحابه قد ذهب عقله . وقال عبد الله بن المبارك : مر رجل براهب عند مقبرة ومزبلة فناداه فقال : ياراهب إن عندك كزبين من كنوز الدنيا لك فيهما معتبر . كنز الرجال وكنز الأموال . وعن ابن عمر : أنه كان إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتى الخربة فيقف على بابها فينادى بصوت حزين فيقول : أين أهلك؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول : ( كل شئ هالك إلا وجهه ) وعن ابن عباس أنه قال : ركعتان مقتصدتان فى تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه . وقال الحسن البصرى : يا ابن آدم كل فى ثلث بطنك . واشرب فى ثلثه . ودع ثلثه الآخر تنشف للفكرة . وقال بعض الحكماء : من نظر إلى الدنيا بغير العبرة انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة . وقال بشر بن الحارث الحافى : لو تفكر الناس فى عظمة الله تعالى لما عصوه . وقال الحسن بن عمرو بن عبد قيس قال : سمعت غير واحد ولاثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ يقولون : إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكير . وعن عيسى عليه السلام أنه قال : يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيث ما كنت . وكن فى الدنيا ضعيفاً . واتخذ للمساجد بيتاً . وعلم عينيك البكاء . وجسدك الصبر وقلبك الفكر ولا تهتم برزق غد . وعن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه بكى يوماً بين أصحابه فسئل عن ذلك ، فقال فكرت فى الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بهما تكاد شهواتها تنقض حتى تكدرها مرارتها ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواضع لمن ادكر . وقال ابن أبي الدنيا : أئندرنى الحسين بن عبد الرحمن :

نزهة المؤمن الفكر \* لذة المؤمن العبر  
 رب لاه وعمره \* قد تقضى وما شعر  
 في خير من العيو \* ن وظل من الشجر  
 غيرته وأهله \* سرعة الدهر بالغير  
 نحمد الله وحده \* نحن كل على خطر  
 رب عيش قد كان فو \* قى الموق الزهر  
 وسرور من النبا \* وتطيب من الثمر  
 نحمد الله وحده \* إن فى ذا لمعتبر  
 إن فى ذا لعبرة \* لليب إن اعتبر

وقد ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته فقال : ( وكأين من آية فى السموات والأرض يمدحونها وهم عنها معرضون \* وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ) ومدح عباده المؤمنين ( الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ) قائلين ( ربنا ما خلقت هذا باطلا ) أى ما خلقت هذا الخلق عبثا ، بل بالحق لتجزى الذين أساءوا بما عملوا ، وتجزى الذين أحسنوا بالحسن . ثم زهوه عن العبث وخلق الباطل فقالوا ( سبحانك ) أى عن أن تخلق شيئا باطلا ( فقنا عذاب النار ) أى يامن خلق الخلق بالحق والعدل ؛ يامن هو منزّه عن النقائص والعيب والعبث . قنا من عذاب النار بحولك وقوتك وقضينا لأعمال ترضى بها عنا . ووفقتنا لعمل صالح تهدينا به إلى جنات النعيم . وتجيرنا به من عذابك الأليم . ثم قالوا ( ربنا إنك من تدخل النار فقد أخصيت ) أى أهنته وأظهرت خزيبه لأهل الجمع ( وما للظالمين من أنصار ) أى يوم القيامة لا يجيرهم منك . ولا محيد لهم عما أردت بهم ( ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان ) أى داعيا يدعو إلى الإيمان . وهو الرسول ﷺ ( أن آمنوا بربكم فآمنوا ) أى يقول آمنوا بربكم فآمنوا أى فاستجبنا له واتبعناه أى بإيماننا واتباعنا نبيك ( ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ) أى استرها ( وكفر عنا سيئاتنا ) فيما بيننا وبينك ( وتوفنا مع الأبرار ) أى ألحقنا بالصالحين ( ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ) قيل : معناه على الإيمان برسلك ، وقيل : معناه على السنة رسلك . وهذا أظهر - وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمرو بن محمد عن أبي عقيل عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عسقلان أحد العروسين يبعث الله منها يوم القيامة سبعين ألفا لأحساب عليهم ويبعث منها خمسين ألفا لشهداء وفود إلى الله ، وبها صفوف الشهداء رؤوسهم مقطعة فى أيديهم تشج أوداجهم دما يقولون : ( ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف اليعاد ) فيقول الله : صدق عبيدى اغسلوهم بنهر البيضة . فيخرجون منه نقاء بيضا . فيسرحون فى الجنة حيث شاءوا » وهذا الحديث يعد من غرائب المسند ، ومنهم من يجعله موضوعا والله أعلم ( ولا تخزنا يوم القيامة ) أى على رءوس الخلائق ( إنك لا تخلف اليعاد ) أى لا بد من اليعاد الذى أخبرت عنه رسلك وهو القيام يوم القيامة بين يديك : وقد قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا الحافظ أبو شريح (١) حدثنا المعتبر حدثنا الفضل بن عيسى حدثنا محمد بن المنكدر أن جابر بن عبد الله حدثه أن رسول الله ﷺ قال « العار والتخزية تبلغ من ابن آدم فى القيامة فى المقام بين يدي الله عز وجل ما يتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار » حديث غريب . وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهدئه فقال البخارى رحمه الله : حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا محمد بن جعفر أخبرنى شريك بن عبد الله ابن أبى نمر عن كريب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بت عند خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد : فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال : ( إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبواب ) الآيات . ثم قام فتوضأ واستن . ثم صلى إحدى عشرة ركعة . ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح . وهكذا رواه مسلم عن أبى بكر بن إسحق الصنعانى عن ابن أبى مريم به ثم رواه البخارى من طرق عن مالك عن مخزومة بن سليمان عن كريب أن ابن عباس أخبره أنه بات عند ميمونة تزوج النبي صلى الله عليه وسلم وهى خالته قال : فاضطجعت فى عرض الوسادة ، واصطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله فى طولها ، فان رسول الله ﷺ حتى انتصف ذالليل أوقبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من منامه فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده . ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام إلى شن معلقة

(١) فى نسخة الأزهر : الحارث بن شريح ولم نجد هذا ولا ذلك .



انذني لي أتعبد لربي » قالت إني لأحب قربك وأحب هوالك، قالت فقام إلى قرية في البيت فإكثر صب الماء، ثم قام فقرأ القرآن ثم بكى حتى رأيت أن دموعه قد بلغت حقويه ؛ قالت ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه، ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت حجره قالت ثم انكأ على جنبه الأيمن ووضع يده تحت خده، قالت ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت الأرض فدخل عليه بلال فأذنه بصلاة الفجر ثم قال الصلاة يارسول الله فلما رآه بلال يبكي قال يارسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال « يا بلال أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ وما لي لا أبكي وقد نزل على الليلة ( إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الأبواب ) إلى قوله ( سبحانك فقنا عذاب النار - ثم قال - ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها ) وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه عن عمران بن موسى عن عثمان بن أبي شيبة عن يحيى بن زكريا عن إبراهيم بن سويد النخعي عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء قال دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فذكر نحوه وهكذا رواه عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا في كتاب التفرغ والاعتبار عن شجاع بن أشرس به ثم قال: حدثني الحسن بن عبد العزيز: سمعت سنيدياً يذكر عن سفيان هو الثوري رفعه قال « من قرأ آخر آل عمران فلم يتفكر فيها يله » يعد بأصابعه عشرة - قال الحسن بن عبد العزيز فأخبرني عبيد بن السائب قال: قيل للأوزاعي ما غاية التفكر فيهن؟ قال: يقرؤهن وهو يعقلهن . قال ابن أبي الدنيا . وحدثني قاسم بن هاشم حدثنا علي بن عياش حدثنا عبد الرحمن بن سليمان قال: سألت الأوزاعي عن أدنى ما يتعلق به المتعلق من الفكر فيهن وما ينجي من هذا الويل؟ فأطرق هنيهة ثم قال: يقرؤهن وهو يعقلهن ( حديث آخر ) فيه غرابة. قال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الرحمن بن بشير بن ميمر حدثنا إسحاق بن إبراهيم البستي ( ح ) قال وحدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد حدثنا أحمد بن عمرو قال أنبأنا هاشم بن عمار أنبأنا سليمان بن موسى الزهري أنبأنا مظاهر بن أسلم الخزومي أنبأنا سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال ، كان رسول الله ﷺ يقرأ عشر آيات من آخر سورة آل عمران كل ليلة . مظاهر بن أسلم ضعيف

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَأَلَّزِمْنَا بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ وَوَعَدْنَا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ ﴾

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿

يقول تعالى ( فاستجاب لهم ربهم ) أي فأجابهم ربهم كما قال الشاعر :

وداع دعا : يامن يجيب إلى النداء فلم يستجبه عند ذلك محجب

قال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن سلمة رجل من آل أم سلمة قال: قالت. أم سلمة يا رسول الله لا نسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء . فأنزل الله تعالى ( فاستجاب لهم ربهم أي لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ) إلى آخر الآية . وقالت الأنصار هي أول ظئفة قدمت علينا ، وقد رواه الحاكم في مستدركه من حديث سفيان ابن عيينة . ثم قال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وقد روى ابن أبي نجیح عن مجاهد عن أم سلمة قالت: آخر آية نزلت هذه الآية . ( فاستجاب لهم ربهم أي لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ) إلى آخرها . رواه ابن مردويه ، ومعنى الآية أن المؤمنين ذوى الأبواب لما سألوها ما سألوها مما تقدم ذكره فاستجاب لهم ربهم عقب ذلك بفاء التعقيب كما قال تعالى ( وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان . فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ) وقوله تعالى ( أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ) هذا تفسير للإجابة أى قال لهم مخبراً (١) أنه لا يضيع عمل عامل منكم (٢) لديه ، بل يوفى كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أنثى وقوله ( بعضكم من بعض ) أى جميعكم فى ثوابى سواء ( فالذين هاجروا ) أى تركوا دار الشرك وأتوا إلى دار الإيمان وهاجروا الأحباب والإخوان والحلان والجيران ( وأخرجوا من ديارهم ) أى ضايقتهم الشركون بالأذى حتى ألقواهم إلى الخروج من بين أظهرهم ولهذا قال ( وأودوا فى سبيلى ) أى إنما كان ذنبهم إلى الناس أنهم آمنوا بالله وحده كما قال تعالى ( يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ) وقال تعالى ( وما تموموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد )

(١) فى نسخة الأزهر : مجيباً لهم (٢) الظاهر أن يقول : منهم أو تحذف كما فى نسخة الأزهر

وقوله تعالى ( وقاتلوا وقتلوا ) وهذا أعلى المقامات أن يقاتل في سبيل الله فيعقر جواده ويعفر وجهه بدمه وترابه ، وقد ثبت في الصحيحين أن رجلا قال يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر ، أي كفر الله عنى خطاياي ؟ قال « نعم ؟ ثم قال كيف قلت » فأعاد عليه ما قال . فقال « نعم . إلا الذي قاله لي جبريل آنفا » ولهذا قال تعالى ( لا كفرن عنهم سياتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ) أي تجري في خلالها الأنهار من أنواع المشارب من لبن وعسل وخمر وماء غير آسن وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقوله ( ثوابا من عند الله ) أضافه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم لأن العظيم الكريم لا يعطى إلا جزئيا كثيرا كما قال الشاعر :

إن يعذب يكن غراما وإن يهـ ط جزئلا فانه لا يبالي

وقوله تعالى ( والله عنده حسن الثواب ) أي عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحا . قال ابن أبي حاتم ذكر عن دحيم بن إبراهيم قال حدثنا الوليد بن مسلم أخبرني جرير بن عثمان أن شداد بن أوس كان يقول أيها الناس لا تهموا الله في قضائه فانه لا يبغي على مؤمن ، فإذا أنزل بأحدكم شيئا مما يحب فليحمد الله وإذا أنزل به شيئا مما يكره فليصبر وليحتسب فان الله عنده حسن الثواب

﴿ لَا يُغْرَبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ \* مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبئس الْمِهَادُ \* لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾

يقول تعالى لا تنظر إلى ما هؤلاء الكفار مترفون فيه من النعمة والغبطة والسرور ، فعما قليل يزول هذا كله عنهم ويصبحون مرتين بأعمالهم السيئة ، فإنما عدلهم فيهم فيه استدراجا وجميع ما هم فيه (متاع قليل ثم ما لهم جهنم وبئس المهاد) وهذه الآية كقوله تعالى ( ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغفر لك تقلبهم في البلاد ) وقال تعالى ( إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون \* متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ) وقال تعالى ( تمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ) وقال تعالى ( فهل الكافرين أمهلهم رويدا ) أي قليلا وقال تعالى ( أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن تمتعنا متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ) وهكذا لما ذكر حال الكفار في الدنيا وذكر أن ما لهم إلى النار قال بعده ( لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلنا من عند الله وما عند الله خير للابرار ) وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن نصر حدثنا أبو طاهر سهل بن عبد الله أنبأنا هشام بن عمار أنبأنا سعيد أنبأنا يحيى أنبأنا عبيد الله ابن الوليد الرصافي عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال « إنما سموا الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء ، كما أن لوالديك عليك حقا كذا لولدك عليك حق » كذا رواه ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو ابن العاص مرفوعا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عيسى بن يونس عن عبد الله بن الوليد الرصافي عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمرو وقال إنما سماهم الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق ، وهذا أشبه والله أعلم . ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام الدستوائي عن رجل عن الحسن قال الأبرار الذين لا يؤذون الدر . وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن خثمة عن الأسود قال : قال عبد الله يعني ابن مسعود ما من نفس بررة ولا فاجرة إلا الموت خير لها لأن كان برا لقد قال الله تعالى ( وما عند الله خير للابرار ) وكذا رواه عبد الرزاق عن الثوري عن الأعمش به وقرأ ( ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملئ لهم خيرا لأنفسهم إنما نملئ لهم ليزدادوا إيما ولهم عذاب مهين ) وقال ابن جرير حدثني المشي حدثنا إسحاق حدثنا ابن أبي جعفر عن نوح بن فضالة عن لقمان عن أبي الدرداء أنه كان يقول ما من مؤمن إلا والموت خير له ، وما من كافر إلا والموت خير له ، ومن لم يصدقني فإن الله يقول ( وما عند الله خير للابرار ) ويقول ( ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملئ لهم خيرا لأنفسهم إنما نملئ لهم ليزدادوا إيما ولهم عذاب مهين )

﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشَعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ

بَيَّاتِ اللَّهُ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْ لَتَيْكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا  
وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿

يخبر تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان ويؤمنون بما أنزل على محمد مع ما هم مؤمنون به من الكتب المتقدمة وأنهم خاشعون لله أى مطيعون له خاضعون متذللون بين يديه لا يشترطون بآيات الله ثمنا قليلا أى لا يكتفون ما بأيديهم من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر صفته ونعته ومبعثه وصفة أمته ، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم سواء كانوا هوداً أو نصارى . وقد قال تعالى فى سورة القصص (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون \* وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين \* أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ) الآية . وقد قال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به) الآية . وقد قال تعالى ( ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وقال تعالى (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) وقال تعالى ( قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً \* ويخرون للأذقان ليكونوا زينة لهم خشوعاً) وهذه الصفات توجد فى اليهود ولكن قليلاً كما وجد فى عبد الله بن سلام وأمثاله ممن آمن من أبحار اليهود ولم يبلغوا عشرة أنفس ، وأما النصارى فكثير منهم يهدون وينقادون للحق كما قال تعالى ( لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) إلى قوله تعالى (فأنا بهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ) الآية وهكذا قال ههنا ( أولئك لهم أجرهم عند ربهم ) الآية وقد ثبت فى الحديث أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه لما قرأ سورة كهيعص بحضرة النجاشى ملك الحبشة وعنده البطارقة والتساقسة بكى وبكوا معه حتى أخضبوا لحاهم وثبت فى الصحيحين أن النجاشى لما مات نعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وقال « إن أخاكم بالحبشة قد مات فصلوا عليه » فخرج إلى الصحراء فصفهم وصلى عليه . وروى ابن أبى حاتم والحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال لما توفى النجاشى قال رسول الله ﷺ « استغفروا لأخيكم » فقال بعض الناس يأمرنا أن نستغفر لعلج مات بأرض الحبشة فنزلت ( وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله ) الآية ورواه عبد بن حميد وابن أبى حاتم من طريق أخرى عن حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن عن النبي ﷺ ثم رواه ابن مردويه من طريق عن حميد عن أنس بن مالك نحو ما تقدم . ورواه أيضاً ابن جرير من حديث أبى بكر الهذلى عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن جابر قال : قال لنا رسول الله ﷺ حين مات النجاشى « إن أخاكم أصحمة قد مات » فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى كما صلى على الجنائز فكبر أربعاً . فقال المنافقون يصلى على عليج مات بأرض الحبشة فأنزل الله ( وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ) الآية . وقال أبو داود حدثنا محمد بن عمرو والرازي حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحق حدثنى يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت لما مات النجاشى كنا نحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور . وقد روى الحافظ أبو عبد الله الحاكم فى مستدرکه أنبأنا أبو العباس السيارى بمرو حدثنا عبد الله بن على الغزال حدثنا على بن الحسن بن شقيق حدثنا ابن المبارك حدثنا مصعب بن ثابت عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال نزل بالنجاشى عدو من أرضهم فجاءه المهاجرون فقالوا إنا نحب أن تخرج إليهم حتى تقاتل معك وتترى جرأتنا ونجزيك بما صنعت بنا فقال لءاء (١) بنصر الله عز وجل خير من دواء بنصرة الناس قال وفيه نزلت ( وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله ) الآية . ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال ابن أبى نجیح عن مجاهد ( وإن من أهل الكتاب ) يعنى مسلمة أهل الكتاب وقال عباد بن منصور سألت الحسن البصرى عن قول الله ( وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ) الآية قال هم أهل الكتاب الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فاتبعوه وعرفوا الإسلام

فأعظام الله تعالى أجر اثنين للذي كانوا عليه من الإيمان قبل محمد صلى الله عليه وسلم واتباعهم محمداً صلى الله عليه وسلم رواه ابن أبي حاتم ، وقد ثبت في الصحيحين عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين» فذكر منهم رجلا من أهل الكتاب آمن بنية وآمن بنى وقوله تعالى ( لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً ) أى لا يكتفون ما بأيديهم من العلم كما فعله الطائفة المرذولة منهم بل يبذلون ذلك مجاناً ولهذا قال تعالى ( أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب ) قال مجاهد سريع الحساب يعنى سريع الاحصاء رواه ابن أبي حاتم وغيره وقوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ) قال الحسن البصرى أمروا أن يصبروا على دينهم الذى ارتضاه الله لهم وهو الإسلام ، فلا يدعوه لسراء ولا لضرأ ولا لشدة ولا لرخاء ، حتى يموتوا مسلمين ، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتفون دينهم وكذلك قال غير واحد من علماء السلف ، وأما المرابطة فهى المداومة فى مكان العبادة والثبات وقيل انتظار الصلاة بعد الصلاة قاله ابن عباس وسهل بن حنيف ومحمد بن كعب القرظى وغيرهم وروى ابن أبي حاتم ههنا الحديث الذى رواه مسلم والنسائى من حديث مالك بن أنس عن العلاء بن عبد الرحمن عن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المسكاره و كثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط » وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد حدثنا موسى بن إسحاق حدثنا أبو جحيفة على بن يزيد الكوفى أنبأنا ابن أبي كريمة عن محمد بن يزيد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : أقبل على أبو هريرة يوم قال أتدرى يا ابن أخى فم نزلت هذه الآية ( يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ) قلت لا قال أما إنه لم يكن فى زمان النبي ﷺ غزو يرابطون فيه ولكنها نزلت فى قوم يعمرن المساجد ويصلون الصلاة فى مواقيتها ثم يذكرون الله بها فعلهم أنزلت ( اصبروا ) أى على الصلوات الخمس ( وصابروا ) أنفسكم وهواكم ( ورابطوا ) فى مساجدكم ( واتقوا الله ) فيما عليكم ( لعلمكم تفلحون ) وهكذا رواه الحاكم فى مستدركه من طريق سعيد بن منصور عن مصعب بن ثابت عن داود بن صالح عن أبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه وقال ابن جرير حدثنى أبو السائب حدثنى ابن فضيل عن عبد الله بن سعيد القبرى عن جده عن شرحبيل عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أدلكم على ما يكفر الله نوب والخطايا ؟ إسباغ الوضوء على المسكاره وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » وقال ابن جرير أيضاً حدثنى موسى ابن سهل الرملى حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا محمد بن مهاجر حدثنى يحيى بن يزيد عن زيد بن أبى أنيسة عن شرحبيل عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إلا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويكفر به الله نوب ؟ » قلنا بلى يا رسول الله قال « إسباغ الوضوء فى أماكنها وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن على أنبأنا محمد بن عبد الله بن سلام البرنوئى (١) أنبأنا محمد بن غالب الانطاكى أنبأنا عثمان بن عبد الرحمن أنبأنا الوازع بن نافع عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبى أيوب قال وفد علينا رسول الله ﷺ فقال « هل لكم إلى ما يمحو الله به الذنوب ويعظم به الأجر ؟ » قلنا نعم يا رسول الله وما هو ؟ قال « إسباغ الوضوء على المسكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة » قال وهو قول الله ( يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلمكم تفلحون ) فذلك هو الرباط فى المساجد « وهذا حديث غريب من هذا الوجه جداً . وقال عبد الله بن المبارك عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير حدثنى داود بن صالح قال : قال أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخى هل تدرى فى أى شىء نزلت هذه الآية ( اصبروا وصابروا ورابطوا ) قال قلت لا قال إنه لم يكن يا ابن أخى فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة رواه ابن جرير ، وقد تقدم سياق ابن مردويه له وأنه من كلام أبى هريرة رضى الله عنه والله أعلم وقيل المراد بالمرابطة ههنا مرابطة الغزو فى نحو (٢) العدو وحفظ ثغور الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين وقد وردت الأخبار بالترغيب فى ذلك وذكر كثرة الثواب فيه فروى البخارى فى صحيحه عن سهل بن سعد الساعدى أن

(١) فى نسخة الأزهر : ابن عبد السلام البيروئى (٢) وفيها : نحو .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » (حديث آخر) روى مسلم عن سلمان الفارسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان » (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا إسحق بن إبراهيم حدثنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح أخبرني أبو هانيء الخولاني أن عمرو بن مالك الحيني أخبره أنه سمع فضالة ابن عبيد يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كل ميت يحتم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينموه عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر » وهكذا رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي هانيء الخولاني . وقال الترمذي حسن صحيح ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه أيضاً (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحق حدثنا حسن بن موسى وأبو سعيد وعبد الله بن يزيد كلهم عن عبد الله بن لهيعة حدثنا مشرح ابن عاهان سمعت عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « كل ميت يحتم له على عمله إلا المرابط في سبيل الله يجرى عليه عمله حتى يبعث ويأمن الفتان » رواه الحارث بن محمد بن أبي الهمامة (١) في مسنده عن المقبري وهو عبد الله ابن يزيد إلى قوله « حتى يبعث » دون ذكر « الفتان » وابن لهيعة إذا صرح بالتحديث فهو حسن ولا سيما مع ما تقدم من الشواهد (حديث آخر) قال ابن ماجه في سننه حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني الليث عن زهرة بن معبد عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال « من مات مرابطاً في سبيل الله أجرى عليه عمله الصالح الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان وبعثه الله يوم القيامة آمناً من الفرع الأكبر » (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا موسى أنبأنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال « من مات مرابطاً وفي فتنة القبر وأمن من الفرع الأكبر وغدا عليه ربح برزقه من الجنة وكتب له أجر المرابط إلى يوم القيامة » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا إسحق بن عيسى حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن عمرو بن حلحلة الديلي عن إسحق بن عبد الله عن أم الدرداء (٢) ترفع الحديث قالت « من رابط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام أجزأت عنه رباط سنة » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا كهمس حدثنا مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال : قال عثمان وهو مخاطب على منبره إني محدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لم يكن بمنعني أن أحدثكم به إلا الظن (٣) بكم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها » وهكذا رواه أحمد عن روح عن كهمس عن مصعب بن ثابت عن عثمان ، وقد رواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير قال : خطب عثمان الناس فقال أيها الناس إني سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً لم يمنعني أن أحدثكم به إلا الظن (٤) بكم وبصحابتكم فليختر مختار لنفسه أوليدع » سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من رابط ليلة في سبيل الله كانت كألف ليلة قيامها وصيامها » (طريق أخرى) عن عثمان رضي الله عنه قال الترمذي حدثنا الحسن بن علي الخلال حدثنا هشام ابن عبد الملك حدثنا الليث بن سعد حدثنا أبو عقيل زهرة بن معبد عن أبي صالح مولى عثمان بن عفان قال سمعت عثمان وهو على المنبر يقول إني كتمتكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ كراهية تفرقكم عنى ثم بدا لي أن أحدثكموه ليختر امرؤ لنفسه ما بدا له ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، قال محمد يعني البخاري أبو صالح مولى عثمان اسمه بركان ، وذكر غير الترمذي أن اسمه الحارث والله أعلم وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة وعنده زيادة في آخره فقال يعني عثمان فليرابط امرؤ كيف شاء هل بلغت ؟ قالوا نعم قال اللهم اشهد (حديث آخر) قال أبو عيسى الترمذي حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان حدثنا محمد بن المنكدر قال مرسلان الفارسي بشر جليل بن السمط وهو في مرابطة له وقد شق عليه وعلى أصحابه فقال : ألا أحدثك يا ابن السمط بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال بلى : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « رباط يوم في سبيل الله أفضل - أو قال خير - من صيام شهر وقيامه ومن مات فيه وفي فتنة القبر ونمى له عمله إلى يوم القيامة » تفرد به الترمذي من هذا الوجه ، وقال هذا حديث حسن ، وفي بعض النسخ زيادة وليس إسناده بمتصل :

(١) في نسخة الأثر : ابن أبي أسامة . (٢) في الدر المنثور : عن أبي الدرداء يرفع الحديث . (٣) فيها : إلا الظن . (٤) وفيها : إلا الظن أيضاً

وابن المنكدر لم يدرك سلمان (قلت) الظاهر ان محمد بن المنكدر سمعه من شرحيل بن السمط وقدر واه مسلم والنسائي من حديث مكحول وأبي عبيدة بن عقبة كلاهما عن شرحيل بن السمط وله صحبة عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ أنه قال « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان » وقد تقدم سياق مسلم بمفرده (حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا محمد بن اسماعيل بن سمرة حدثنا محمد بن يعلى السامي حدثنا عمرو بن صبيح عن عبد الرحمن بن عمرو عن مكحول عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « حرس ليلة (١) وراء عورة المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم أجراً - أراه قال - من عبادة ألف سنة صيامها وقيامها فإن رده الله تعالى إلى أهله سالماً لم يكتب عليه سيئة ألف سنة ، وتكتب له الحسنات . ويجرى عليه أجر الرباط إلى يوم القيامة » هذا حديث غريب من هذا الوجه . بل منكر . وعمر بن صبيح منهم (حديث آخر) قال ابن ماجه : حدثنا عيسى بن يونس الرملي حدثنا محمد بن شعيب بن شابور عن سعيد بن خالد بن أبي طويل سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « حرس ليلة في سبيل الله خير من صيام رجل وقيامه في أهله ألف سنة . السنة ثلاثمائة يوم ، اليوم كألف سنة » وهذا حديث غريب أيضاً وسعيد بن خالد هذا ضعفه أبو زرعة وغير واحد من الأئمة : وقال العقيلي : لا يتابع على حديثه : وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به . وقال الحاكم روى عن أنس أحاديث موضوعة

(حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا محمد بن الصباح أنبأنا عبد العزيز بن محمد عن صالح بن محمد بن زائدة عن عمر بن عبد العزيز عن (٢) عقبة بن عامر الجهني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله حارس الحرس » فيه انقطاع بين عمر بن عبد العزيز وعقبة بن عامر فإنه لم يدركه والله أعلم (حديث آخر) قال أبو داود : حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية يعني ابن سلام (٣) حدثني الساولي أنه حدثه سهل بن الحنظلة أنهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين حتى كانت عشية فحضرت الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فارس فقال : يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشياهم ، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال « تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله » ثم قال « من يحرسنا الليلة » قال أنس بن أبي مرثد : أنا يا رسول الله قال « فاركب » فركب فرساله ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله ﷺ « استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا تغز من قبلك الليلة » فلما أصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصلاه فركع ركعتين فقال « هل أحسنتم فارسكم » فقال رجل : يا رسول الله ما أحسنناه فثوب بالصلاة فجعل النبي ﷺ وهو يصلي يلتفت إلى الشعب ، حتى إذا قضى صلاته قال « أبشروا فقد جاءكم فارسكم » فجعلنا ننظر في خلال الشجر في الشعب فإذا هو قد جاء حتى وقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرتني . فلما أصبحنا طلعت الشعبين كلهما ، فنظرت فلم أر أحداً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل نزلت الليلة ؟ » قال : لا إلامصليا أوقاضى حاجة ، فقال له « أوجب فإعليك أن لا تعمل بعدها » ورواه النسائي عن محمد بن يحيى بن محمد بن كثير الحراني عن أبي توبة وهو الربيع بن نافع به (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عبد الرحمن بن شريح سمعت محمد بن شمير الرعيني يقول : سمعت أبا عامر البجيني (٤) . قال الإمام أحمد : وقال غيره زائداً أبا علي الحنفي يقول : سمعت أبا ربحانة يقول كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فأتينا ذات ليلة إلى شرف فبتنا عليه فأصابنا برد شديد حتى رأيت من يحفر في الأرض يدخل فيها ويلقي عليه الحجفة يعني الترس ، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس نادى « من يحرسنا هذه الليلة فأدعوا له بدعاء يكون له فيه فضل » فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله قال « ادن » فدنا منه ، فقال « من أنت ؟ » فتسمى له الأنصاري ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء فأكثر منه « قال أبو ربحانة : فلما سمعت مادعاه قلت أنا رجل آخر فقال « ادن » فدنوت فقال « من أنت ؟ » قال : فقلت أبو ربحانة ، فدعا بدعاء دون مادعاه للأنصاري ثم قال : « حرمت النار على

(١) في نسخة الأزهر : لرباط يوم في سبيل الله من وراء الخ (٢) وفيها عن عمرو بن عبد الرحمن عن عقبة (٣) وفيها عن زيد بن سلام (٤) انظر الكلام عنه في الصفحة التالية .

عين دعت - أو بكت - من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله « وروى النسائي منه « حرمت النار » إلى آخره عن عصمة بن الفضل عن زيد بن الحباب به ، وعن الحارث بن مسكين عن ابن وهب عن عبد الرحمن ابن شريح به وأتم وقال في الروايتين عن أبي علي البجلي (١) . ( حديث آخر ) قال الترمذي حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا بشر بن عمار وحدثنا شعيب بن زريق أبو شيبة عن عطاء الخراساني عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » ثم قال : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن زريق ، قال وفي الباب عن عثمان وأبي رباحة ( قلت ) وقد تقدم والله الحمد والمنة . ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين عن زياد عن سهل ابن معاذ عن أبيه معاذ بن أنس عن رسول الله ﷺ قال « من حرس من وراء المسلمين متطوعا لا بأجرة سلطان لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم ، فإن الله يقول ( وإن منكم إلا واردةها ) » تفرد به أحمد رحمه الله . ( حديث آخر ) روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة . إن أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط ، تعس واتسكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه ، مغبرة قدماءه إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقية كان في الساقية إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع » فهذا آخر ما تيسر إيراده من الأحاديث المتعلقة بهذا المقام ، والله الحمد على جزيل الأنعام ، على تعاقب الأعوام والأيام . وقال ابن جرير . حدثني الثئي حدثنا مطرف بن عبد الله المدني حدثنا مالك بن زيد بن أسلم قال كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم ، فكتب إليه عمر أما بعد فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة يجعل الله له بعدها فرجا ، وإنه لن يغلب عسر يسرين وإن الله تعالى يقول ( يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ) وهكذا روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله ابن المبارك من طريق محمد بن إبراهيم بن أبي سكينه قال : أملى على عبد الله بن المبارك هذه الآيات بطرسوس وودعته للخروج ، وانشدها معى إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ، ومائة وفي رواية سنة سبع وسبعين ومائة

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا \* لعلمت أنك في العبادة تلعب \* من كان يخضب خده بدموعه  
فنجورنا بدمائنا تتخضب \* أو كان يتعب خيله في باطل \* فخيولنا يوم الصبيحة تتعب  
ريح العبير لكم ونحن غيرنا \* رهج السنايك والغبار الأطيب \* ولقد أتانا من مقال نبينا  
قول صحيح صادق لا يكذب \* لا يستوى غبار خيله الله في \* أنف امرئ ، وودخان نار تلهب  
هذا كتاب الله ينطق بيننا \* ليس الشهيد بميت لا يكذب

قال فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام ، فلما قرأه ذرفت عيناه وقال صدق أبو عبد الرحمن ونصحني ثم قال . أنت ممن يكتب الحديث ؟ قال : قلت نعم قال فاكتب هذا الحديث كراء حملك كتاب أبي عبد الرحمن إلينا وأملئ على الفضيل بن عياض . حدثنا منصور بن العتير عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله علمني عملا أنال به ثواب المجاهدين في سبيل الله فقال « هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر ، وتصوم فلا تظفر ؟ » فقال يا رسول الله أنا أضعف من أن أستطيع ذلك ، ثم قال النبي ﷺ « فوالله نفسي بيده لو طوقت ذلك ما بلغت المجاهدين في سبيل الله ، أو ما علمت أن الفرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له بذلك الحسنات » وقوله تعالى ( واتقوا الله ) أى في جميع أموركم وأحوالكم كما قال النبي ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن « اتقوا الله حينما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » ( لعلكم تفلحون ) أى في الدنيا والآخرة - وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أنبأنا أبو صخر عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول في قول الله عز وجل ( واتقوا الله لعلكم تفلحون ) يقول اتقوني فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا إذا لقيتموني - انتهى تفسير سورة آل عمران ، والله الحمد والمنة ، سأله الموت على الكتاب والسنة آمين

(١) هذا وما قبله محرف والصواب الجببي وفي ترجمة محمد بن شمير بالشين العجمة ويقال المهملة أنه روى عن أبي علي التجببي .